الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

٤٢٦
٤٢٧
٤٢٨

السنة السادسة والثلاثون
رجب-شعبان-رمضان ١٤٤٣ هـ
شباط-آذار-نيسان ٢٠٢٢م

كلمة الوعي:
الإسلام هو الدين المبدئي العالمي المنتظَر

ما هو الدور الذي رسمته أمريكا لإيران في المنطقة؟ ص ٩٨

أردوغان لا يستحق أبدًا قيادة الأمة الإسلامية بالسياسة غير الإسلامية التي يتبعها! ص ٨٧

دور العلماء الربانيين في العمل لإقامة دولة الخلافة الراشدة ص ٥٤

وجوب الخلافة ماضٍ إلى يوم القيامة، وإبطال فكرة إعادة الصياغة للفتنة الإسلامي ص ٣٦

حزب التحرير... وريث نبوة يدعو بالتي هي أحسن إلى إقامة دولة الخلافة الراشدة ص ١٣

فعاليات حزب التحرير العالمية في الذكرى الـ(101) لهدم دولة الخلافة ص ١٩

موقف أنصار الأمس وإكرام الله لهم وواجب نصرة دين الله اليوم ص ٤٤

جامعية - فكرية - ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

- بين يدي العدد: ٤
- كلمة الوعي: الإسلام هو الدين المبدئي العالمي المنتظَر ٧

المحور الأول : بالمناسبة الـ (١٠١) لهدم الخلافة، يجب على المسلمين أن تكون إقامتها لديهم هي الحاضر الشرعي الأكبر

- حزب التحرير... وريث نبوَّة، يدعو بالتي هي أحسن إلى إقامة(دولة الخلافة الراشدة) ١٣
- فعاليات حزب التحرير العالمية في الذكرى الـ(١٠١) لهدم دولة الخلافة١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م ١٩

المحور الثاني : "الخلافة" هي فرض الله الأكبر بعد وفاة الرسول ﷺ وإلى قيام الساعة

- وجوب الخلافة ماضٍ إلى يوم القيامة، وإبطال فكرة (إعادة الصياغة للفقه الإسلامي) ٣٦
- موقف انصار الأمس وإكرام الله لهم... ووجوب نصرة دين الله اليوم ٤٤
- دور العلماء الربَّانيين في العمل لإقامة الخلافة ٥٤
- لن تستردّ أمّة الإسلام عزّها وتفكّ قيودها إلّا بقيام دولة الخلافة الرّاشدة الثّانية ٦٤

المحور الثالث : موانع وعقبات يضعها الغرب في وجه إقامة دولة الخلافة:

- إزالة الأفكار القاتمة عن دولة الخلافة الراشدة الثانية ٧٢
- الإعلام والمنظمات الدولية... يد واحدة في إفساد البشرية ٨١
- أردوغان لا يستحق أبدًا قيادة الأمة الإسلامية بالسياسة غير الإسلامية التي يتبعها! ٨٧

٤٢٦
٤٢٧
٤٢٨

السنة السادسة والثلاثون
رجب-شعبان-رمضان ١٤٤٣هـ
شباط-آذار-نيسان ٢٠٢٢م

ثمن النسخة

لبنان	١٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

المحتويات

- ما هو الدور الذي رسمته أمريكا لإيران في المنطقة؟ ٩٨
- نحن أمة تمرض؛ لكنها لا تموت ١٠٩

المحور الرابع : الحضارة الغربية : إضلال وإستعمار وانهزام وتوقُّع انهيار... والإسلام هو الخلاص

- أدوات الرأسمالية لاستعمار بلاد المسلمين ١١٣
- الحروب السياسية وهيمنتها على الصراع بين الدول الكبرى! ١٢٢
- المديونيات الخارجية: حبل الاستعمار الذي يطوق به الحكام رقاب الشعوب ١٢٨
- بلايا النظام الرأسمالي من ناحية واقعية ١٣٤
- مآزق استراتيجية تؤدي إلى تراخي قبضة أمريكا عن بلاد المسلمين... فهل تؤدي إلى انهيار حضارتها وقيام حضارة الإسلام، بإقامة دولة الخلافة؟ ١٤١
- انهزام الحضارة الغربية الرأسمالية والعلمانية ١٥١
- «الانهيار» هو مصير الحضارة الغربية في عيون مفكِّرين غربيين ١٥٩
- ماذا يعني إقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوَّة ١٦٨

أبواب ثابتة :

- ما زال رمضان يأتي على المسلمين من دون خلافة ١٧٨
- أخبار المسلمين في العالم ١٨٢
- مع القرآن الكريم: آيات في الوعد بالنصر والاستخلاف والتمكين ١٨٦
- رياض الجنة: أحاديث نبويَّة... مبشرات بالنصر وقيام الأمر والظهور... إلى يوم الدين ١٨٨
- حدائق ذات بهجة: عمر بن عبد العزيز... خليفة تشتاق إلى أمثاله النفوس ١٩٠
- كلمةأخيرة: الحرب الأوكرانية الروسية: أمريكا هي اللاعب الأكبر فيها... وهي امتداد للحرب العالمية الثانية... وحضارتهم هي سبب مآسيهم ومآسي العالم ١٩٥
- غلاف أخير: عقيدة بوتين هي خليط من التدين الأرثوذوكسي والفاشية الروسية، وهوس بتدمير استقلال أوكرانيا ١٩٦

بين يدي العدد:

كما في كل عام، يصدر العدد الخاص بمناسبة هدم الخلافة، والذي نجتهد لأن يكون خاصًّا بإقامتها... نرى الأمل بإقامتها يكبر والهدف يقرب؛ حتى إننا بتنا لا نرى إلا أن أمر الله آت، وما أعداء الله بمعجزين.

فقد مضى عام بين هذه المناسبة وتلك التي قبلها، وما زالت الأحداث تؤكد صحة فهمنا للواقع السياسي الدولي والإقليمي، وتصدق توقعاتنا فيه؛ فقد أعلنت أمريكا خلاله هذه السنة الفائتة عن «فشل استراتيجي» لها في أفغانستان تبعه تعثُّرٌ في الانسحاب، وتبخُّرٌ للجيش الأفغاني، وانهيار واستسلام وهروب نظام الحكم العميل التابع لها... ثم انسحابٌ لها من العراق، تاركة إياه لعملائها في الداخل والخارج... ولعل من أوضح صور فشلها أنها لم تستطع حتى الآن أن تسوِّي الوضع السياسي: لا في سوريا ولا في السودان، ولا في أي بلد قامت فيه ثورات بشكل يؤمن استقرار الأوضاع لها... وواضح أنها في هذين الانسحابين إنما تريد أن تقفل ملف حربها على الإسلام لتفتح ملف حرب جديد، سرعان ما ظهر بما شهدناه مؤخرًا في الحرب الروسية الأوكرانية التي هيَّأت لها أمريكا وقودها وحطبها وسعَّرتهما حتى انفجرت بشكل سريعٍ وطاغٍ على المشهد السياسي العالمي. وهذه الحرب يبدو أنها من التداعيات المتأخرة للحرب العالمية الثانية، وتنشب اليوم وكأنها بعث جديد لها. وهذا بحد ذاته نكوص وارتداد وزيادة فشل وإعلان إفلاس لحضارة باتت معها البشرية على خطر عظيم؛ حيث لم توفر حتى أهلها.

مئة عام وعام هجرية مرت ونحن نبعد متألمين عن وقت هدمها، ولكننا في الوقت نفسه نقرب متأملين من وقت إقامتها، وثقتنا برحمة الله لنا ولهذه الأمة كاملة بأن ليلنا إلى إدبار ونهارنا إلى إسفار... إنها ثقة التصديق بوعد الله لهذه الأمة وبشرى رسوله... يقولون لنا إن التاريخ لا يكرر نفسه، ونقول لهم إلا مع الإسلام، وها هي إرهاصاته قد ملأت قلوب المسلمين استبشارًا بقرب النصر والفرج، كما ملأت قلوب الكفار بكل مللهم خوفًا وتوجسًا ومكرًا وإجرامًا حتى تمنع عودته... حتى أصبح (منع عودة الإسلام إلى مسرح الحياة الدولية) هو العنوان الأكبر لدى الغرب، ولكن هيهات هيهات أن يحدث إلا ما وعد الله سبحانه وتعالى، وبشَّر رسوله ﷺ

به.

ونحن في هذا العدد، سننشر مقالات نبسط فيها أين وصلت الدعوة إلى إقامة الخلافة الراشدة، ونبين حال حاملها ورائدها، ونستعرض أوضاع العالم وكيف أنه يتجه قدمًا نحو سقوط حضارة الغرب المتوحشة المتحللة، وقيام حضارة الإسلام، والذي سيتوج بتاج إقامة خلافة راشدة على منهاج النبوة، وما ذلك على الله بعزيز.

وفي هذا الإطار، فقد بدأنا العدد الخاص بإعطاء الجو العام للدعوة التي تهدف إلى استئناف الحياة الإسلامية عن طريق إقامة دولة الخلافة الإسلامية الراشدة، والتي يسعى حزب التحرير لأن تكون على منهاج النبوة كما ذكر الرسول ﷺ، والتي يحمد الله على هدايته وتسديده وتوفيقه للسير فيها على طريقة الرسول ﷺ... بدأناه بتمهيد (بين يدي العدد) وبكلمة الوعي، وهي بعنوان: (الإسلام هو الدين المبدئي العالمي المنتظَر) ومن ثم رتَّبنا المقالات وجعلناها ضمن أربعة محاور على الشكل التالي:

- **المحور الأول،** وجاء بعنوان: (**بالمناسبة الـ(١٠١) لهدم الخلافة، يجب على المسلمين أن تكون إقامتها هي الحاضر الأكبر لديهم)** واندرجت موضوعاته في مقالين: مقال عن صاحب هذه الدعوة ورائدها بعنوان: (**حزب التحرير... وريث نبوة، يدعو بالتي هي أحسن إلى إقامة (دولة الخلافة الراشدة)** ومن ثم نذكر، في المقال الثاني، جانبًا من فعاليات حزب التحرير في بعض مجال عمله كنموذج عملي لهذه الدعوة الصادقة التي يصل شبابها ليلهم بنهارهم لكي يحققوا إقامتها، وقد وضعناها تحت هذا العنوان: (**فعاليات حزب التحرير العالمية في الذكرى الـ(١٠١) لهدم دولة الخلافة ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)**

- **المحور الثاني:**، وجاء بعنوان: («**الخلافة» هي فرض الله الأكبر بعد وفاة الرسول ﷺ وإلى قيام الساعة)** وشملت مواضيعه العناوين التالية: (**وجوب الخلافة ماض إلى يوم القيامة، وإبطال فكرة (إعادة الصياغة للفقه الإسلامي) (موقف أنصار الأمس وإكرام الله لهم ووجوب نصرة دين الله اليوم) (دور العلماء الربانيين في العمل لإقامة الخلافة) (لن تستردّ أمّة الإسلام عزّها وتفكّ قيودها إلّا بقيام دولة الخلافة الرّاشدة الثّانية)**

- **المحور الثالث،** وجاء بعنوان: (**موانع وعقبات يضعها الغرب في وجه إقامة الخلافة)**

واندرجت مواضيعه تحت العناوين التالية: (**إزالة الأفكار القاتمة عن دولة الخلافة الراشدة الثانية**) (**الإعلام والمنظمات الدولية... يد واحدة في إفساد البشرية**) (**أردوغان لا يستحق أبدًا قيادة الأمة الإسلامية بالسياسة غير الإسلامية التي يتبعها!**) (**ما هو الدور الذي رسمته أمريكا لإيران في المنطقة؟**) (**نحن أمة تمرض؛ لكنها لا تموت**).

- **المحور الرابع**، وجاء بعنوان: (**الحضارة الغربية: إضلال واستعمار وانهزام وتوقع انهيار... والإسلام هو الخلاص**)

وقد جاء هذا المحور أكبر المحاور نظرًا لأهمية إبراز فساد المبدأ الرأسمالي وفشله وبروز عوامل فنائه وسقوطه... وتطلع الناس إلى الإسلام كمبدأ منتظر وحضارة هادية مهدية، وقد جاءت مقالاته على الشكل التالي: (**أدوات الرأسمالية لاستعمار بلاد المسلمين**) (**الحروب السياسية وهيمنتها على الصراع بين الدول الكبرى!**) (**المديونيات الخارجية: حبل الاستعمار الذي يطوق به الحكام رقاب الشعوب**) (**بلايا النظام الرأسمالي من ناحية واقعية**) (**مآزق استراتيجية تؤدي إلى تراخي قبضة أمريكا عن بلاد المسلمين... فهل تؤدي إلى انهيار حضارتها وقيام حضارة الإسلام بإقامة دولة الخلافة**) (**انهزام الحضارة الغربية الرأسمالية والعلمانية**) («**الانهيار**» **هو مصير الحضارة الغربية في عيون مفكِّرين غربيين**) (**ماذا يعني إقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة**)

- ثم بعد ذلك، وضعنا مقالًا متعلقًا بشهر رمضان للمناسبة...

- ثم بعد ذلك نشرنا فيه **الأبواب الثابتة** التالية: (**أخبار العالم الإسلامي في العالم**). ثم (**مع القرآن الكريم**) وجاء بعنوان: (**آيات في الوعد بالنصر والاستخلاف والتمكين**). ومن ثم (**رياض الجنَّة**) وجاء بعنوان: (**أحاديث نبويَّة... مبشرات بالنصر وقيام الأمر والظهور... إلى يوم الدين**). ثم (**حدائق**) وجاءت بعنوان: (**عمر بن عبد العزيز... خليفة تشتاق إلى أمثاله النفوس**). ومن ثم (**كلمة٢**) وجاءت بعنوان: (**الحرب الأوكرانية الروسية: أمريكا هي اللاعب الأكبر فيها... وهي امتداد للحرب العالمية الثانية في مآسيها...وحضارتهم هي سبب مآسيهم ومآسي العالم**).

وفي الختام: كان (**غلاف٢**) وجاء بعنوان: (**عقيدة بوتين هي خليط من التدين الأرثوذوكسي والفاشية الروسية، وهوس بتدمير استقلال أوكرانيا**)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام هو الدين المبدئي العالمي المنتظَر

لقد أعدَّ الغرب، وعلى رأسه أمريكا، عدَّته لعدم تمكين الإسلام من الحكم، فشنَّ عليه حربًا عالمية لا حدود لها، بقيادة صليبية مقنَّعة، ظاهرها الحرب على الإرهاب، وحقيقتها أنها حرب على الإسلام. فحربه هذه تدخل ضمن ما يسمَّى بصراع الحضارات أو القِيَم بين الرأسمالية والإسلام؛ ولذلك هو يخشى منها كل الخشية، ويمكر لها كل المكر، ويبطش بها كل البطش.

وهذا الصراع اليوم هو صراع بين مبدئين غير متكافئين: فالمبدأ الرأسمالي من حيث القوة وامتلاك المقدرات المادية ووجود دول تمثله، ودول تحكم المسلمين تابعة وعميلة له... متفوِّق بما لا يمكن مقارنته مع الإسلام الذي لا توجد له دولة تمثله وتحمله وتدافع عنه؛ ولكن من الناحية المبدئية فهو في غاية القوة والمتانة، وهو المرشَّح الوحيد لقيادة البشرية، وخاصة بعدما تعرّى المبدأ الرأسمالي وأفلس وفشل حيث لم يورِّد إلى شعوب العالم إلا عولمة متوحشة ونهب خيرات الشعوب وإيقاد الحروب وإيقاع الدول تحت ثقل الديون الربوية التي تجعل الناس من مغرم مثقلون ، وليس هذا فحسب بل امتدت شروره على مستوى البشرية جمعاء، إن من ناحية انتشار الأوبئة أو تعدِّيه على الطبيعة والمناخ ما جعل العالم ببشره وحجره وبيئته يئنُّ ويعاني ويطلب الخلاص...

ولعلَّ الذي سرَّع بطرح الإسلام كدين مبدئي عالمي منتظَر أن الغرب يعي حقيقة الإسلام، وله معاناته التاريخية معه، ويعلم مدى قوة مبدئه وقوة حامليه وقدرتهم على التحمُّل؛ حتى إنه لشدة خوفه منه أنه بعد سقوط الاتحاد السوفياتي أخذ الإسلام السياسي ومشروعه لإقامة الخلافة من أمريكا كل اهتمامها إلى درجة غفلت معها عن نهوض الصين وسعيها لامتلاك القوى الاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية التي تمكنها من منافستها وإزاحتها عن عرش زعامتها، وكذلك أهملت إضعاف روسيا وأوروبا بالشكل الذي يبعدهما عن الاقتراب من منافستها على قيادة العالم، وكانت النتيجة أنها استطاعت أن تؤذي المسلمين؛ ولكنها لم تستطع أن تجعلهم يتخلَّون عن توجههم الذي يدعو لإقامة الخلافة، بل على العكس، فقد تأكَّد في أنفسهم هذا الخيار وجعلهم يستمسكون به أكثر... وهي بهذا تكون قد فشلت في حربها على الإسلام، وفشلت في منع الدول الأخرى من منافستها على المصالح، لا على المبدأ، في الموقف الدولي.

وكما نذكِّر دائمًا، فإن الحروب المبدئية تختلف حسابات النصر والهزيمة فيها عن الحروب

العسكرية. فأمريكا أكَّدت في كل ما قامت به من إجرام بحق المسلمين أن مبدأها هذا الذي تقرِّرُ وتبرِّرُ من خلاله أفعالها قد سقط معها، وفشلها هو فشل مبدئها... وفي المقابل أثبت المسلمون أن مبدأهم هو قوي في نفوسهم ولا يمكن القضاء عليه، أو حتى زحزحته، بل بلغ تفوق الإسلام الحضاري على الغرب أن الإسلام هو الذي يغزو الغرب في عقر داره، ويشهد على ذلك دخول الآلاف سنويًّا من الغربيين في الإسلام؛ مما يشير إلى انهزام الفكر الغربي أمام فكر الإسلام... ويمكن القول، وعلى سبيل التمثيل، أنه لو تفرَّدت أوروربا أو الصين بمحاربة المسلمين مثلما حاربتهم أمريكا... فلن يستطيعوا أن يفعلوا أكثر مما فعلته ولا أن ينالوا منهم نائلًا؛ لذلك وقر في قلوب المسلمين والعالمين أن المستقبل لهذا الدين. وهذه الحقيقة أدركها الغرب مبكِّرًا حين قرَّر أن الإسلام والمسلمين لا يهزمون عسكريًّا، وأدرك كذلك مبكرًا أن هزيمة المسلمين لا تكون إلا بإبعادهم عن فهم دينهم فهمًا صحيحًا، ولذلك قام بغزوهم فكريًّا أولًا فنجح، ثم قام بغزوهم عسكريًّا فنجح، فكان هذا الترتيب هو سبيله للانتصار.

هذا السبيل الذي اتَّبعه الغرب هو نفسه سبيل الخلاص للمسلمين، وهو أن يبعدوا عنهم الغزو الفكري الغربي الذي غزاهم به، ويعودوا إلى فهم دينهم فهمًا مستقيمًا يقوم على الاعتقاد الجازم بأن الله هو الخالق المدبِّر، وأن الإنسان عاجز وناقص ومحدود ولا يستطيع أن ينظم شؤون حياته بنفسه، وأن شرع الله هو الحق وأن الديمقراطية القائمة على الأكثرية تُضلُّ ولا تَهدي، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦﴾ وأنه يجب على المسلم أن يقوم بأمر الله كله فيما يتعلق بكل شؤون الحياة، وأنه يجب عليه أن يحمل همَّ هداية البشرية كلها بمفاهيم الإسلام، إن من ناحية العقيدة والإيمان على قاعدة ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾، وإن من ناحية تطبيق شريعته الإنسانية على البشر كلهم على قاعدة ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ فبمثل هذه المفاهيم يعلو الإسلام ولا يُعلى عليه، وبالتمسك بها يَغلب المسلمون ولا يُغلبون... وكل هذا لا يؤمن به الغرب، بل هو على عكس ما يؤمن. وهذا يعني أننا أمام حضارتين متناقضتين لا تلتقيان.

نعم، إن المسلمين ما زالوا، بعلمائهم قبل عامتهم، يؤمنون بالكتاب كله؛ ولكنهم لا يقومون به كله، وهذا ما يجعلهم مقصِّرين، وعلى غير سبيل فهم الدين فهمًا جامعًا، وحمله حملًا مبدئيًّا، وإنهم ليغطُّون هذا القصور في فهم الدين، وبالتالي التقصير في القيام بأمر الله كما يريد الله، وكما كان عليه السلف الصالح من الأمة، بالإيمان الغيبي أن هذا الدين منصور، أو الاكتفاء بالقول

إن الأمة بحاجة إلى خليفة كعمر، أو قائد عسكري فذٍّ كخالد بن الوليد، أو كقائد عسكري وسياسي يجمع الأمة كصلاح الدين الأيوبي، أو الحديث عن قرب مجيء المهدي المنتظَر... من غير أن يلزموا أنفسهم بأي تكليف، ويكتفون بالدعاء لأن يقيِّض الله لهذه الأمة أمثال هؤلاء، ولا يخفى على المسلمين ما في هذا الكلام من قصور في الفهم.

إن هذا الدين من لدن سيدنا محمد ﷺ إلى قيام الساعة لا يقوم على الدعاء دون العمل الشرعي وإلا كان تواكلًا، فالرسول ﷺ، وكان أشرف الخلق على الله، لم ينصر بإقامة الدولة بالقعود والدعاء، بل بالعمل والدعاء، وكل المسلمين يعرفون من سيرته ومن معه من الصحابة كيف أوذي في الله كما لم يؤذَ مثله أحد، وكُذِّب وصُدَّ ورُدَّ وصَبر، مثله مثل سائر الأنبياء، وكذلك الأمر فإن كلًّا من أمثال عمر وخالد وصلاح الدين لم يكن له أمر أو شأن إلا بالتقوى والمجاهدة والصبر وتعهد النفس، والصبر على لأواء الدعوة... وإلا فهل سيأتي النصر على طبق من الراحة وبسط يد في الدعاء فقط؟!...

إنه لا يصيب الأمة ما أصابها من ذل لا يخفى على أحد، إلا بمقدار ما قعد المسلمون وتخلَّفوا عن أمر الله في إقامة شرعه في حياتهم، وإن هذه الطامَّة العامة من حياة الضنك التي يعيشها المسلمون اليوم لم تأتِ إلا من هذا التخلف ولا تذهب هذه المصيبة إلا بأن تجمعهم طاعة الله في الاقتداء برسول الله ﷺ في السير مثله للخروج مما نحن فيه، فكما جمعتنا مصيبة القعود عن القيام بأمر الله فيجب أن تجمعنا نعمة الطاعة للخروج منها، إنها سنة الله الشرعية الماضية التي لا تتخلَّف ولا تتغيَّر ولا تتبدَّل ولا تتحوَّل، قال تعالى: ﴿... فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ...﴾

أيها المسلمون جميعًا، إن مصيبتكم واحدة، وهي في دينكم، وكما هي جامعة لكم في الداء فهي كذلك جامعة لكم في الشفاء، فمرضكم واحد، والشفاء له واحد، إنه إقامة الدين في الحياة، إنه الحكم بما أنزل الله... إنه فعل الرسول ﷺ الذي واظب عليه، وصحابته الأخيار، ثلاثة عشر عامًا، لا يهدأ، ولا يفتُر، وهو يقوم بأعمال مقصودة يأمره بها الله سبحانه وتعالى من: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ إلى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ إلى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ...﴾ إلى ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ إلى غيرها من الآيات التي كان يسير على منهجها حتى أقام دولة الإسلام بما كان له من عمل في طلب النصرة الذي استمر مع الرسول في سنواته الأخيرة من الدعوة بمكة حتى توُّج بإقامة دولة

الإسلام الأولى في المدينة... فهل يعقل أن لا ينتبه لهذا علماء المسلمين؟!.

ثم إن القرآن الكريم مليء بالآيات التي فيها أمر صريح بالحكم بما أنزل الله، والآيات التي فيها أحكام تشريعية، وأحكام جنائية، وفيها أحكام في الجهاد، وفيها أمر بطاعة أولي الأمر الذين يطبقون الإسلام في دولة إسلامية لا بطاعة أمر فراعنة اليوم غير الرشيد، من الحكام الذين يتبنَّون دساتير غير إسلامية ويطبقون أحكامها في دول غير إسلامية...

وكذلك هو الحال بالنسبة إلى السنة النبوية المشرفة التي زادت على ما ذكر في القرآن، على اعتبار أن السنة مخصِّصة ومبيِّنة وفيها تفاصيل الأحكام وتفريعاتها، وفيها سيرة الرسول بأكملها... فقد جاءت مليئة بأحكام الدولة، بل لنقل إنها مع القرآن قد حوت كل أحكام الشريعة. فما موقف علماء المسلمين حيال ذلك وهم سيسألون عنها يوم القيامة؟! وهل يُعقل ألا يلزموا أنفسهم بشيء منها؟! ألا يسألون أنفسهم عندما يقرؤون مثل هذه الآيات ما حق الله عليهم فيها؟!...

ولسائل أن يسأل: لماذا التركيز على العلماء دون غيرهم؟ فنقول: بالمجمل ، فإن كل المسلمين هم مسؤولون، علماء وحكام ووجهاء وعامة؛ ولكنَّ العلماء يأتون في طليعة المسؤولية، فهم واسطة العقد، فهم الذين من المفترض أن يعلموا الحق أولًا، ثم يقومون به لأنهم مكلَّفون به، علمًا وعملًا، مثلهم مثل سائر الأمة ثانيًا، ثم إن الحق لا يعلمه الحاكم ولا الوجيه أو صاحب الوزن في الأمة، ولا العامي إلا عن طريق العالم. فإذا غاب عن العالم غاب عن الأمة بالتبع، وإذا غاب عنه العالم فقد فات المسلمون الخير كله، وهذا ما هو واقع به المسلمون اليوم؛ فأصبحوا بكليتهم كغثاء السيل، يَدعون ولا يُستجاب لهم، ويَستنصرون فلا يُنصرون، قال رسول الله ﷺ: «**والَّذي نفسي بيدِه لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتَنهوُنَّ عنِ المنكرِ أو ليوشِكنَّ اللَّهُ أن يبعثَ عليكم عذابًا مِن عندِه ثمَّ لتدْعُنَّهُ فلا يستجابُ لكم**» صحيح رواه ابن ماجة. وقال ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لَكُم: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُونِي فَلا أُجِيبَكُمْ، وَتَسْأَلُونِي فَلا أُعْطِيَكُمْ، وَتَسْتَنْصِرُونِي فَلا أَنْصُرَكُمْ**» وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «**لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهنَّ عن المنكر أو ليبسطن الله عليكم سلطاناً ظالماً لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم، ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم، وتستنصرون فلا تُنصرون، وتستغفرون فلا يُغفر لكم**».

أيها المسلمون، إنه لا يجوز للمسلمين أن يقادوا، بل عليهم هم أن يقودوا العالم، ولا يجوز لهم أن يقبلوا أن يحكموا بالكفر وكتاب الله محفوظ بحفظ الله له بين أيديهم، وهو حجة الله لهم أو عليهم في الدنيا والآخرة...

أيها المسلمون إنه الحمل الثقيل الذي لا يستطيعه إلا مؤمن تقي نقي، سابق في الخيرات،

إنه الفرض العظيم الذي بدونه لا يمكن أن تستقيم أمورهم... هذا مع العلم أن سيرة الرسول ﷺ كانت تقاس به فيقال: منذ البعثة، منذ الهجرة، قبل الهجرة، الصلاة فرضت في المدينة، الجهاد شرع في المدينة. والصحابة كانوا بين يديه، وزيرًا، أو واليًا، أو قاضيًا، أو أمير جيش... إنه لا يمكن تصور الإسلام من غير دولة... إنه لا يمكن أن يطبَّق الإسلام من غير دولة... إن قبول القعود عن إقامة دولة إنما هو قبول للإسلام ناقصًا... فكيف نقعد عن هذا؟!!!

أيها المسلمون، احزموا أمركم، لا تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا، كفُّوا عن فهم الإسلام كفهم النصارى واليهود لدينهم بالاقتصار على بعضه دون بعض، فدينكم كامل بشهادة الله جلَّ جلاله بقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾.

أيها المسلمون، لا حجة لكم أمام ربكم وقد **جاء بها** رسول الله ﷺ بيضاء ناصعة، **وتركنا عليها** بيضاء ناصعة، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا كل ضالٍّ. **وأمرنا** أن نكون على سنة الخلفاء الراشدين المهديين وأن نعضَّ عليها بالنواجذ، فأين أمثال هؤلاء حتى نطيعهم، واعلموا أن طلب الأمر بإطاعتهم هو طلب بإيجادهم إذا فقدوا، وقوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ هو طلبُ طاعةٍ واجبٌ لمن يجب أن يكون موجودًا، فإذا لم يوجد فيجب إيجاده... **وأمرنا** أن نكون على ما كان عليه هو وصحابته؛ وذلك بقول الرسول الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة ﷺ: «**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**».

أيها المسلمون، أتحسبون أن هذا الكرب العظيم الذي تتلظَّون بأشواكه اليوم، ليس سببه ضياع حكم الله وعدم الانشغال بإقامته انشغالًا يسقط الإثم؟... إنه لا نجاة لنا من الله في الدنيا والآخرة إلا بأن يقوم الإسلام تمامًا على الذي قام به أول الأمر، فلن يَصلُح أمر هذه الأمة إلا بما صلُح به أولها.

أيها المسلمون، هذا الفرض العظيم، فرض إقامة الدين، فرض الحكم بما أنزل الله، فرض نشر الدين بالجهاد والدعوة، فرض إدخال الناس في دين الله أفواجًا... هذا الفرض **له أهله**، ونرجو أن نكون منهم، **وله طائفته** القائمة على الحق، فعسى أن نكون منهم. **وله أفراده** الذين هم نزَّاع قبائل يصلحون ما أفسد الناس، ونرجو أن نكون منهم. **وله أنصاره** الذين هم من أعزَّة الناس على الله، ونرجو أن يقيِّضهم الله لأصحاب دعوة الحق الذين يدعون على بصيرة لإقامة الدين بإقامة **الخلافة الراشدة على منهاج النبوة** كما هو مبشَّر بها المسلمون أنها تكون في آخر الزمان... فهنيئًا لمن وفَّقه الله لأن يكون له نصيب في هذا العمل، ونرجو أن نكون منهم... وعلى الله قصد السبيل. ■

المحور الأول

بالمناسبة الـ (١٠١) لهدم الخلافة، يجب على المسلمين أن تكون إقامتها لديهم هي الحاضر الشرعي الأكبر

- **حزب التحرير... وريث نبوَّة، يدعو بالتي هي أحسن إلى إقامة (دولة الخلافة الراشدة)**

- **فعاليات حزب التحرير العالمية في الذكرى الـ(١٠١) لهدم دولة الخلافة (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)**

بسم الله الرحمن الرحيم

حزب التحرير... وريث نبوَّة، يدعو بالتي هي أحسن إلى إقامة (دولة الخلافة الراشدة)

أحمد المحمود

في خضمِّ الهجمة الشرسة على إسلام الحكم، **من الطبيعي** أن يتقدَّم الحديثُ عن الدولة الإسلامية والحكم بما أنزل الله وذكر الخلافة والفتوحات والانتصارات اهتمامَ المسلمين، ويدفعهم إلى البحث عن العمل الذي يخرجهم من هذا الكرب العظيم من صميم دينهم... **ومن الطبيعي** أن يتولَّد جوٌّ إسلاميٌّ عام بينهم يريد التغيير، ويفتش عن العاملين له؛ ليجد المسلمون أمامهم حزبًا عريقًا ناضجًا جادًّا مجدًّا قد سبقهم بسنوات طويلة، ووطَّأ لهم طريق العمل حتى إنه لا يحتاج منهم إلا إلى أن يلتفُّوا حوله، وأن يتقدَّم أهلُ القوة من المسلمين ليكونوا أنصاره في إقامة ما أخذه على نفسه من «إقامة الخلافة الراشدة». إذًا، لن يجدوا فراغًا، ولن يجدوا أنهم بحاجة إلى وقت طويل حتى تتهيَّأ لهم أعمال النصر، بل سيجدون أنفسهم، إن شاء الله، على أبوابه، ولعل هذا الالتفاف منهم حول الدعوة، وقيام أهل النصرة من أهل القوة من المسلمين بواجبهم الشرعي في إقامة حكم الله معهم، هو ما بقي من خطوات بلوغ النصر... فالأمة جاهزة لتكون مع هذا العمل: تؤويه وتنصره وتحافظ عليه وتمنعه من أي خطر وتدافع عنه... وأهل القوة من أهل الإيمان هم موجودون أيضًا، ولا يحتاج الأمر إلا إلى أن يلتقيا ويطيعا الله عزَّ وجلَّ فيما أمرهما من إقامة الدولة ليشكلا معًا جناحا العمل: **الأول،** قيادة فكرية سياسية تقود حزبًا عريقًا وشبابًا أعدتهم ليكونوا رجال دعوة ودولة في آن معًا. **والثاني،** أهل قوة ونصرة ليأخذوا الحكم من الحكام الحاليين الفاسدين الـمُفسدين العملاء والخائنين وأعوانهم من أهل القوة... وذلك كما قام من قبل بين الرسول ﷺ ومن سمَّاهم الله (المهاجرين) وبين من سمَّاهم (الأنصار)، وأسفر عن قيام دولة الإسلام الأولى.

فمن هو حزب التحرير هذا الذي يجب على الأمة وأهل القوة الأتقياء أن يكونوا معه لنصرة هذا الدين وإقامة دولة الإسلام؟

الجواب على هذا التساؤل يقتضي منا الرجوع إلى بداية نشأته، وما اكتنفها من ظروف وأوضاع سيئة دفعت إلى قيامه، وفي هذا نقول:

- تجاه الواقع السيئ الذي كانت تعيشه الأمة الإسلامية من هدم الخلافة و تقسيم لبلاد المسلمين وضياع فلسطين، وخيانات الحكام

الذين مكَّنوا ليهود، وتحكُّم دول الغرب في كل مفاصل حياة المسلمين، ومحاولاته الدائبة لإبعادهم عن دينهم... تجاه ذلك وجد ثلة من العلماء، وعلى رأسهم العلاَّمة المجدِّد الإمام القاضي تقي الدين النبهاني (رحمه الله) أنه لا بدَّ من عمل شرعي لإنقاذ الأمة مما هي فيه. ووجدوا أن العمل الشرعي الذي من شأنه أن يغيِّر هذا الواقع السيئ برمَّته، إنما هو إقامة حكم الله في الأرض؛ وذلك بإقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوَّة؛ لأنه مطلوب شرعًا من المسلمين أن لا تخلو حياتهم منها بشكل دائمي، منذ وفاة الرسول ﷺ وإلى قيام الساعة، ولأن دولة الخلافة هي التي تقيم الدين، وهي التي تحلُّ كل مشاكل المسلمين وتحميهم، وهي التي تقيم الجهاد وتنشر الإسلام، وهي التي توحِّد بلاد المسلمين، وهي التي ترفع يد الغرب الآثمة عنهم، وهي التي تحرر فلسطين... وهي التي تقيم كل الأحكام التي تعطَّلت بغياب دولة الخلافة، وما أكثرها، فإقامة الخلافة هي العلاج الشرعي الوحيد، ولا علاج جذريًّا بغيره. ورأى هؤلاء العلماء أن العلاج لا يتعلق: لا بمعالجة فقر المسلمين، ولا بأخلاقهم، ولا بأي شيء آخر... فهذه نتائج للحكم بغير ما أنزل الله، بل تتم معالجتها عن طريق دولة الخلافة. وبهذا حدَّد هؤلاء العلماء **هدفهم** لإنقاذ الأمة مما هي فيه، **وهو العمل لإقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوَّة.**

- ثم رأى هؤلاء العلماء أن العمل لإقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة فرض من فروض الكفاية التي على الأمة وجوب إقامته، وهذا يعني أنه فرض على كل مسلم قادر حتى يقام، والذي يقوم به من المسلمين يسقط عنه والذي لم يقم به يأثم حتى يُقام الفرض... ورأَوا أن هذا الفرض يحتاج إلى جماعة لأنه ليس بمستطاع أفراد أن يقيموه، من باب القاعدة الشرعية: **(ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)** وهذه الجماعة لا بد لها من أمير لحديث الرسول ﷺ: «**لا يحلُّ لثلاثة في سفر إلا أمَّروا عليهم أحدهم**» حيث يستفاد من الحديث أن كل عمل مشترك بين مسلمين (ثلاثة فما أكثر) يجب أن يكون عليهم أمير فيه، فإذا كان جماعة في سفر لا بد لهم من أمير بينهم، فمن باب أولى أن يكون لهم أمير في جماعة تعمل لإقامة حكم الله... وعليه، تم إنشاء **حزب التحرير ليقوم بهذا الفرض العظيم.**

- ولـمَّا حدد الحزب غايته، وهو العمل لإقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، ولـمّا وجد أن الأمة قد بعُد واقعها كثيرًا عن تطبيق الإسلام، وأنها محكومة بدساتير كفر، وعليها أنظمة حكم طاغوتية مرتبطة بالغرب الرأسمالي الكافر، وأن الأمر أصبح متعلقًا بإزالة كيانات محدثة قام الحكم فيها على غير الإسلام وإقامة كيان الإسلام الجامع، وهذا ليس عملًا بسيطًا يتعلق فقط بنصح حاكم أو إصلاح حكم، بل يتعدَّى ذلك... عندها وجد أنه لا بد من قيام عمل على مستوى أمة، يتجاوز الحدود

المصطنعة التي غرسها الغرب الرأسمالي الكافر في بلاد المسلمين وأنه لا بد من عمل لإقامة دولة إسلامية من جديد تنسف الواقع الحالي نسفًا وتذره قاعًا صفصفًا، وتعيد الأمة إلى وحدتها ووحدة حكمها وعيشها في دولة واحدة... وهذا أملى على الحزب أن يحدِّد الطريق الشرعية التي توصله إلى إقامة دولة الخلافة الراشدة، وهي التأسِّي بطريقة الرسول ﷺ في إقامة الدولة الإسلامية، وأملى عليه أن يتبنَّى الثقافة اللازمة له لإقامة هذا الفرض العظيم.

- أعلن الحزب، منذ أوَّل إنشائه، أنه حزب مبدئي، واعتبر أن العقيدة الإسلامية هي أساس فكره، والأحكام الشرعية المنبثقة عن هذه العقيدة هي فكره وطريقه وأحكام دستوره الذي تبنَّاه ليحكم به، وهو قد تبنَّى طريقة الاجتهاد الشرعية ووضع لأجل ذلك كتابه في أصول الفقه الذي التزم به بطريقة أصول السابقين، ومن ثم، ومن خلال هذه الأصول، استنبط كل الأحكام الشرعية اللازمة لعمله.

- وكذلك وجد الحزب أن العمل لإقامة الدولة الإسلامية يتطلب الالتزام بالأدلة الشرعية وبطريقة استنباط الأحكام الشرعية، ولا يجوز أن يكون عملًا تتحكم به الظروف والآراء والأهواء والعقول والمصالح... بل يسيِّره فقط الحكم الشرعي... وهذا يتطلب التأسي بطريقة الرسول ﷺ في إقامة الدولة الإسلامية التي أقامها ﷺ، وهذا التأسي لا يختلف بشيء عن التأسي به في أي أمر من أمور الشريعة، كالصلاة مثلًا حيث قال ﷺ «**صلُّوا كما رأيتموني أصلي**» أو الحج بقوله ﷺ: «**خذوا عني مناسككم**» وكذلك الأمر في الدعوة إلى إقامة شرع الله، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾

- إن التزام حزب التحرير بطريقة الرسول ﷺ أملى عليه أن يسير في الدعوة نحو إقامة دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، على طريقة الرسول ﷺ نفسها، لزومًا ووجوبًا من غير تخيير؛ فكان لعمله نقطة ابتداء، ونقطة انطلاق، ونقطة ارتكاز فهمًا من طريقة الرسول ﷺ... وكانت للعمل مراحله من مرحلة التثقيف إلى مرحلة التفاعل إلى مرحلة ارتكاز الدعوة وإقامة الدولة، وكل ذلك أخذًا من عمل الرسول ﷺ في مكة لإقامة الدولة... وهذا الالتزام فرض عليه أن تواجهه صعوباتها ومشكلاتها ذاتها، وأن يكون إعداد الشباب على الطريقة نفسها التي تم بها إعداد الصحابة في مكة، وأن تظهر عليها سنن الدعوة إياها التي واجهت دعوة الرسول ﷺ من سنَّة التأخير إلى سنَّة الاستضعاف، إلى سنَّة قلة العدد، إلى سنة قلة النصير، إلى سنة الإخراج... وهذه السنن وإنها وإن كانت شديدة على المسلمين ولكن الصبر عليها يكشف عن صدق الدعوة وصدق التزامها بطريقة الرسول ﷺ وهذا من مبشرات النصر.

- إن الحزب عندما قام بحق الله عليه في الدعوة على طريقة الرسول ﷺ لم يقم بعمله هذا بشكل قطري بحيث يقصر فيه عمله وهدفه على القطر الذي يعمل فيه، بل قام بعمله بشكل جامع، بدعوة واحدة، بأحكام الطريقة الشرعية المتأسية بعمل الرسول ﷺ في كل الأقطار التي قام يعمل فيها؛ لذلك لم تختلف دعوته من قطر إلى قطر، بل انطلق من منطلق أن الأمة واحدة، والذي يخرجها كلها مما هي فيه إنما هو عمل واحد؛ حتى إذا ما قام في قطر ما انتقل إلى سائر الأقطار التي تكون قد أصبحت مهيَّأة للانضمام.

- تبنى حزب التحرير ثقافة واسعة تلزمه لعمله قائمة على الكتاب والسنة وما أرشدا إليه من إجماع صحابة وقياس شرعي، وعلى الأصول الشرعية والقواعد الفقهية واللغوية لتكون ثقافته الشرعية التي يزوِّد بها شبابه ويبلغها للأمة، وليس فيها أي حكم غير شرعي، وتبنَّى أفكارًا إسلامية منضبطة تلزمه في الطريق، وبهذه الثقافة العملية وبهذه الأصول خاض تبني مصالح الأمة في دعوته، وخاض صراعه الفكري لمواجهة كل أفكار الكفر التي تطرح نفسها كبديل فكري عن الإسلام كالديمقراطية والقومية والوطنية، والدولة المدنية أو الدولة الملكية أو الجمهورية... وخاض كفاحه السياسي ضد الأنظمة الطاغوتية التي تحكم بغير ما أنزل الله ولاحقها في ما تحكم به من أحكام الكفر، وعرَّاها في عمالتها للغرب الذي اختار حكامها ليكونوا خنجرًا مسمومًا بيده يستعمله لتحقيق أهدافه من تقسيم بلاد المسلمين الواحدة وتمزيقها إلى نيف وخمسين مزقَّة، محاولًا إغراقها في خلافات عرقية ومذهبية وقومية ووطنية... وقد حارب الحزب هذه الدعوات بثقافته القائمة على عقيدة عقليَّة سياسيَّة تتوجَّه إلى الإنسان كإنسان، وإلى الأمة كأمة واحدة، لا تفرِّقها حدود، ولا تسميات دول، وتتجاوز بعالميتها كل الخلافات التي يمكن أن تفرق بين جنس بشري وآخر... فكان بهذا التبنِّي حزبًا إسلاميًّا عالميًّا، تبدأ دعوته في بلاد المسلمين لتنتهي بالكرة الأرضية كلها مجالًا لعمله، قبل قيام دولة الخلافة وبعدها... وكانت دعوته وكأن نبيًّا يبعث بدعوته في آخر الزمان، وبما أنه لا نبي يبعث بعد سيدنا محمد ﷺ ولكن ستكون خلافة راشدة تكون على منهاج النبوة. فهذا هو ما يحمله حزب التحرير للمسلمين وللعالم أجمع.

لقد تميَّز حزب التحرير بثقافته التي طرحها أنها تحمل بصمات الرعيل الأول من الصحابة في طريقة فهم الإسلام نفسها، وتميَّز بمعالجة مشاكل العصر بأحكام فقهية اجتهادية مستنبطة على طريقة الصحابة نفسها في الاجتهاد، فكان حزبًا مبدئيًا تسيِّره الأحكام الشرعية، ومختلفًا كل الاختلاف عن الحركات الإسلامية الأخرى المنهجية التي يسيرها الواقع على حساب الأحكام الشرعية،

وانحصار دعواتهم في وطنيات بلادهم على حساب الدعوة الشاملة التي تطال بتغييرها الأمة كلها، وكانت جزءًا من نظام الحكم التي ادَّعت أنها قامت لإصلاحه لا لتغييره، والتي شاركته في بعض الأحيان في الحكم الذي يحكم بالكفر... أما الحزب فقد مضى على ما تبنَّاه من أول الطريق، وسار بخطى ثابتة لا يحيد عنها لأنها بنظره أحكام شرعية لا يجوز أن يخرج عنها قيد خطوة، ولأنها أحكام ثابتة لا تغيِّرها الضغوطات ولا التهديدات ولا الملاحقات ولا الاعتقالات ولا النفي ولا القتل... الذي يغيرها فقط هو حكم شرعي آخر بدليل أقوى. والذي يجدر ذكره هنا أن حزب التحرير هو الوحيد من بين كل هذه الحركات الإسلامية الذي نجح في جعل غايته يتشكل الرأي العام الإسلامي عليها في كل بلاد المسلمين، وهي أنها تريد التغيير الجذري، وليس مطروحًا عندها إلا الإسلام التغييري، وما يتم طرحه من مطلب دولة مدنية أو حكم علماني هنا وهناك فهذا ليس مطلب أمة وإنما مطلب سفارات ومنظمات المجتمع المدني المرتبطة بهذه السفارات، ووسط سياسي وإعلامي وثقافي علماني فاسد من المعسكر القديم... بل أكثر من ذلك، لقد وصل الحزب بما تبنَّاه إلى أن يكون حزبًا عالميًّا مرشحًا لأن يقود العالم بدولة الخلافة الراشدة التي يسعى إلى إقامتها.

- لقد استوجب تأسِّي حزب التحرير بطريقة الرسول ﷺ أن يكون عمله سياسيًّا، يتابع أعمال الحكام ومن وراءهم من دول الغرب التي تأتي بهم وتتحكم بقراراتهم وينفذون لها أهدافها، والذين يسوسون حياة المسلمين بالكفر... فاقتضى منه ذلك أن يتابع السياسة القطرية في كل بلد يعمل فيه، والسياسة الإقليمية في المنطقة، والسياسة الدولية التي تتحكم بكل مفاصل السياسة في بلاد المسلمين، وأن يتابع أعمالها ومناوراتها، وأن يلمَّ بخصومات دولها وتنافسها على الحكم، فقد أصبح العلم بهذه الأمور من ضرورات العمل... وهذا ما جعله يملك باعًا كبيرًا في السياسة ويكشف بوعيه وإخلاصه ما يجعله حزبًا سياسيًّا عريقًا على مستوى الدول الكبرى في فهم السياسة وخفاياها، بل وسيتفوق عليها إن شاء الله تعالى متى قامت للإسلام خلافته، وصارت لها أجهزتها المتخصصة...

- إن حزب التحرير، بما يطرحه من برنامج عمل إنما يشكل خطورة ما بعدها خطورة على مصالح الغرب وعلى استعماره للمنطقة، بل أكثر من ذلك إنه يرى أن حزب التحرير بما يطرحه يشكل خطرًا وجوديًّا للحضارة الغربية برمتها بما يحمله من فهم للإسلام حملًا مبدئيًّا ويريد أن يوصله إلى المسرح الدولي عبر دولة خلافة راشدة، وهذا يدرك خطورته الغرب أيما إدراك، فتاريخه الغابر ما زال أمام ناظريه

لا يغيب عنه، ولشدة ما يخاف منه الغرب فإن أمريكا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي قد أخذها الخوف من عودة الإسلام إلى مسرح الحياة أنها غفلت عن كل من الصين وروسيا والاتحاد الأوروبي لتنشغل به... ومن منا لا يدرك اليوم أن ما نراه من حرب العالم على الإسلام فإنما هو وقوف في وجه المشروع الذي يتبناه الحزب حصرًا ويعرف به، وهو إقامة دولة الخلافة الجامعة التي سمَّاها بعض مسؤولي الغرب بـ«الإمبراطورية الإسلامية». وهذا إن دل فإنما يدل على أنه يسلك طريق الحق، ويشي بتأييد الله له وتوفيقه وتثبيته والدفاع عنه.

- إن حصول النصر في هذه الدعوة يختلف عنه في سائر الدعوات؛ إذ إنه يأتي من الله وحده، يأتي من التقيُّد التام بأمر الله في التزام طريقة الرسول ﷺ في العمل، ويقتضي التزام هذه الطريقة الصبر على أمر الله فيها من عدم استعمال القوة في الدعوة، وعلى الحرص التام على استقلالية قرارها، بعدم قبول أي مساعدة مالية من غير شبابها، ويتطلب الصبر على سنن الاستضعاف وتأخير النصر وقلة العدد وإخراج وقتل وتعذيب وتشويه واعتقال شاب الدعوة... فهذه الكتلة تحافظ بهذا الصبر على نقائها وتساهم في جعل شبابها رجال دعوة ودولة من الطراز الأول، وبأمثال هؤلاء يريد الله سبحانه أن يخرج خير أمة للناس؛ لذلك لا يطلب النصر إلا من الله وحده، ومن الالتزام بأحكام الطريقة وحدها، فهذان هما الرأسمال الوحيد، ومن دونهما الإفلاس.

- إن المسلمين لا شك أنهم يريدون الحكم بالإسلام بل ويتشوَّقون له؛ ولكن ما يجعلهم لا ينخرطون مع الحزب في عمله هو أنهم لم يستطيعوا أن يكونوا على مستوى أن تكون الدعوة عندهم على مستوى الأمة، بل حصروا أنفسهم في كواليس العمل ضمن دولهم، فظلوا محليين في دعوتهم وعملهم واهتمامهم، أما الدعوة الجامعة فكانوا معها بالمشاعر وليس بالعمل؛ ولكنهم في كل حال يعتبرهم الحزب أنهم يشكلون الرأي العام المنبثق من وعي عام على إسلام الحكم، فهو يعتبرهم بعامتهم في الحالة التي هم فيها اليوم جزءًا من نجاحه، ولقد جاءت الثورات لتثبت ذلك.

- إن الله سبحانه وتعالى شاء أن يكون حزب التحرير هو تلك الطائفة التي تعمل لإقامة الدين. وللأسف، فإننا نرى أنه لم تقم أي طائفة أخرى تنافسه في الاجتهاد والعمل فكان وحيدًا. وإننا نسأل الله أن يكتب لنا النصر عاجلًا غير آجل حبًّا بظهور دينه على الدين كله، وأن يغفر لنا خطايانا، وأن يجعلنا بعفوه ورضاه من المنصورين... إنه هو العزيز الحكيم... اللهم آمين. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

فعاليات حزب التحرير العالمية في الذكرى الـ(١٠١) لهدم دولة الخلافة ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

دأبًا على عادته في شهر رجب من كل عام بإحياء ذكرى هدم دولة الخلافة، فقد قام حزب التحرير في هذا العام ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م، أيضًا بإحياء ذكرى هدمها الـ١٠١ بعناية أميره العالم الجليل عطاء بن خليل أبو الرشتة «أبو ياسين» جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ومكَّن الله للمسلمين في الأرض على يديه؛ نظَّم حزب التحرير فعاليات جماهيرية واسعة في جميع البلاد التي يعمل فيها تقريبًا.

وإن مجلة الوعي كما عوَّدت قرَّاءها الكرام في السنوات الماضية فهي تضع بين أيديهم في هذا التقرير بعض أهمِّ الأعمال والفعاليات التي قام بها حزب التحرير حول العالم؛ إحياءً لذكرى هذه الفاجعة الأليمة، واستنهاضًا للهمم وشحذًا لعزائم أبناء الأمة الإسلامية عامة وأهل القوة والمنعة منهم خاصة، للعمل معه لاستئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، وعد الله تعالى وبشرى رسوله ﷺ؛ لتعود للأمة عزَّتها وكرامتها، فتعود كما أراد لها الله عز وجل خير أمة أخرجت للناس.

جواب سؤال لأمير حزب التحرير العالم الجليل عطاء بن خليل أبو الرشتة

العمل لإقامة الخلافة فرض على الكفاية إلى أن تقام فيأثم كل من لا يعمل لها إلى أن تقام

حمل الدعوة هو فرض على الكفاية، ومعنى هذا الفرض أنه يبقى واجبًا على كل قادر حتى يقام، فإذا أقيم سقط الوجوب. أما وهو لم يُقَم فهو واجب على كل قادر... وهكذا فإن العمل لإقامة الخلافة فرض على الكفاية إلى أن تقام فيأثم كل من لا يعمل لها إلى أن تقام.

* جاء في الشخصية الجزء الثالث: (أما الفرض من حيث القيام به فقسمان: فرض عين، وفرض كفاية، ولا فرق بينهما في الوجوب؛ لأن الإيجاب واحد فيهما، وكل منهما طلب الفعل طلبًا جازمًا. إلا أن الفرق بينهما، هو أن فرض العين قد طلب من كل فرد بعينه، وفرض الكفاية قد طلب من جميع المسلمين، فإن حصلت الكفاية بإقامته فقد وجد الفرض، سواء أقام به كل واحد منهم، أم قام به بعضهم. وإن لم تحصل الكفاية بإقامته ظل واجبًا على كل واحد منهم حتى يوجد الفرض).

* وجاء في الفكر الإسلامي: [الفرض على الكفاية فرض على كل مسلم: الفرض هو خطاب الشارع المتعلق بطلب الفعل طلبًا جازمًا، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ﴾، وكقوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ

بِهِ»، «وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». فهذه النصوص كلها خطاب من الشارع متعلِّق بطلب الفعل طلبًا جازمًا. والذي جعل الطلب جازمًا القرينة التي جاءت فيما يتعلَّق بالطلب فجعلته جازمًا، فيجب القيام به. ولا يسقط الفرض بحال من الأحوال حتى يُقام العمل الذي فُرض. ويستحق تارك الفرض العقاب على تركه، ويظل آثمًا حتى يقوم به. ولا فرق في ذلك بين فرض العين والفرض على الكفاية، فكلُّها فرض على جميع المسلمين، فقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فرض عين، وقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ﴾ فرض كفاية، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ**» فرض عين، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ... الحديث**» فرض كفاية. وكلها فرض تثبُت بخطاب الشارع المتعلق بطلب الفعل طلبًا جازمًا. فمحاولة التفريق بين فرض العين والفرض على الكفاية من جهة الوجوب إثم عند الله، وصدٌّ عن سبيل الله، ومغالطةٌ للتساهل بالقيام بفروض الله تعالى.

أمّا من حيث سقوط الفرض عمن وجب عليه، فإنه أيضًا لا فرق بين فرض العين وفرض الكفاية. فلا يسقط الفرض حتى يُقام العمل الذي طلبه الشارع، سواء طُلب القيام به من كل مسلم كالصلاة المكتوبة، أو طُلب القيام به من جميع المسلمين كبيعة الخليفة، فإن كلًّا منها لا يسقط حتى يُقام العمل، أي حتى تُقام الصلاة، وحتى يُقام الخليفة وتحصل البيعة له. ففرض الكفاية لا يسقط عن أي واحد من المسلمين إذا قام بعضهم بما يقيمه حتى يتمَّ قيامه، فيبقى كل مسلم آثمًا ما دام القيام بالعمل لم يتمَّ.

وعلى ذلك فمن الخطأ أن يُقالَ إن فرض الكفاية هو الذي إذا قام به البعض سقط عن الباقين، بل فرض الكفاية هو الذي إذا أقامه البعض سقط عن الباقين. وسقوطه حينئذ أمر واقعي؛ لأن العمل المطلوب قد قام ووُجد، فلم يبق مجال لبقائه. هذا هو الفرض على الكفاية، وهو كفرض العين سواء بسواء. وعلى ذلك فإن إقامة الدولة الإسلامية فرض على جميع المسلمين، أي على كل مسلم من المسلمين. ولا يسقط هذا الفرض عن أي واحد من المسلمين حتى تقوم الدولة الإسلامية. فإذا قام البعض بما يقيم الدولة الإسلامية لا يسقط الفرض عن أي واحد من المسلمين ما دامت الدولة الإسلامية لم تقم، ويبقى الفرض على كل مسلم، ويبقى الإثم على كل مسلم حتى يتم قيام الدولة. ولا يسقط الإثم عن أي مسلم حتى يباشِر القيام بما يقيمها، مستمرًا على ذلك حتى تقوم...

وهكذا كل فرض على الكفاية يبقى فرضًا على كل مسلم، ولا يسقط هذا الفرض حتى يقام العمل المطلوب.]

٣- جاء في جواب سؤال في ٢٠٠٩/٥/٢٨م:

(...ب- وأما العمل لاستئناف الحياة الإسلامية فهو فرض على الكفاية، ولأنه لم يتحقق أصبح

مطلوبًا من الجميع، فيأثمون كلهم إلى أن يتحقق ما عدا الذي يتلبس بالعمل له...)

آمل أن يكون الجواب واضحًا والله أعلم وأحكم.

- الأرض المباركة فلسطين:

الضفة الغربية:

- إصدار مطوية بعنوان: «آن لديننا أن يظهر، ولراية رسولنا أن ترفع»

- درس حاشد في مدينة قلقيلية تمَّ الحديث فيه حول الفاجعة العظيمة التي ألـمَّت بالأمة، وأنها هي أكبر هزيمة في تاريخ المسلمين. مع التأكيد على أن النصر حتمًا سيكون حليف المؤمنين، وستقوم الخلافة من جديد، وسيتحقق وعد الله ورسوله للأمة بالاستخلاف والنصر والتمكين.

- درس حاشد في المسجد العمري في مدينة رام الله والبيرة بعد صلاة المغرب من مساء الأربعاء ٢٠٢٢/٢/١٦م.

- درس حاشد في مسجد الشعراوي بالخليل بعنوان «أروا الله من أنفسكم خيرًا» وسط حضور لافت من الوجهاء والمؤثِّرين والأكاديميين والشباب الطلاب من أبناء الجامعات والمدارس.

- فيديو دعوة للعمل لإقامة الخلافة بأقصى طاقة وأقصى سرعة.

- أمسيتان في بلدة يطا، وكان محور اللقاء حول حال المسلمين بعد ضياع دولتهم وذهاب عزَّتهم وتمكُّن الغرب المستعمر منهم، وأنه لا حل للمسلمين إلا بالعمل لإقامة دولة الإسلام.

- درس حاشد في مسجد نمرة بالخليل الجمعة ٢٠٢٢/٢/١٨م؛ حيث توافدت الحشود من الوجهاء والمؤثِّرين والمهتمِّين وعامَّة الناس استجابة للدعوة التي وجهها إليهم شباب حزب التحرير.

- ندوة في ديوان أبو رشيد - عزبة سلمان شرقي قلقيلية يوم السبت ٢٠٢٢/٢/١٩م، تمَّ الحديث فيها عن أبرز الملفَّات الساخنة محليًّا وإقليميًّا ودوليًّا والتي كلها تعزِّز القناعة بحاجة الأمة لدولة وإمام يطبِّق شرع الله، وينصر المسلمين المستضعَفين، ويحرِّر بلاد المسلمين.

- درس حاشد في مسجد صلاح الدين/ واد الهرية بالخليل، تناول بشارات النبيِّ لأمَّته بعد الحكم الجبري بإقامة الخلافة كالخلافة الراشدة الأولى، وفتح عواصم الكفر كما فتحت عواصم الكفر بالسابق.

- درس حاشد في مدينة نابلس في مسجد الروضة تناول الواقع المؤلم الذي تعيشه الأمة بسبب غياب دولة الخلافة.

- درسان حاشدان في مدينة جنين، الأول في المسجد الكبير في مخيم جنين، والثاني في المسجد الجديد في مدينة جنين، حيث ذكَّر المدرسان الحضور بعزَّة المسلمين تحت راية دولة الخلافة، ثم دعوهم ليكونوا من المناصرين والعاملين لإقامة دولة الإسلام.

- درس حاشد في حوسان في مسجد أبي بكر الصِّدِّيق تناول أهمية إحياء ذكرى هدم الخلافة في نفوس المسلمين من أجل استنهاض الهمم والعزائم، وأنه لا حلَّ إلا بالخلافة.

- درس حاشد في مسجد دار الإسلام في الخليل، بعنوان «النصر من عند الله عقيدة» أكد على قدرة الأمة على إقامة الخلافة، وأن النصر بيد الله وحده، داعيًا المسلمين لشحذ الهمم وتقوية العزائم والعمل لإقامة الخلافة.

- درس حاشد في مسجد علي بن أبي طالب في قلقيلية، تحدَّث عن عزة المسلمين بوقائع من تاريخهم المنير، وعمَّا كانت عليه الخلافة من عزَّة وكرامة وداعيًا الحضور إلى أن يقتفوا أثر هذه الدولة وأن يعيدوا إقامتها من جديد، لتعيد للمسلمين عزَّهم ومجدهم.

- درس حاشد في مسجد القاسم في الخليل، بعنوان «الأمة بين البشارات والإمكانيات» تحدث عن وعد الله والبشارات النبوية للأمة الإسلامية بالاستخلاف.

- أمسية حوارية في الخليل، حول ما خسره المسلمون والبشرية جمعاء بهدم دولة الخلافة، وكيف ضاعت البشرية بضياع الخلافة، وكيف انقلبت حياة البشرية رأسًا على عقب بعد سيطرة وحوش الرأسمالية الذين نشروا الفقر والعوز واستعبدوا الشعوب ونهبوا الثروات حتى وصل عبثهم للفطرة؛ فنشروا الشذوذ، وحطَّموا الأسرة،

وأدخلوا البشرية في صراعات دموية كما يحصل في أوروبا حاليًا خدمة لمصالح الدول الكبرى.

- درس حاشد في مسجد الصحابة في مدينة سلفيت، بعنوان الخلافة واجبنا، تحدَّث عن واجب الخلافة أنها في عنق كل مسلم ويجب عليهم أن يعملوا لإعادتها، وأن الخلافة ليست حكرًا على حزب التحرير.

- درس حاشد في مسجد الغرباء بتفوح، تحدَّث عن العزِّ الذي عاشه المسلمون منذ قيام الدولة على يد رسول الله ﷺ، وعن الذلِّ الذي يعيشه المسلمون منذ هدمت قبل مائة عام وعام. وحث الناس على أن يلتفُّوا حول حمَلة الدعوة والعمل معهم من أجل أن يعيدوها سيرتها الأولى.

- درس حاشد في المسجد العمري في بلدة إذنا في الخليل، أكَّد على أن الأمة الإسلامية قادرة على إقامة الخلافة، فثروتها مهولة، وطاقتها البشرية لا تمتلكها أمة من الأمم، وتحمل عقيدة حيويَّة لا تُقهر.

- درس حاشد في مسجد صلاح الدين في صوريف بالخليل، وصف معاناة المسلمين بعد زوال خلافتهم وذكَّرهم بماضيهم المشرق، وأكد أنه قد ولَّى زمن التباكي على الماضي، فالمسلمون اليوم قريبون من إقامة الخلافة وتحقيق وعد الله بالنصر والتمكين.

- أمسية حوارية في قفين بطولكرم في ذكرى هدم الخلافة في ديوان آل كتانة، دار الحديث فيها عن أهمية ومركزية قضية الخلافة، وعن حقيقة الدولة التي يسعى حزب التحرير لإقامتها مع أمثلة يوميَّة وقضايا حيويَّة تدل بشكل واضح على أهمية الخلافة وضرورة إقامتها.

- لقاء باليافعين في الخليل، حيث نظَّم شباب حزب التحرير في الخليل لقاء مع

الجيل الشاب، تناول اللقاء الحديث عن أهمية الشباب ودورهم في نصرة الدين. كما تم الحديث عن فرض العمل لإقامة الخلافة، وأن الخلافة تمثِّل الحلَّ الجذريَّ لكل قضايا الأمة.

- نداء من الأقصى إلى الأمة وجيوشها في الذكرى الـ١٠١ لهدم الخلافة، ففي ختام فعاليَّاته لإحياء الذكرى الـ١٠١ لهدم الخلافة، وجَّه حزب التحرير في الأرض المباركة فلسطين، عقب صلاة الجمعة ٢٠٢٢/٣/٤م، نداءً من المسجد الأقصى إلى الأمة وجيوشها دعاها فيه إلى المسارعة لإقامة الخلافة ونصرة الداعين لها.

قطاع غزة:

- في تعليق للأستاذ خالد سعيد عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير في الأرض المباركة فلسطين قال: «إن هذه الفعاليات تأتي في وقت حساس للغاية يعيشه العالم أجمع، فراغ سياسي، وشلل في القيادة، وسقوط أخلاقي وحضاري. وإذ تدخل ذكرى هدم الخلافة المئوية الثانية، فإننا ندعو المسلمين للاجتماع والوحدة والالتحام مع العاملين لإقامة الخلافة، كما وندعو أهل القوة والمنعة في الأمة للاصطفاف في جانب أمتهم، ونصرة دينهم، واستغلال الظرف الدولي الراهن للانعتاق من تبعية القوى الاستعمارية، فقد آن لديننا أن يظهر وينتصر، وآن لراية رسول الله ﷺ أن ترفع».

- تعليق يافطات وجداريات تحمل شعارات تدعو لإقامة دولة الخلافة، وتبشر بالنصر القادم، ومن هذه الشعارات (فلسطين قضية إسلامية وجعلها وطنية يضيعها)، (استنصار الجيوش واجب شرعي)، (فلسطين ليست للمساومة والتفاوض عليها خيانة)، (الخلافة دولة رعاية وهداية وليست دولة جباية)، (اللهاث وراء الشرعية الدولية ضلال وسراب).

- توزيع نشرة سياسية بعد صلاة الجمعة ٢٠٢٢/٢/٢٥م بعنوان «الخلافةُ هي سبيلُ وَحدةِ الأمةِ وتحريرِ أرضِها ومقدَّساتِها، وبها نتصدَّى للكافرينَ والـمُطبِّعينَ والخائنين»، اعتبر فيها الحزب أن الخلافة هي سبيل وحدة الأمة، وتحرير أرضها ومقدساتها، وهي التي تتصدى للكافرين والمطبعين والخائنين.

- توزيع مطوية بعنوان «آن لديننا أن يظهر، ولراية رسول الله أن ترفع»، على المحلات التجارية، وطلاب المدارس والجامعات، والمارة في الشوارع.

- توزيع ملصق لراية العقاب على المحلات التجارية والسيارات؛ تعزيزًا لراية رسول الله ﷺ ونشرًا لها بين الناس، ورفضًا لأعلام سايكس بيكو.

- وقفة جماهيرية تحت شعار: «آن لديننا أن يظهر ولراية رسولنا أن ترفع»، وذلك يوم الثلاثاء ٢٠٢٢/٣/١م، على مفترق مخيم النصيرات في شارع صلاح الدين وسط القطاع. وقد رفعت شعارات ولافتات في الوقفة تدعو لإقامة دولة الخلافة، وتحريك الجيوش لتحرير فلسطين.

- ولاية السودان:

نظم حزب التحرير/ ولاية السودان، في العاصمة الخرطوم، ومدن السودان المختلفة، فعاليات متعددة، منها:

- توزيع آلاف القصاصات في الأسواق والأماكن العامة في مدن البلاد المختلفة التي تحوي عبارات: (العقيدة الإسلامية هي أساس دولة الخلافة، وهي أساس دستورها وسائر قوانينها، بينما أساس الدولة العلمانية، سواء أكانت مدنية أم عسكرية، هو عقيدة فصل الدين عن الحياة، أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!)، (في ظل الخلافة، نظام الحكم هو نظام وحدة وليس نظامًا اتحاديًا، لذلك فإن الفيدرالية والكونفدرالية، والتمييز بين رعايا الدولة، وبحث القضايا والمشاكل على أساس الجهة، أو العرق، أو القبيلة، جميعها أفكار باطلة تمزق وحدة البلاد).

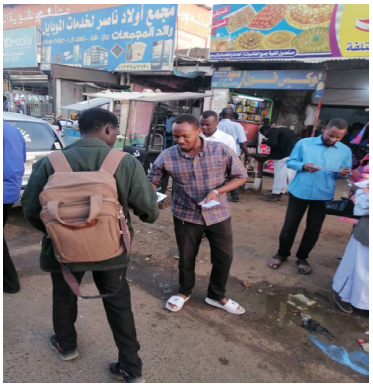

- محلية الكلاكلة مخاطبة جماهيرية بمسجد شيخ بكري الوحدة لتذكير المسلمين بذكرى هدم الخلافة على يد الغرب الكافر المستعمر وعلى رأسه بريطانيا وفرنسا، وبمعاونة خونة العرب والترك. ودعا شباب الحزب المصلين للعمل لهذا الفرض العظيم والذي فيه عزُّ المسلمين في الدنيا والثواب في الآخرة.

- محلية أم درمان شمال، مخاطبة جماهيرية حول التدخلات الأجنبية في شؤون البلاد في ظل غياب دولة الخلافة، فأصبحت البلاد مرتعًا لعمل

السفارات والمنظمات وأجهزة المخابرات الأجنبية، فهو عمل منظَّم من جانب الدول الاستعمارية بمساعدة عملائها في الداخل. فكان أهم سبب مهّد لهذه التدخلات؛ هو إلغاء دولة الخلافة التي احتضنت الأمة الإسلامية على مدار أكثر من ١٣ قرنًا.

- توزيع آلاف النسخ من قصاصة ثالثة في الأسواق والأماكن العامة بمدن البلاد المختلفة تحوي العبارة التالية: من قواعد نظام الحكم في ظل دولة الخلافة: (السيادة للشرع)، و(السلطان للأمة). لذلك كانت أفكار سيادة حكم الشعب وإنشاء المجالس التشريعية، ووصاية العسكر على البلاد، واغتصابهم لسلطان الأمة... كل ذلك وضع باطل يجب تغييره على أساس الإسلام.

- تحت عنوان: موازنة ٢٠٢٢م وطموحات أهل السودان، تمَّ تنظيم المنتدى الدوري يوم السبت ١١ شباط/فبراير ٢٠٢٢م بمكتب الحزب بمدينة الأبيض.

- نظَّم شباب محلية أم درمان غرب يوم ١٥ شباط/فبراير ٢٠٢٢م بسوق ليبيا مخاطبة سياسية بعنوان: نظام الحكم في الإسلام نظام وحدة وليس نظامًا اتحاديًا.

- تحت عنوان: ماذا فقدت الأمة بفقدانها الخلافة؟؟ وفي مدينة الأبيض نظَّمت مخاطبة سياسية يوم ١٧ شباط/فبراير ٢٠٢٢م أمام مصلى سوار الذهب. تحدَّثت عن الطريقة الشرعية لإقامة الدولة الإسلامية كما أقامها الرسول ﷺ.

- بعنوان: ذكرى هدم دولة الخلافة ووجوب العمل لإقامتها، نظم شباب محلية الخرطوم مخاطبة سياسية جوار الميناء البري يوم ١٧ شباط/فبراير ٢٠٢٢م، تحدَّثت عن راية رسول الله ﷺ وهي الراية التي يجب أن ترفع ويلتفَّ حولها الناس، وليست أعلام سايكس بيكو التي أوجدها الكافر المستعمر بعد هدم دولة الخلافة قبل مائة عام وعام.

- محلية الكلاكلة نظمت مخاطبة سياسية يوم الجمعة ١٨ شباط/فبراير ٢٠٢٢م بمسجد ذي النورين بالكلاكلة الوحدة، تحدثت عن الذكرى الأليمة التي تمر بالمسلمين في هذا الشهر.

- محلية الدخينات نظمت مخاطبة سياسية حاشدة، عقب صلاة الجمعة ١٨ شباط/فبراير ٢٠٢٢م بمسجد السوق العتيق بمدينة جبل أولياء جنوب الخرطوم، وجاءت بعنوان: في الذكرى الـ١٠١ لهدم الخلافة، آن لديننا أن يظهر، ولراية رسولنا أن ترفع.

- محلية أم درمان شمال نظمت مخاطبة سياسية بمسجد الحارة السابعة يوم الجمعة ١٨ شباط/فبراير ٢٠٢٢م، تحدَّثت عن ذكرى هدم الخلافة، وأنه يجب على الأمة أن تعمل لإعادتها خلافة راشدة على منهاج النبوة.

- وتحت عنوان: وجوب إقامة الخلافة، أقام شباب محلية أم درمان غرب يوم الجمعة ١٨ شباط/فبراير ٢٠٢٢م بالمسجد الكبير بدار السلام مخاطبة سياسية، بيَّنت أن الإسلام دين الحق لا بد أن تعلو كلمته ورايته على كافة الأديان والمبادئ.

- ولاية تركيا:

في نطاق المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش التي نظمها حزب التحرير/ ولاية تركيا تحت عنوان «الحل الإسلامي للأزمة الاقتصادية»، اجتمع الحزب بـ«ممثلي الأحزاب السياسية والمنظمات غير الحكومية وممثلي وسائل الإعلام المحلية والمربين» ونظم سلسلة فعاليات منها:

- مؤتمر اقتصادي بعنوان «الحلول الإسلامية للأزمة الاقتصادية في عشر نقاط!» في مركز ميرينوس الثقافي بمدينة بورصة، الأحد، ١٣ جمادى الآخرة ١٤٤٣هـ الموافق ١٦ كانون الثاني/يناير ٢٠٢٢م.

- مؤتمر اقتصادي بعنوان «الحلول الإسلامية للأزمة الاقتصادية!» في مركز يورغير للتعليم العام بمدينة أضنة السبت، ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٤٣هـ الموافق ٢٩ كانون الثاني/يناير ٢٠٢٢م.

- مؤتمر اقتصادي بعنوان «الحلول الإسلامية للأزمة الاقتصادية!» في مدينة مرسين الأحد، ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٤٣هـ الموافق ٣٠ كانون الثاني/يناير ٢٠٢٢م.

- ندوة مركزة في هاتاي الأحد، ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٤٣هـ الموافق ٣٠ كانون الثاني/يناير ٢٠٢٢م.

- حلقة نقاشية في كهرمان مرش الأحد، ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٤٣هـ الموافق ٣٠ كانون الثاني/

يناير ٢٠٢٢م.

- حلقة نقاشية في آيدن السبت، ٠٤ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ٠٥ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

- حلقة نقاشية في قونيا السبت، ٠٤ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ٠٥ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

- حلقة نقاشية في إزمير الأحد، ٠٥ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ٠٦ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

- حلقة نقاشية في وآن السبت، ١١ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ١٢ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

- حلقة نقاشية في أنطاليا لبحث الحل الإسلامي للأزمة الاقتصادية، الأحد، ١٢ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ١٣ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

- حلقة نقاشية في تطوان لبحث الحل الإسلامي للأزمة الاقتصادية، الأحد، ١٢ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ١٣ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

- حلقة نقاشية في إسين يورد لبحث الحل الإسلامي للأزمة الاقتصادية، الأحد، ١٢ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ١٣ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

١٥ - حلقة نقاشية في إسين يورد لبحث الحل الإسلامي للأزمة الاقتصادية، الأربعاء، ١٦ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

- حلقة نقاشية في يلاوا لبحث الحل الإسلامي للأزمة الاقتصادية، الأحد، ١٩ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ٢٠ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

- حلقة نقاشية في إنيغول لبحث الحل

الإسلامي للأزمة الاقتصادية، السبت، ١٨ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ١٩ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

ولقد تم التأكيد في مجمل الفعاليات على حقيقة أن الرأسمالية أفلست وأن الخلاص الوحيد للبشرية التي تكافح الأزمات الرأسمالية الأخلاقية والاقتصادية هو في النظام الإسلامي (الخلافة) والاقتصاد الإسلامي. وبناءً عليه تمَّ التأكيد على ضرورة طرح حلول وأحكام الإسلام في كل مجال على جدول الأعمال، وأن الإسلام لديه حلول مفصَّلة وأصيلة في الإدارة والاقتصاد والتعليم والمجالات الاجتماعية، ووجوب التعبير عنها في كل منصة.

- ماليزيا:

- ندوة على شبكة الإنترنت بمناسبة الذكرى الـ١٠١ لهدم الخلافة بعنوان: «وجوب تطبيق الإسلام كاملًا!» الجمعة، ٠٣ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ٠٤ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

- ندوة على شبكة الإنترنت بمناسبة الذكرى الـ١٠١ لهدم الخلافة بعنوان: «فهم المعاملات في الإسلام!» الجمعة، ١٠ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ١١ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

- ندوة على شبكة الإنترنت بمناسبة الذكرى الـ١٠١ لهدم الخلافة بعنوان: «النظام الاقتصادي في الإسلام وعظمته» الثلاثاء، ١٤ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ١٥ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

- ندوة على شبكة الإنترنت بمناسبة الذكرى الـ١٠١ لهدم الخلافة بعنوان: «أجهزة الدولة في نظام الخلافة» الأحد، ١٢ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ١٣ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

- تفاعل حي مع الناس في الشوارع والحدائق العامة، الخميس، ٠٩ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ١٠ شباط/فبراير ٢٠٢٢م. (مرفق صور)

- ولاية لبنان:

- حملة ضد الاقتراض من صندوق النقد الدولي، الأربعاء، ١٥ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ١٦ شباط/ فبراير ٢٠٢٢م.

- ملصقات ضد الاقتراض من صندوق النقد الولي. (مرفق صور)

- ولاية باكستان:

- نظَّم شباب حزب التحرير/ ولاية باكستان خطابات عامة في مختلف مدن باكستان، لتذكير المسلمين بالذكرى المأساوية لهدم الخلافة على يد الغرب الكافر المستعمر بقيادة بريطانيا وفرنسا، وبمساعدة الخونة من عرب وترك، ومع هدم الخلافة خسرت الأمة الكثير على مختلف الصعد، الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية، الجمعة، ١٧ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ١٨ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

-كارناتاكا أو أوتار براديش أو كشمير أو القدس... الخلافة هي الحامي الوحيد لحرائر المسلمين

٠٨ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ٠٩ شباط/فبراير ٢٠٢٢م، ولاية باكستان.

- حزب التحرير/ ماليزيا يطلق حملة «الإسلام كاملًا في ظل الخلافة» ٠١ من رجب ١٤٤٣هـ

الموافق ٠٢ شباط/فبراير ٢٠٢٢م. ماليزيا.

- هدم الخلافة أُمُّ الفواجع على المسلمين، ١٩ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ٢٠ شباط/فبراير ٢٠٢٢م. ولاية اليمن.

- حملة حزب التحرير/ ولاية لبنان، ضد الاقتراض من صندوق النقد الدولي، ٠٨ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ٠٩ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

- كيف تكون الخلافة (وَهْمًا) وهي تاج الفروض؟! ١٠ من جمادى الآخرة ١٤٤٣هـ الموافق ١٣ كانون الثاني/يناير ٢٠٢٢م. ولاية السودان.

- لن تجد المرأة حقوقها إلا في ظل الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، ١٦ من صفر الخير ١٤٤٣هـ الموافق ٢٣ أيلول/سبتمبر ٢٠٢١م. ولاية السودان.

الخلافة القائمة قريبًا بإذن الله ستوحِّد موارد الطاقة الهائلة للأمة الإسلامية وتضمن الرخاء الاقتصادي، ٢٢ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ٢٣ شباط/فبراير ٢٠٢٢م. ولاية باكستان.

- الخلافة ثمرة في متناول اليد فسارعوا لقطفها أيها المسلمون، ٢٨ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ٠١ آذار/مارس ٢٠٢٢م. المكتب الإعلامي المركزي.

- في ذكرى هدمها، الشوق للخلافة يستدعي السعي لإقامتها، ٢٧ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ٢٨ شباط/فبراير ٢٠٢٢م. ولاية الأردن.

- دولة الخلافة البلسم الشافي لقضايا الأمة الإسلامية المعاصرة أزمة الحكم نموذجًا، ٢٠ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق٢١ شباط/فبراير ٢٠٢٢م. الشيخ محمد السماني.

- رجب مضر وهدم دولة الخلافة، ١٩ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ٢٠ شباط/فبراير ٢٠٢٢م. الشيخ محمد السماني.

- الأمن الصحي في دولة الخلافة، ١٦ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ١٧ شباط/فبراير ٢٠٢٢م. مسلمة الشامي.

- المرأة المسلمة بدون خلافة: فقدان للرعاية وعيش في ظل أنظمة الجباية، ١٤ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ١٥ شباط/فبراير ٢٠٢٢م. براءة مناصرة

- الخلافة فقط هي التي تستجيب لاحتياجات النساء المسلمات، ٨ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ٠٩ شباط/فبراير ٢٠٢٢م. زهرة مالك

- معشر العقلاء: الأزمة ليست أزمة هوية بل أزمة ضياع بفقد الخلافة! ٧ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ٠٨ شباط/فبراير ٢٠٢٢م. مناجي محمد

- المرأة في ظلّ الرّأسماليّة: حرّيّة وتمكين أم استغلال فاحش ومهين؟ ٦ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ٠٧ شباط/فبراير ٢٠٢٢م. زينة الصّامت.

- تطبيق الإسلام في دولة الخلافة وحده يعود بذلك «الزمن الجميل»، ٢٦ من جمادى الآخرة ١٤٤٣هـ الموافق ٢٩ كانون الثاني/يناير ٢٠٢٢م. غادة محمد حمدي.

- انتصارات المسلمين ستتوالى بإقامة الخلافة، ٣ من صفر الخير ١٤٤٣هـ الموافق ١٠ أيلول/سبتمبر ٢٠٢١م. أم عاصم الطويل.

- الخلافة التي نريد ليست خلافة قطرية بل رئاسة للمسلمين عامة، ١٨ من محرم ١٤٤٣هـ الموافق ٢٦ آب/أغسطس ٢٠٢١م. عبد الخالق عبدون علي.

- الخلافة ستوقف الوباء قبل تحوله إلى جائحة، ٣ من شعبان ١٤٤٢هـ الموافق ١٦ آذار/مارس ٢٠٢١م. عبد الله روبين.

- في فقد الخلافة لم يبارحنا الحزن والظلم، ٢٨ من رجب ١٤٤٢هـ الموافق ١٢ آذار/مارس ٢٠٢١م. أحمد سابا.

- بالخلافة الإسلامية ستعيش المرأة عدل التشريعات الربَّانية، ٢٣ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ٢٤ شباط/فبراير ٢٠٢٢م. رنا مصطفى.

- فلتقيموا الخلافة: فلتقيموا الدولة التي ستُنصف المرأة، ٢١ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ٢٢ شباط/فبراير ٢٠٢٢م. غادة محمد حمدي.

- السودان يحوي مقومات إقامة الخلافة الراشدة فتحيَّنوها في أرضه، ٣٠ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ٠٣ آذار/مارس ٢٠٢٢م. يعقوب إبراهيم.

- الخلافة وحدها هي التي توجد التغيير الحقيقي، ٢٨ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ٠١ آذار/ مارس ٢٠٢٢م. إبراهيم عثمان.

- تلفزيون الواقية:

١- سلسلة بعنوان «لمن يهمه الأمر!» وهي عبارة عن سلسلة من الأسئلة والأجوبة القصيرة تتناول جملة من المفاهيم والأفكار المرتبطة بسير الأمة القويم نحو التغيير الجذري للوصول إلى النهضة الصحيحة وقيادة البشرية إلى نور الإسلام وعدله.

٢- الإمام جُنَّة «بؤس الانتقائية!»، ١١ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ١٢ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

٣- ندوة حوارية تحت شعار «إرهاصات الخلافة القادمة!»

- كلمة بعنوان: الفقر والغلاء وعلاج الإسلام الناجع، الشيخ ناصر رضا من السودان.

- كلمة بعنوان: الصراع الدولي وتداعياته على الأمة، الدكتور محمد الملكاوي من الأردن.

- كلمة بعنوان: شباب الأمة وصناعة الأجيال التافهة، الشيخ أبو نزار الشامي من طرابلس الشام.

- كلمة بعنوان: الطريق إلى الخلافة، مدير المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير المهندس صلاح الدين عضاضة من بيروت.

٤- خطبة الجمعة «الخلافة مخرجُنا!»، ١٧ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ١٨ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

٥- خطبة الجمعة «الحاكم العادل!»، ١٧ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ١٨ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

٦- الإمام جُنَّة «بؤس الانتقائية!»، ١١ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ١٢ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

٧- خطبة الجمعة «الأمة جسد واحد!»، ١٠ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ١١ شباط/فبراير

٢٠٢٢م.

٨- كلمة مسجد «أين الرجال، أين الأسود الضواري؟ أين جنة المسلمين؟!»، ١٠ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ١١ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

٩- خطبة الجمعة «صفات الحاكم في الإسلام ومسؤولية الأمة!»، ٠٣ رجب المحرم ١٤٤٣هـ الموافق ٠٤ شباط/فبراير ٢٠٢٢م.

جريدة الراية:

كان لجريدة الراية نصيب في إحياء الذكرى الـ١٠١ لهدم دولة الخلافة، من خلال عدة مقالات مختلفة تحدثت عن الخلافة وأهميتها في حياة المسلمين، وواجبهم نحوها، وحثتهم على العمل مع الحزب لإقامتها راشدة على منهاج النبوة، وتغطية فعاليات الحزب لإحياء الذكرى الأليمة.

ومن هذه المقالات:

- القيام على أمر الله من فروض الإسلام، ٢٢ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ٢٣ شباط/فبراير ٢٠٢٢م. الأستاذ سعيد الكرمي.

- الخلافة وحدها من يوقف تدخُّل الكفار المستعمرين في بلادنا، ٢٢ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ٢٣ شباط/فبراير ٢٠٢٢م. الأستاذ إبراهيم عثمان.

- الذكرى ١٠١ لهدم الخلافة مقدِّمة لإعادة بنائها، ١٠ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ١١ شباط/فبراير ٢٠٢٢م. الأستاذة رولا إبراهيم.

- هدم الخلافة مأساة عظيمة حلت بالأمة الإسلامية، ٨ من رجب ١٤٤٣هـ الموافق ٠٩ شباط/فبراير ٢٠٢٢م. الأستاذ أسعد منصور. ■

المحور الثاني

المحور الثاني : "الخلافة" هي فرض الله الأكبر بعد وفاة الرسول ﷺ وإلى قيام الساعة

- وجوب الخلافة ماضٍ إلى يوم القيامة،
  وإبطال فكرة (إعادة الصياغة للفقه الإسلامي)

- موقف أنصار الأمس، وإكرام الله لهم،
  ووجوب نصرة دين الله اليوم

- دور العلماء الربَّانِّيين في العمل لإقامة الخلافة

- لن تستردّ أمّة الإسلام عزّها وتفكّ قيودها إلّا بقيام دولة الخلافة الرّاشدة الثّانية

بسم الله الرحمن الرحيم

وجوب الخلافة ماضٍ إلى يوم القيامة، وإبطال فكرة (إعادة الصياغة للفقه الإسلامي)

محمد صدّيق الجاوي

إن الصراع بين الإسلام وغيره من الأديان والحضارات قد بدأ منذ أن أُمِرَ محمد رسول الله ﷺ بالصدع حتى قيام الساعة، قال الله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ [الحجر : ٩٤]. فمنذ ذلك الحين بدأ الصراع الفكري بين مفاهيم الإسلام وبين مفاهيم الكفر، وظل هذا الصراع موجودًا حتى يومنا هذا، لم يتوقف ولا يجوز أن يتوقف رغم أنه أضيف إليه أنواع أخرى من الصراع ومنها الصراع الاقتصادي والصراع السياسي والصراع العسكري؛ ولكن الأساس من جميع هذه الصراعات هو الصراع الفكري، فهو أساس لكل صراع على وجه الأرض حتى يوم القيامة. (حتمية صراع الحضارات، ص ٣١ و٥٢, أبو الحسن علي الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، ص ٧-٨)

ويندرج تحت الصراع الفكري الهجوم على وجوب الخلافة في البلاد الإسلامية من قبل الكفار المستعمرين ثم من قبل عملائهم الفكريين من المسلمين. وللأسف الشديد نرى اليوم وجود بعض المسلمين المتأثرين بالأفكار الغربية الذين يهاجمون وجوب الخلافة بدلًا عن الدفاع عن وجوبها أمام هجوم الكفار. ووجوب الخلافة في الشرع أمر متفق عليه بين الأمة الإسلامية. قال الإمام القرطبي: «ولا خلاف في وجوب ذلك (أي الخلافة) بين الأمة ولا بين الأئمة، إلا ما روي عن الأصمّ؛ حيث كان عن الشريعة أصمّ. وكذلك كل من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهبه». (تفسير القرطبي، ٢٦٤/١). ونحن في هذا المقال سنأخذ أقوال أحد الذين يهاجمون إقامة دولة إسلامية، وهو وزير الشؤون الدينية الإندونيسية ياقوت خليل قَوماس كنموذج لأصحاب هذا التوجه.

ومثل تلك المهاجمة ما قاله الوزير في الشؤون الدينية الإندونيسية ياقوت خليل قَوماس في كلمة الافتتاح التي ألقاها في المؤتر السنوي الدولي العشرين في الدراسات الإسلامية (AICIS) في مدينة سوراكارتا، محافظة جاوى الوسطى، إندونيسيا يوم الاثنين (٢٠٢١/٢٠/٢٥م) . وموضوع المؤتمر هو: «الإسلام في ظلّ عالمي متغيّر: إعادة التفكير في إعادة الصياغة للفقه الإسلامي (*recontextualization of Islamic fiqh*) والسياسة العامة». ويقول الوزير: «أي محاولة لإقامة دولة إسلامية أي الإمامة العظمى العالمية (الإمامة الكبرى) والمعروفة أيضًا باسم الخلافة - لن تؤدي إلا إلى كارثة للمسلمين؛ حيث سيكون هناك العديد من الأطراف التي

تتنافس للسيطرة على المسلمين في جميع أنحاء العالم».[١] فبذلك يرفض الوزير وجوب الخلافة بناء على ما يسمَّى بـ(إعادة الصياغة) للفقه الإسلامي، والذي يمكن أن يعرّف بأنه تغيير بعض عناصر الفقه الإسلامي كالخلافة والجهاد لكي يتناسب مع واقع الحضارة المعاصرة.

وإعادة الصياغة للفقه الإسلامي عنده مبنية على أساسين: **الأول**، أن الفقه الإسلامي إنما هو النتاج الفكري القديم الذي قد اكتمل وانتهى وتجمّد في أواخر القرون الوسطى، هذا من جهة. **والثاني**، أنه قد حصل التغيير الواسع في كثير من نواحي الحياة للمسلمين تحت ما يسمى بواقع الحضارة المعاصرة، وأصبحت حياة المسلمين تنظمها الأفكار من الحضارة الغربية مثل فكرة الدولة القومية (*nation-state*) في إطار شكل الدولة وفكرة الديمقراطية في نظام الحكم وفكرة الرأسمالية في النظام الاقتصادي. وبناء على هذين الأساسين يرى أن هناك بعض عناصر الفقه الإسلامي يعتبر غير مناسب مع الحضارة المعاصرة، فمن المحتم عنده أن تُغير هذه العناصر من الفقه الإسلامي حتى تلائم واقع الحضارة المعاصرة.

ولكن يبدو أن الدعوة إلى إعادة الصياغة للفقه الإسلامي لا يُعمل بها بصراحة بل تحت ستار فكرة الإمام الشاطبي في مقاصد الشريعة. ففكرة مقاصد الشريعة في المحافظة على الدين والنفس والعقل والنسل والمال هو بمثابة القيم العالمية الثابتة التي لا تقبل التغيير ولا التبديل، مثل العدالة والمساواة والرفاهية. وأما تعاليم الشريعة أي الأحكام الشرعية في نظره ما هي إلا تفعيل لتلك القيم العالمية الثابتة، وهذا التفعيل للأحكام الشرعية قابل للتغيير أو التبديل حسب موافقتها أو عدم موافقتها للقيم العالمية الثابتة، فإذا كان موافقًا للقيم العالمية الثابتة فلا حاجة لتغيير الأحكام الشرعية؛ ولكن إذا كان معارضًا، فحينئذ يجب تغيير الأحكام الشرعية حتى توافق القيم العالمية الثابتة. هذه هي خلاصة ما يبينه الوزير ياقوت خليل قوماس في كلمة افتتاحية له في المؤتر المذكور. [٢]

وعليه، فلا غرابة أن يرفض الوزير وجوب الخلافة؛ لأن الخلافة في نظره إن هي إلا مجرد تفعيل الحكم الشرعي الذي يقبل التغيير إذا أصبحت الخلافة غير مناسبة لواقع الحضارة المعاصرة. ويترتب على هذه النتيجة أن الخلافة ليست شكل الحكم الوحيد الملزم للأمة الإسلامية، بل من الممكن الجائز أن يكون هناك شكل أو أشكال الحكم آخر غير الخلافة للمسلمين كالجمهورية أو الملك مثلًا ما دام هذا الشكل من الحكم يناسب واقع الحضارة المعاصرة التي تعتبر مظهرًا واقعيًا من القيم العالمية الثابتة التي لا يصح أن تتغير أبدًا بزعمه. ثم تأكيدًا لهذ الرفض يضيف الوزير حجة أخرى، وهي إمكانية حصول ضرر كبير وفساد عريض في الأرض إذا حاول المسلمون إقامة الخلافة من جديد في هذا العصر.

وللرد على ما يسمى بإعادة الصياغة للفقه الإسلامي (*recontextualization of Islamic fiqh*) هذا، نقول ما يلي :

الأوّل، يظهر بوضوح أن ما قاله الوزير ياقوت من رفضه الخلافة لا ينبثق إلا عن فكرة فصل الدين عن الحياة (العلمانية)، ولا صلة له بالإسلام مطلقًا، إلا من حيث طرح فكرة الإمام الشاطبي في مقاصد الشريعة كمبرر وهمي لرفضه الخلافة. ورفضه للخلافة يعني أنه يعتنق فكرة فصل الدين عن الحياة لا محالة؛ ذلك أن المسلم إذا درس دينه وتاريخ المسلمين بشكل صحيح وبدون تأثر من الأفكار الغربية السامَّة فلا شك أنه سيجد أن في الإسلام شكلًا خاصًا لنظام الحكم متميزًا عن غيره من أشكال نظام الحكم، ألا وهو نظام الخلافة. وهو النظام الذي كان قد بدأ به الرسول ﷺ في المدينة حين تسلَّم السلطان من الأوس والخزرج سنة ٦٢٢م، ثم تبعه الخلفاء الكثر من بعده جيلًا بعد جيل حتى هدم الخلافة في إسطنبول سنة ١٩٢٤م. فالإسلام دين يستحيل عليه أن يفصل عن شؤون حياة الإنسان بما فيه شأن الدولة أو نظام الحكم. وإلى جانب ذلك، فوجوب الخلافة أيضًا أمر سيجده بسهولة من يدرس كتب الفقه الإسلامي، فهذا الشيخ عبد الرحمن الجزيري يقول في كتابه (الفقه على المذاهب الأربعة): «اتفق الأئمة رحمهم الله تعالى على أن الإمامة فرض، وأنه لا بد للمسلمين من إمام يقيم شعائر الدين وينصف المظلومين من الظالمين، وعلى أنه لا يجوز أن يكون على المسلمين في وقت واحد في جميع الدنيا إمامان لا متفقان ولا مفترقان.» (الشيخ عبد الرحمن الجزيري ،الفقه على المذاهب الأربعة، ج٥ ص ٣٦٦، ط. دار الكتب العلمية).

وفضلًا عن ذلك، فهناك اتفاق على وجوب الإمامة (الخلافة) عند فرق أخرى خارج أهل السنة كما قاله الإمام ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) يقول الإمام ابن حزم : «اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة...» (الإمام ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٣ ص ٣، ط. دار الكتب العلمية).

وعلى ذلك، فوجوب الخلافة واضح لكل مسلم واعٍ لثقافته وليس الأمر غامضًا. وأينما وجد مسلم يرفض هذا الوجوب العظيم فهو إما أن يرفض عن جهل، وإما عن معرفة لكن أفسدته ثقافته الغربية الكافرة القائمة على فكرة فصل الدين عن الحياة. فلا يرفض مسلمٌ وجوب الخلافة إلا بتأثير من فكرة فصل الدين عن الحياة. هذه الفكرة التي تتناقض مع المفهوم الصحيح للإسلام الذي لا يعرف فصل الدين عن شؤون الحياة والدولة والمجتمع. (د. سفر عبد الرحمن الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، ص ١١).

الثاني، ويظهر أيضًا من قول الوزير ياقوت أنه قد جعل ما يسمى بـ(واقع الحضارة المعاصرة) مقياسًا أساسيًا يقيس عليها حضارات أخرى. فالحضارات الأخرى يجب أن تكون خاضعة تحت الحضارة المعاصرة. فكل حضارة لا توافق الحضارة المعاصرة يجب أن ترمى

وتطرح عن ميادين الحياة بلا رحمة ولا هوادة في شأنها. ومن المعلوم المكشوف جليًّا أن ما يسمى بـ(واقع الحضارة المعاصرة) في حقيقتها إنما هي الحضارة الغربية التي أساسها فصل الدين عن الحياة، ثم على أساس هذه الفكرة انبثقت أفكار أخرى في الحضارة الغربية كفكرة الدولة القومية، وفكرة الديمقراطية، وفكرة الرأسمالية، وكذلك فكرة النظام الدولي الجديد تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية. وهذه الحضارة الآن تسيطر على العالم برمته بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي في أوائل التسعينات في القرن الماضي.

إن جعل الحضارة الغربية مقياسًا لغيرها من الحضارات باطل لعدة أمور:

١ - من حيث الفكرة، إنه إذا جُعلت الحضارة الغربية مقياسًا، فهذا يعني أن الإسلام بما فيه العقيدة الإسلامية والأحكام الشرعية لا يقبل ولا يصح أن يعتنق، ولا أن يعمل به إذا كان يتناقض مع الحضارة الغربية. وإذا كان الإسلام يوافق الحضارة الغربية فحينئذ يجوز أن يعتنق أو يعمل به، حسب ما يقتضيه ما يسمى بإعادة الصياغة للفقه الإسلامي. كلا. إن هذا الأمر لا ولن يكون أبدًا حتى يوم القيامة، لأن الحق هو العكس، وهو جعل الإسلام مقياسًا أساسيًا تقاس عليه الحضارات الأخرى. ففكرة إعادة الصياغة للفقه الإسلامي تتناقض مع العقيدة الإسلامية تناقضًا كليًّا؛ حيث جعل الله سبحانه وتعالى القرآن فرقانًا للمسلمين، أي مقياسًا لهم يفرق ويميز به بين الحق والباطل. قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾. يقول الإمام ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره لقول الله تعالى

﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾: «والمراد أنه يفرق بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين النافع والضار، وبين حزب الله وحرب الله، فرقانًا في كل شيء...» (تفسير ابن كثير،ج١ص٤٠٠، ط. الدار العالمية).

وعلى ذلك، فالذي يجب أن يكون هو جعل العقيدة الإسلامية مقياسًا لكل فكر من أفكار الإنسان، وجعل الأحكام الشرعية مقياسًا لكل شيء من أفعال الإنسان، ولكل ما يتصرف به من أجل إشباع حاجاته كالأطعمة والأشربة والألبسة. فإذا انتشر الخمر في مجتمع ما مثلًا، والمعلوم أن الخمر قد حرمه الإسلام، فالذي يجب أن نقوم به هو تغيير واقع المجتمع الذي ظهر فيه عادة شرب الخمر، وليس تغيير حكم الشرع في شرب الخمر بتغيير حكمه من حرام إلى حلال، كما تقتضيه فكرة إعادة الصياغة للفقه الإسلامي. سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

٢ - من حيث الاتباع، إن جعل الحضارة الغربية مقياسًا لغيرها من الحضارات ستؤدي إلى اتباع المسلمين للحضارة الغربية، مع أن الحضارة الغربية هي حضارة خبيثة وفاشلة لا يليق بالناس فضلًا عن أن يكون يليق بالمسلمين. (محمد شاكر الشريف، العلمانية

وثمارها الخبيثة، ص ٢١-٢٨).

فكم من أزمة إنسانية وفساد عريض في الأرض نتجت من هذه الحضارة الجهنمية، ليس فقط تصيب الناس في جميع أنحاء العالم خارج بلاد الغرب، بل أيضًا تصيب الناس في بلاد الغرب نفسه. من الذي كان مسؤولًا عن استعمار شعوب آسيا وأفريقيا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين إلا أولئك الغربيون بدافع من حضارتهم الشريرة؟ من الذي كان مسؤولًا عن الحربين العالميتين الأولى والثانية اللتين أسفرتا عن مقتل عشرات الملايين من البشر إلا أولئك الغربيون بدافع حضارتهم الوحشية؟ وأيضًا من كان مسؤولًا عن قنبلتين نوويتين في هيروشيما وناجازاكي اللتين قتلتا عشرات الملايين من الأبرياء إلا أولئك الغربيون بدافع حضارتهم القاسية؟... هذا غيض من فيض من حصاد الحضارة الغربية اللاإنسانية، فكيف إذًا نجعل هذه الحضارة السيئة مقياسًا وقبلة وقدوة لنا وللناس؟ والرسول ﷺ قد حذرنا من أن نتبع حضارتهم الضارَّة النتنة التي لا تليق بالإنسان، حيث يقول ﷺ : «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حتَّى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قالَ: فَمَنْ؟**» رواه البخاري.

٣ - من حيث السياسة، إن جعل الحضارة الغربية مقياسًا لغيرها من الحضارات سيقوّي الاستعمار الغربي الكافر على المسلمين، وخاصة الاستعمار الفكري من مثل فكرة إعادة الصياغة للفقه الإسلامي. وقد نهى الله تعالى عن وجود السبيل للكافرين الذي يمكّنهم من التسلط على المسلمين، سواء أكان هذا السبيل عسكريًّا أم اقتصاديًّا أم سياسيًّا أم فكريًّا... قال الله تعالى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ ولفظ ﴿سَبِيلًا﴾ في هذه الآية جاء نكرة في سياق النفي وهو يفيد العموم. (الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص٦ ، تيسير الكريم الرحمن، ص ٢١٠-٢١١). ولذلك يشمل النهي في هذه الآية أي نوع من أنواع السبيل على الوجه العموم، بما في ذلك السبيل الفكري. فكانت الآية تدل على تحريم المسلمين أن يجعلوا أي سبيل للكافرين عليهم، في أي شأن من شؤون حياتهم. ولفظ ﴿لَنْ﴾ قرينة جازمة لتحريم ذلك. فخلاصة الكلام أنه إذا جعلت الحضارة الغربية مقياسًا لغيرها من الحضارات فمصيره الاستعمار الغربي لا محالة. وهو أمر لا يحوز شرعًا.

الثالث، وأما جعل فكرة مقاصد الشريعة أساسًا أو مبررًا لما يسمى بإعادة الصياغة للفقه الإسلامي فليس ذلك بصحيح ولا يوافق الواقع. وهو مجرد دعوى ليس لها واقع إلا زورًا وبهتانًا. فمن استخدم فكرة مقاصد الشريعة مثَله كمثل البائع الذي يغش المشتري بأن يقول له هذا لبن خالص صافٍ، مع أن واقعه أنه لبن مختلط بالماء مغشوش، والرسول ﷺ يقول: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**» رواه مسلم.

وذلك أن مقاصد الشريعة عند الإمام

الشاطبي إنما هي غايات لا يجوز أن تدرك إلا بطريقة مشروعة، ولا يجوز أن يوصل إلى الحلال بطريق الحرام. يقول الإمام الشاطبي في الموافقات: «إن تحقيق الغاية الشرعية لا يصح إلا بالطريقة الشرعية التي وضعها الشارع طريقةً لها. وكذلك إذا جاء الشرع بطريقة معينةٍ لتحقيق غاية معينةٍ فلا يصح السعي لتحقيق تلك الغاية إلا بهذه الطريقة.»[٣]

هذا هو الصحيح، يعني أن الغاية في الإسلام لا تبرر أي واسطة للوصول إليها، وهذا يخالف ما يسمَّى بفكرة إعادة الصياغة للفقه؛ لأن المهم فيها حصول الغاية بغض النظر عن الطريق التي سُلكت للوصول إلى الغاية، فقد يكون بطريق مشروعة وقد يكون بطريق غير مشروعة، بدليل أنهم قد رفضوا وجوب الخلافة لأن الهم الأكبر في نظرهم هو الغاية وليس الطريق. فأي شكل الحكم من أشكال الحكم يستطيع أن يحصل الغايات من وجود نظام الحكم، كالعدالة والمساواة والرفاهية، فلا مانع عندهم من أخذه.

وبذلك يتبين أن الذي يستخدم فكرة إعادة الصياغة للفقه إنما هو يستغل فكرة مقاصد الشريعة أسوأ استغلال. فهو في الحقيقة لا يعمل بمقاصد الشريعة على الوجه الصحيح كما يريده الإمام الشاطبي، بل الأنكى من ذلك هو يغش ويخدع المسلمين فيتظاهر كأنه يطبِّق الفكرالإسلامي؛ ولكن الحقيقة هو يطبق الفكر الغربي، ولا يطبق الإسلام بشيء.

الرابع، إن الحكم الشرعي، إذا ثبت بالأدلة الشرعية الصحيحة فهو ثابت لا يتغير ولا يتبدل بحسب الزمان والمكان إلى يوم القيامة. فالربا مثلًا هو حرام منذ زمن الرسول ﷺ، وكذلك حرام هو في زماننا اليوم، وسيبقى حرامًا حتى قيام الساعة. هذا هو الصحيح، وليس كما يقول من يستغل فكرة مقاصد الشريعة لإعادة الصياغة للفقه الإسلامي. فالحكم الشرعي عنده يتغير ويتبدل إذا كان غير مناسب للواقع المعاصر. فالربا مثلًا وإن كان قد حرمه الله بنص قطعي؛ ولكنه يمكن أن يتغير حكمه فيصبح حلالًا بزعمه، سواء أكان جزئيًّا أم كليًّا في النظام الاقتصادي الرأسمالي المطبق حاليًّا.

ففكرة تغيير الحكم الشرعي بتغير الزمان والمكان باطلة؛ لأنها تتناقض مع صفة الثبات في الحكم الشرعي. والمراد بالثبات هنا بقاء الحكم الشرعي على ما هو عليه ودوامه وعدم تغيُّره لا بزمان ولا بمكان ولا بغير ذلك. والأدلة الشرعية على ذلك كثيرة، منها:

١ - قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾. فالدين قد كمل، والنعمة كذلك قد تمت. ولذلك فالقول بجواز تغيير الحكم الشرعي يلزم عنه عدم التصديق بأن الله قد أكمل الدين، وهو في الوقت نفسه رفض لنعمة الله التي قد أتمها علينا.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ قال الإمام ابن كثير (رحمه الله): «أي صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأوامر والنواهي» .(تفسير ابن كثير،ج٢ص١٩) والحكم الشرعي

هو في باب الأمر والنهي، وحيث تغير العدل كان الظلم. (محمد شاكر الشريف، ثبات الأحكام الشرعية ، وضوابط تغيُّر الفتوى) [٤]

وعلى ذلك، فإن فكرة إعادة الصياغة للفقه الإسلامي مردودة لأنها تغيير الحكم الشرعي من غير دليل من الكتاب والسنة، والذي يحصل هو تغيير الحكم الشرعي بدليل تغير الزمان والمكان، مع أن الزمان والمكان ليسا من الأدلة الشرعية المسوِّغة للتغيير.

قال الإمام ابن حزم : «إذا ورد النص من القرآن أو السنة الثابتة في أمر ما... فصحَّ أنه لا معنى لتبدل الزمان، ولا لتبدل المكان، ولا لتغير الأحوال، وأن ما ثبت فهو ثابت أبدًا في كل زمان وفي كل مكان، وعلى كل حال، حتى يأتي نص ينقله عن حكمه في زمان آخر، أو مكان آخر، أو حال أخرى» (الإمام ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج ٥ ص ٢و ٣).

فتغيير الحكم الشرعي الثابتة أدلته الشرعية لا قيمة له ولا أساس له على الإطلاق. وأكّد الإمام ابن حزم في نفس المصدر أن تغيير الحكم الشرعي إنما يكون بالدليل الشرعي فقط لا غير. فلا قيمة للزمان والمكان لتغيير الحكم الشرعي ما دام أنه لا يوجد دليل من الكتاب والسنة يدل على جواز التغيير. فالمغيِّر هو الدليل (النص) وليس الزمان ولا المكان ولا غير ذلك. قال الإمام ابن حزم : «وأما نحن فلا ننتقل عن حكم إلى حكم آخر إلا ببرهان.» (نفس المصدر).

وبهذا يظهر بطلان القول في رفض وجوب الخلافة بحجة أنه قد تغير الزمان والمكان تأثرًا بالحضارة الغربية وبطلان طلب ترك المحاولة لإقامة الخلافة من جديد. فهذا القول باطل لأن وجوب الخلافة من الأحكام الشرعية الثابتة بالأدلة الشرعية المعتبرة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، والقواعد الشرعية المستنبطة باجتهاد صحيح. فوجوب الخلافة ماضٍ إلى يوم القيامة لا يبطله أي فكر من الأفكار، مثل الفكرة الباطلة التي تسمى بـ (إعادة صياغة الفقه الإسلامي).

الخامس، إن الضرر الناتج عن إقامة الفرض الشرعي الثابت لا يبطل هذا الفرض بحال من الأحوال. فالقول بأن أي محاولة لإقامة الخلافة لن تؤدي إلا إلى كارثة للمسلمين باطل لعدة وجوه، منها:

١- يفهم من هذا القول بأن الضرر الناتج من محاولة إقامة الخلافة يكون مانعًا من العمل لإقامة الخلافة، ويفهم منه كذلك أن الضرر الحاصل من تلك المحاولة قد أبطل وجوب الخلافة شرعًا. هذا أمر لا يكون مطلقًا؛ وذلك لأن الحكم الشرعي الثابت لا يبطله حصول الضرر بأي شكل من الأشكال، مثل ضياع الأموال، أواحتراق المنازل، أوقتل الأنفس أو غير ذلك، في سبيل إقامتها. والدليل على ذلك ما بيَّنَّاه سابقًا من أن الحكم الشرعي إذا ثبت بالأدلة الشرعية الصحيحة فهو ثابت لا يتغير ولا يتبدل بحسب الزمان والمكان؛ ولذلك حصول الضرر من القيام بالفرض لا يغير الحكم على هذا الفرض على الإطلاق، فضلًا عن أن يبطله. وهذا

الفرض باقٍ لا يتغير، والذي يمكن أن يقام به هو إزالة الضرر الناتج ما أمكن إلى ذلك سبيلًا وليس إزالة هذا الفرض نفسه. ألا ترى أنه قد تحصل مصيبة الموت بسبب الازدحام الشديد عندما يقوم الناس بفريضة الحج، كما حصل أكثر من مرة، فهو قد حصل ولكن لم يقل أحد أن هذه الحادثة قد أبطلت فريضة الحج؛ وذلك لأن فريضة الحج حكم شرعي ثابت لا يتغير بتغير الزمان والمكان. وكذلك فريضة الخلافة سواء بسواء، فإنه قد وقع الضرر بسبب العمل لإقامتها من جديد، مثل تضييق الرزق أو التعذيب النفسي والجسدي أو الملاحقات أو القتل ظلمًا... وغير ذلك من الضرر من الحكام الخونة العملاء للغرب؛ ولكن كل ذلك لا يغير هذا الفرض العظيم على الإطلاق فضلًا عن أن يبطله. وهذا الفرض باق لا يتغير حتى قيام الساعة لأن فريضة الخلافة حكم شرعي ثابت لا يتغير بتغير الزمان والمكان. فوجوب الخلافة ماضٍ إلى يوم القيامة لا يبطله أي ضرر يتسببه لحامليها.

٢- قد يكون القائل بهذا قد فهم خطأً أن إقامة الخلافة طريقها القتال، فيتخيل أن محاولة إقامة الخلافة سيكون نشاطًا دمويًّا مخيفًا بكثرة الضحايا من الأبرياء. والجواب على ذلك هو أن الطريق الصحيحة لإقامة الخلافة إنما هي نفس الطريق التي كان الرسول ﷺ عليها. والطريق إلى الخلافة، باختصار شديد، ليست بطريق القتال بل بطريق حمل الدعوة الإسلامية تثقيفًا لشباب الكتلة ابتداءً، ثم تفاعلًا مع الأمة ثانيًا، وطلبًا للنصرة من أهل القوة، ثم ثالثًا استلامًا للحكم منهم لتطبيق الأحكام الشرعية في جميع نواحي الحياة في الداخل وحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم بالدعوة والجهاد في سبيل الله في الخارج.

وبناء على كل ما تقدم، فإن ما يسمى بإعادة الصياغة للفقه الإسلامي (*recontextualization of Islamic fiqh*) إنما هو هجوم فكري من عملاء الغرب للقضاء على الإسلام بشكل عام، وللقضاء على وجوب الخلافة بشكل خاص. والغاية من ذلك هو لإطالة وتثبيت الاستعمار الغربي خاصة الاستعمارالأمريكي في إندونيسيا، وفي الوقت نفسه للحيلولة دون إقامة الخلافة من جديد.

قال الله سبحانه تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾. ■

(١) .ganemek.www//:sptth
-gnorodnep-isidnok-٤١/daer/di.og
-hikif-isasilautsketnoker-ayngnitnep
labolg-are-id

(٢) /daer/di.og.ganemek//:sptth
-nasala-tapme-tubes-ganem-١٢٠٢-sicia
-hikif-isasilautsketnoker-ayngnitnep
xwnkx

(٣) /ra/ofni.rirhat-tu-bzih//:sptth
/selcitra/snoitces-cidarops/php.xedni
lmth.٥٤٤٩٥/lacitilop

(٤) /taoD/ten.diaas.www//:ptth
mth.٣/ferahsla

بسم الله الرحمن الرحيم

موقف أنصار الأمس وإكرام الله لهم ووجوب نصرة دين الله اليوم

الكاتب: أبو أيمن الأثوري - اليمن

بين الحديث عن أنصار الأمس وعنوانه إقامة دولة الإسلام الأولى على يد الرسول ﷺ والحديث عن أنصار اليوم الذين تنتظر الأمة من الله سبحانه وتعالى أن يقيِّضَهم لنصرة الدعوة التي تدعو إلى إقامة دولة الخلافة الراشدة التي بشر الرسول ﷺ أنها تقوم في آخر الزمان... تنتظر الأمة أن تخرجها هذه الخلافة مما هي فيه من حياة ضنكى، وتعيدها إلى مركز القيادة على المسرح الدولي، وبالتالي ينتظر العالم أن تخرجه مما هو فيه من توحش الرأسمالية المتوحشة التي أصبح زوالها ضرورة بشرية... فالنصرة لها رجال لا كالرجال، رجال تتقدم نصرة الدين عندهم على الدنيا بما فيها من أمن أو أهل أو مال أو جاه... رجال يحبون الله كمصعب بن عمير، وأسعد بن زرارة، وأسعد بن زرارة، أُسَيد بن حضير، وهاكم موجز قصير لرجال النصرة الأولى ليستبصر رجال النصرة اليوم بهم.

- **مصعب بن عمير** رضي الله عنه: هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب. وصفه الذهبي في: «سير أعلام النبلاء» فقال: «السيد الشهيد، السابق البدري، القرشي العبدري» ولد بمكة، ونشأ فيها بين أبوين يُعدَّان من أثرى أثريائها، فأسرَّ إسلامه، ولـمَّا علم والده بذلك، لاقى الحرمان والتعذيب، فصار يحمل على أعواد القوس من الجوع والعري. بعثه الرسول ﷺ إلى المدينة لتعليم ودعوة أهلها. ومات شهيدًا في أُحُد في السنة الثالثة من الهجرة.

- **أسعد بن زرارة** رضي الله عنه: هو أسعد بن زرارة بن مالك بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، نقيب بني النجار، أبو أمامة الأنصاري الخزرجي، من كبار الصحابة، قديم الإسلام؛ شهد العقبة الأولى، والثانية، وكان من الفئة الذين لقوا النبي ﷺ قبل بيعة العقبة الأولى بسنةٍ، **وكان نقيبًا على قبيلته. وكان هو نقيب النقباء الاثني عشر**، الذين بايعوا الرسول ﷺ في بيعة العقبة الكبرى، وقيل إنه أول من بايع في تلك البيعة. مات رضي الله عنه قبل بدر بمرض يأخذ بالحلق، كواه رسول الله ﷺ وقال: «لأبلغن أو لأبلين في أبي أمامة عذرًا».

- **سعد بن معاذ** رضي الله عنه: **هو سيد الأوس**، سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، أبو عمر الأنصاري الأوسي الأشهلي، البدري رمي بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهرًا، أخرج البخاري في «صحيحه»

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ ﷺ فأرسل النبي ﷺ إلى سعد، فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد قال للأنصار: «**قوموا إلى سيدكم أو خيركم، فقال: هؤلاء، أي بني قريظة، نزلوا على حكمك**» فقال: تُقتل مقاتلتهم، وتُسبى ذراريهم. قال: «**قضيت بحكم الله**، وربما قال: «**بحكم الملك**». ولما مات ﷺ قال الرسول ﷺ: «**اهتز عرش الرحمن لموت سعد**».

- **أسيد بن حضير** ﷺ: هو أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن نافع بن امرئ القيس بن زيد بن الأشهل الأنصاري، الأوسي الأشهلي، أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة الثانية، أسلم قديمًا، **وكان أبوه شريفًا مطاعًا، يدعى حضير الكتائب، وكان رئيس الأوس يوم بعاث**، فقتل يومئذ قبل الهجرة بست سنين، وكان أُسيد يعد من عقلاء الأشراف، وذوي الرأي، وقد ورد في «صحيح البخاري»: «أن أسيدًا وعباد بن بشر كانا عند النبي ﷺ فخرجا في ليلة مظلمة، وإذا نور بين أيديهما حتى تفرقا، فتفرق النور معهما». وأُسَيد بن حضير هذا هو الذي تنزلت الملائكة على قراءته، كما ذكر ذلك البخاري في «صحيحه»، وتوفي ﷺ سنة ٢٠هـ.

يلاحظ أن هؤلاء النفر كانوا من كرام الناس وسادتهم وأثراهم، ولم يخرجهم ما هم فيه من نعيم وجاه إلا إيمان بالله صادق آثروا فيه الآخرة على الحياة الدنيا...

أما قصة النصرة وتفاصيلها، فقد ذكرتها كتب السير وأفاضت فيها وذكر بعضها ما لم يذكره الآخر حتى اكتملت تفاصيلها، وأصبحت واضحة المسلك لمن أراد أن يتأسى بسيرة الرسول ﷺ والوصول بها إلى ما وصل إليه الرسول ﷺ من إقامة الدين بإقامة الدولة في المدينة المنوَّرة. فقد ذكرت السير أنه عندما تجمَّد مجتمع مكة أمام رسول الله ﷺ، وكذلك عندما مات عمه أبو طالب وزوجته خديجة رضي الله عنها، اشتدَّ الأذى على رسول الله ﷺ، فخرج إلى القبائل يدعوهم إلى الإسلام.

الرسول يبلغ الدعوة للقبائل: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم إذا كانت على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدِّقوه ويمنعوه حتى يبيِّن لهم عن الله ما بعثه به... كان الرسول يدعو القبائل ﷺ القوية بغية نصرته وإقامة الدولة الإسلامية فيها إن هي قبلت عرضه، وقد تم له ذلك ولكن بعد عناء واصطفاء، فقد عرض دعوته تلك على كثير من القبائل فردَّته، ومنها من ردَّه شرَّ ردٍّ وطرده شرَّ طِردة... حتى اصطفى الله لهذا الفرض العظيم أهل المدينة، والذين ظهر فيما بعد أنهم كانوا من المؤمنين حقًّا... هذا وقد ذكرت كتب السير تفاصيل وافية لتكون نبراسًا للمسلمين اليوم للتأسي بها الفرض على وجهه الصحيح.

بدء إسلام الأنصار: فلما أراد الله عز وجل

إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه نفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة، لقي رهطًا من الخزرج أراد الله بهم خيرًا. ولما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: «**من أنتم؟**» قالوا: نفر من الخزرج، قال «أمن موالي اليهود؟» قالوا: نعم. قال: «أفلا تجلسون أكلمكم؟» قالوا: بلى. فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام، أن يهود، وكانوا معهم في بلادهم. وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيًّا مبعوثًا الآن قد أظلَّ زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم!

فلما كلَّم رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: تعلمون والله إنه لَلنبي الذي توعدكم بهم يهود، فلا يسبقنَّكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدَّقوه وقبلوا منه ماعرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنَّا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العدوان والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الذين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعزُّ منك، ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدَّقوا وهم فيما ذُكِر لي ستة نفر من الخزرج. فلمَّا قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم تبقَ دار من دور الأنصار إلَّا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ.

بيعة العقبة الأولى:

حتى إذا كان العام المقبل، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلًا فلقُوه بالعقبة، وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب، فمنهم أسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وعبادة بن الصامت، وأبو الهيثم بن التيهان. عن عبادة بن الصامت قال: كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلًا، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفترض الحرب، على ألا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك فأمركم إلى الله عزَّ وجلَّ، إن شاء عذب، وإن شاء غفر. قال ابن اسحاق: فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمَّى المقرئ بالمدينة وكان يصلي بهم...

قصة إسلام سعد بن معاذ وأُسَيد بن حُضَير،

رَوَىْ ابْنُ إِسْحَاقَ:

(وَحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ مُعَيْقِبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ خَرَجَ بِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ يُرِيدُ بِهِ دَارَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ ابْنَ خَالَةِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَدَخَلَ بِهِ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَرٍ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْمُ ظَفَرٍ كَعْبُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ- قَالَا: عَلَى بِئْرٍ يُقَالُ لَهَا: بِئْرُ مَرَقٍ، فَجَلَسَا فِي الْحَائِطِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رِجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَكِلَاهُمَا مُشْرِكٌ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا سَمِعَا بِهِ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ: لَا أَبَا لَكَ، انْطَلِقْ إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دَارَيْنَا لِيُسَفِّهَا ضُعَفَاءَنَا، فَازْجُرْهُمَا وَانْهَهُمَا عَنْ أَنْ يَأْتِيَا دَارَيْنَا، فَإِنَّهُ لَوْلَا أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ مِنِّي حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ كَفَيْتُكَ ذَلِكَ، هُوَ ابْنُ خَالَتِي، وَلَا أَجِدُ عَلَيْهِ مُقَدَّمًا، قَالَ: فَأَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَآهُ أَسْعَدُ بْن زُرَارَةَ، قَالَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ قَدْ جَاءَكَ، فَاصْدُقِ اللَّهَ فِيهِ، قَالَ مُصْعَبٌ: إِنْ يَجْلِسْ أُكَلِّمْهُ. قَالَ: فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمَا إِلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضُعَفَاءَنَا؟ اعْتَزِلَانَا إِنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ، فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوَتَجْلِسُ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ: أَنْصَفْتَ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ إِلَيْهِمَا، فَكَلَّمَهُ مُصْعَبٌ بِالْإِسْلَامِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَقَالَا: فِيمَا يُذْكَرُ عَنْهُمَا: وَاَللَّهِ لَعَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي إِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَجْمَلَهُ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِي هَذَا الدِّينِ؟ قَالَا لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتَطَهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي. فَقَامَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وَتَشَهَّدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: إِنَّ وَرَائِي رَجُلًا إِنْ اتَّبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ، وَسَأُرْسِلُهُ إِلَيْكُمَا الْآنَ، سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وَانْصَرَفَ إِلَى سَعْدٍ وَقَوْمِهِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُقْبِلًا، قَالَ: أَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أُسَيْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى النَّادِي قَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: كلّمتُ الرجلَيْن، فو الله مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْسًا، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا، فَقَالَا: نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ، وَقَدْ حُدِّثْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ لِيَقْتُلُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ، لِيُخْفِرُوكَ.

قَالَ: فَقَامَ سَعْدٌ مُغْضَبًا مُبَادِرًا، تَخَوُّفًا لِلَّذِي ذُكِرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ،

ثُمَّ قَالَ: وَاَللَّهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَآهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنَّيْنِ، عَرَفَ سَعْدٌ أَنَّ أُسَيْدًا إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا، ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ، (أَمَا وَاَللَّهِ)، لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ الْقَرَابَةِ مَا رُمْتَ هَذَا مِنِّي، أَتَغْشَانَا فِي دَارَيْنَا بِمَا نَكْرَهُ- وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: أَيْ مُصْعَبُ، جَاءَكَ وَاَللَّهِ سَيِّدُ مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ، إِنْ يَتَّبِعْكَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ مِنْهُمْ اثْنَانِ- قَالَ: فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوَتَقْعُدُ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا وَرَغِبْتَ فِيهِ قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟

قَالَ سَعْدٌ: أَنْصَفْتَ. ثُمَّ رَكَزَ الْحَرْبَةَ وَجَلَسَ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، قَالَا: فَعَرَفْنَا وَاَللَّهِ فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ؛ لِإِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ؟ قَالَا: تَغْتَسِلُ فَتَطَهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، قَالَ: فَقَامَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وَتَشَهَّدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ رَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ، فَأَقْبَلَ عَامِدًا إِلَى نَادِي قَوْمِهِ وَمَعَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ.

قَالَ: فَلَمَّا رَآهُ قَوْمُهُ مُقْبِلًا، قَالُوا: نَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدُنَا (وَأَوْصَلُنَا) وَأَفْضَلُنَا رَأْيًا، وَأَيْمَنُنَا نَقِيبَةً، قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تُؤْمِنُوا باللَّه وبرسوله.

قَالَا: فواللهِ مَا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا وَمُسْلِمَةً، وَرَجَعَ أَسْعَدُ وَمُصْعَبٌ إِلَى مَنْزِلِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، حَتَّى لَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ،

بيعة العقبة الثانية

ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة، وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم، مع حجاج قومهم من أهل الشرك، حتى قدموا مكة. فواعدوا رسول الله العقبة، من أوسط أيام التشريق، حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته، والنصر لنبيه، وإعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله.

وفد المدينة يجتمع بالرسول ﷺ: قال: كعب بن مالك: ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق. فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله لها ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبًا للنار غدًا، ثم دعوناه، إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد

الرسول ﷺ إيانا العقبة، فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبًا، ونمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة (ونحن ثلاثة وسبعون رجلًا، ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب، وأسماء بنت عمرو بن عدي).

ما جرى أثناء لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم بوفد الأنصار: قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس ابن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثَّق له. فلما جلس كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يامعشر الخزرج - وكانت العرب تسمي هذا الحي من الأنصار الخزرج، خزرجها وأوسها - إن محمدًا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عِزٍّ من قومه، ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم منه ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده. فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يارسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغَّب في الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم!

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: والذي بعثك بالحق نبيًّا، لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرًا عن كابر!. فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله، أبو الهيثم بن التيهان، فقال يارسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالًا وإنَّا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيتَ إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك و تدعنا؟ فتبسم رسول الله ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم! وقد كان قال رسول الله ﷺ: أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيبًا ليكونوا على قومهم بما فيهم. فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا: تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس..

وكان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم بايع بعدُ القوم .فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط!: يا أهل الجباجب، هل لكم في مذمم والصباة معه وقد اجتمعوا على حربكم؟ فقال رسول الله ﷺ هذا أزب العقبة، هذا ابن أزيب. ثم قال رسول الله ﷺ: **ارفضو إلى رحالكم.**

فقال له العباس بن عبادة بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلنَّ على أهل منى غدًا بأسيافنا!. فقال رسول الله ﷺ: **لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم.** فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا عليها حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حيٍّ من العرب أبغض الينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم، فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ماكان من هذا شيء، وما علمناه! وقد صدَقوا لم يعلموه. قال: وبعضنا ينظر إلى بعض. وبهذا يكون قد وجد للرسول ﷺ أنصار للإسلام. وعندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أقام الدولة الإسلامية.

طلب النصرة في ميزان الشرع:

يعتبر طلب النصرة من أهل القوة لإقامة الحكم بما أنزل الله هو حكم شرعي من أحكام طريقة إقامة الدولة الإسلامية التي أقامها الرسول ﷺ والتي على الكتلة التي تعمل لإقامة الدولة الإسلامية أن تتأسى بها اليوم لتقيمها **خلافة راشدة على منهاج النبوة.** والنصرة من حيث واقعها تُطلب من أهل القوة وتُعطى لأهل الدعوة من الكتلة التي تكون قد أعدَّت شبابها ليقوموا بأعباء الدعوة وإقامة الدولة، وهيَّأت نفسها ليكون منها الخليفة ومعاونوه ووزراؤه والولاة... على الأقل عند أول قيامها... والتي تكون قد وضعت التصور الواضح للدولة الإسلامية وأركانها وقواعد الحكم فيها وسطَّرت الدستور المستنبط من الأدلة الشرعية والمنويّ الحكم به ليكون حُكمًا حقيقيًا بما أنزل الله، والتي تملك خبرة في الدعوة وحنكة في السياسة تمكِّنها من فهم أفكارها ومناوراتها وخباياها، والتي تكون قد خاضت في الدعوة وغاصت فيها حتى ما فوق الأعناق، وصبرت على أمر الله فيها حتى ذاقت أمرَّيها، وأعدت شبابها حتى غدا قسم كبير منهم رجال دولة، وعملت في الأمة حتى جعلت مطلب الخلافة رأيًا عامًا عندها... ولم يبقَ إلا أن يستجيب لدعوتها أهل قوة وإيمان ليكونوا أنصارًا لله، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾.

فأهل القوة من المسلمين قد طلب الله منهم أن يقوموا بدورهم في إقامة الدولة الإسلامية كما فعل الذين من قبلهم أنصار الله ورسوله. وهم إذ لم يفعلوا فسيبوؤون بإثم عظيم، فالدولة الإسلامية التي يراد إقامتها تحتاج إلى قوة لتأخذ الحكم من القوة السابقة ولتكون أهل قوة للدولة الإسلامية التي ستقوم. وهؤلاء عندما ينصرون الله فإنما يطيعون الله وينصرون دينه ولا ينصرون أحدًا غيره، بل يلتقون مع الكتلة السياسية التي أعدت نفسها كذلك طاعة لله لإقامة الخلافة التي تحكم بما

أنزل الله، فالله سبحانه هو الذي أمر الكتلة السياسية أن تطلب النصرة من أهل القوة من المسلمين. وأهل القوة قد طلب الله منهم أن يستجيبوا لها عندما تطلبها هذه الكتلة منهم؛ إذًا فالأمر كله هو أمر الله، أمر الله بطلب النصرة، وأمر الله بالاستجابة لها. والله سبحانه عندما طلب من أهل القوة نصرة أهل الدعوة الساعين لإقامة الدولة فإنما طلبه حصرًا منهم، وليس من غيرهم، وهم عندما يتقاعسون عن ذلك فمعنى ذلك أن استمرار الحكم بالكفر وعدم وضع حد له سيكون المسؤول الأول عنه هم أهل القوة المتقاعسين عن نصرة الدين.

إننا عندما نقول إن الأمة قد وجد فيها الكتلة السياسية التي أعدَّت نفسها لهذه المهمة الجليلة، وعندما نرى أن الأمة بمجموعها قد حزمت أمرها للعودة إلى العيش في كنف الحكم بالإسلام، فهذا يعني أن الكرة الآن قد أصبحت في ملعب أهل النصرة، وما عليهم إلا أن يحزموا أمرهم ويتوجهوا إلى المرمى ليسدِّدوا فيه هدفهم بإقامة أمر الله. وإن أهل النصرة عندما ينصرون الدعوة يجب أن يكونوا بإمرتها؛ لأن الشرع أمر بذلك، ومن ثم لأن قيام الدول جميعها تقوم على الحكم بالأفكار والقناعات والأنظمة وليس بالقوة، بل القوة هي لحمايتها ونصرتها.

نعم، إن الدعوة في مكة قد بلغت غايتها بتحقيقها ثلاثة أمور أساسية لا يستغنى عن أي واحدة منها في إقامة دولة الإسلام الأولى التي أقامها الرسول ﷺ في المدينة، وهي تكمل بعضها بعضًا حتى يكتمل بها بنيان إقامة الدولة، وهذه الأمور الثلاثة هي:

- **المهاجرون**، وهم الرسول وصحابته الذين كانوا معه في كتلة، والذين كان يتلو عليهم الرسول عليه الصلاة والسلام آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويبعث فيهم مشاعر الإيمان، والذين عاشوا معه أشد أيام الدعوة وصبروا على لأوائها، والذين اختارهم الله لنبيه ليكونوا بين يديه وزراء وولاة وقضاة، ومن بعده ليكونوا هم أهل الحكم فيه.

- **القاعدة الشعبية** أو الحاضنة الشعبية للرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم ولدعوته، والتي تمثَّلت بأهل المدينة المنوَّرة التي فشا فيها الإسلام إلى الدرجة التي صارت الكلمة العليا لأتباعه؛ ما جعلها أرضية صالحة لإقامة الدولة الإسلامية الأولى.

- **الأنصار**، وهم من كان بيدهم القوة والمنعة والقدرة على تقديم الحماية للرسول ودعوته في المدينة، وهم من وضعوا قوتهم تحت إمرة الرسول ﷺ كليًا. وبما أن النصرة أساس الطلب فيها هو الإيمان بالله وبالرسول ونصرة الدين؛ لذلك لم يكن جزاؤها إلا الجنة، ولم يكن فيها أيٌّ من العروض الدنيوية...

وبعدها يمكن أن يقال إنه حُقَّ لدولة فيها كتلة سياسية قامت على أساس مبدأ الإسلام

على طريقة الصحابة عندما كانوا مع رسول الله في مكة... أن تقام. وحُقَّ لهذه الكتلة التي صبرت على لأواء الدعوة وحفرت طريقها بكل همة متجاوزة كل الصعوبات، واستطاعت بفضل الله ورعايته أن توجد رأيًا عامًا ينبثق عن وعي عام على الحكم بالإسلام كما حدث في المدينة، وبقي أن يستجيب لها أهل قوة من أهل الإيمان لينصروها... حُقَّ لها أن تُنصر. فما على أهل القوة من المسلمين اليوم وقد وُطِّئت لهم الطريق إلا أن يحزموا أمرهم لنصرة الدين وإقامة الخلافة، ويفتشوا عن الكتلة التي تعمل لإقامة الخلافة ليكونوا هم القوة التي تفتش عنهم. ويمكن القول إن مشروع إقامة الخلافة واقف عند هذا الباب، بل إن خلاص المسلمين اليوم بات متوقفاً عليه، ولو رجعنا إلى الوراء نلتمس نورًا من سيرة الرسول ﷺ فإننا نجد حالة مشابهة لما نحن عليه. فالرسول ﷺ طلب النصرة، وكان الصدُّ وقبحُ الردِّ وعدم الاستجابة هو السائد؛ ولكن الرسول ﷺ تغلَّب عليه بالصبر على أمر الله والإصرار حتى فتح الله له قلوب أربعة من زعماء يثرب. وتبيِّن السيرة النبوية المشرفة أن طلب النصرة طلب صعب الاستجابة له لما يحفُّه من مخاطر؛ من هنا كان لا يقدم على هذا الأمر إلا من كان صادق الإيمان قويَّهُ، مستعدًّا لأن يقدم نفسه وكل ما يملكه من عزٍّ وقوةٍ وجاهٍ لله رب العالمين، فقد ذكر ابن هشام في سيرته أن فيها مفارقة العرب وإشهار العداء للأعداء وقتل الأشراف وتهديد الولد... وماذا للذين ينصرون دين الله: لهم الجنة فقط، هذا القول يحمل معنى أن المطلوب فيمن يطلب منهم النصرة إخلاص الدين لله وحده... فلم يقدَّم لهم وعد بدنيا ولا مال وجاه ولا عز ولا مكانة... بل قدِّم لهم ما هو أكبر من ذلك؛ لذلك كانت مرتبة من يقدم النصرة اليوم كمرتبة سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن لموته. وهل هناك بشارات بالنصر في الدنيا وعلو منزلة في الآخرة من مثل هذا الوعد الصادق من الرسول الكريم: «**يأيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم، فإذا متم كنتم ملوكًا في الجنة)**».

نعم، إن الله سبحانه قد جعل الأنصار شركاء المهاجرين وصنوَّهم في الإكرام وبعدَهم مباشرة في المنزلة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠] وقال جلَّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [الأنفال: ٧٢] وقال جلَّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم

مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ [الأنفال: ٧٤]

إن ما يشير وبشكل واضح إلى أن من يريد أن ينصر هذه الدعوة هم مسلمون شديدو الإيمان، فائقو الشعور بالمسؤولية تجاه هذا الدين ممن يحملون همَّها ويريدون إخراجها من الحصار والتضييق والحرب عليها... وهو ما تساءل النفر الأول من المسلمين في يثرب الذين استجابوا لدعوة الرسول في نصرة دعوته وحمايتها بقولهم: «**حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف؟»... ونحن نتساءل اليوم:** يا أهل القوة: حتى متى نترك دعوةً هي مثل دعوة رسول الله ﷺ من غير أن ننصرها ونمكنُّها؟ إلى متى نترك هذه الأمة تعاني ما تعانيه من ظلم وإجرام وإضلال وإفقار... من غير أن ندفع عنهم غائلة الظلم والقتل والضنك من أعداء الله الغربيين الكفَّار وزبانيتهم الحكَّام.

فمن منكم، **أيها المسلمون**، يكونون أنصار الله كما كان الأنصار باالأمس؟ وأين أنصار اليوم الذين ينصرون دين الله عز وجل بتحكيم شرعه؟ وأين المخلصون من أبناء الأمة الإسلامية الذين لديهم القوة والمنعة؟ أين المؤثِّرون الذين لديهم القدرة على قلب الطاولة على هؤلاء الحكام الخونة؟... أليس منكم رجل رشيد يثور للأمة المكلومة على أمرها... أليس منكم رجل غيور على حال أمة الإسلام يخرجها من الذل والجور، من التشرُّد والانقسام، إلى حياة عزيزة كريمة.

يا أحفاد الأنصار، أيها المخلصون من أبناء الأمة الإسلامية، يكفينا ذلًّا وضعفًا. يكفي مئة عام ونحن متفرِّقين، والكافر المستعمر يعيث في الأرض فسادًا.

يا أحفاد المسلمين الأوائل الأبطال، أحفاد خالد والناصر صلاح الدين وقطز والظاهر بيبرس، بايعوا المخلصين من أمتكم، بايعوا **حزب التحرير** الذي أعدَّ مشروع دستور إسلامي لدولة خلافة إسلامية راشدة، وهو يعمل مخلصًا الدين لله لإقامة حكم الله في الأرض، لإقامة الخلافة الراشدة التي ترضي الله ورسوله، وهل هناك ما يقيم حياة المسلمين من نظام حكم، ونظام اقتصادي، ونظام اجتماعي، ونظام معاملات، وعقوبات، ومنهج تعليم وسياسة خارجية إلا الخلافة؟!... إنها فرض الله عليكم، بها تعزُّون ويعزُّ دينكم، ويذل الكفر وأهله أو تُذلُّون ويهاجَم الإسلام وينعت بأبشع الأوصاف ويظهر الكفر على الإيمان كما هو حادث اليوم من غير إقامتها... إنها النصرة أيها المسلمون، إنها حق الله عليكم يا أهل القوة من المسلمين، إنها السبيل الوحيد لإخراج الأمة الإسلامية من أدناها إلى أقصاها إلى حياة كريمة في ظل دولة الإسلام. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

دور العلماء الربَّانيِّين في العمل لإقامة دولة الخلافة الراشدة

يس مطهر الإندونيسي

الناس بلا علماء هم جهال تتخطفهم شياطين الإنس والجن من كل حدَب وصوب، وتعصف بهم الضلالات والأهواء من كل جانب. ومن هنا كان العلماء من نعم الله تعالى لأهل الأرض، وهم مصابيح الدُّجى وأئمة الهدى وحجة الله في أرضه. بهم تُمحق الضلالة من الأفكار، وتنقشع غيوم الشك من القلوب والنفوس، فهم غيظ الشيطان وركيزة الإيمان وقوام الأمة، مثَلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء يُهتدى بهم في ظلمات الحياة إذا ما طُمست النجوم أوشك أن تضل الهُداة.

من المصائب الكبرى التي أصابت الأمة الإسلامية بعد هدم دولة الخلافة غياب دور العلماء الريادي في حقل الدعوة الإسلامية وفي مجال السياسة الشرعية. فكثير من العلماء يلعبون دورًا هامشيًّا في مجال العبودية الروحية والأمور الأخلاقية. فهم يدعون الأمة إلى الكتاب والسنة من الناحية الروحية، أما من الناحية السياسية فهم يتركونها للسياسيين العلمانيين. أما الـذين يدعون إلى الكتاب والسنة في جميع نواحي الحياة فهم يُحارَبون ويُتَّهمون بالتشدُّدية والإرهابيَّة؛ وعليه، فلابد من البيان الشافي حول العلماء من هم، وحول دورهم في قيادة الأمة وإنهاضها من الانحطاط الذي أصابها منذ زمان طويل.

من هم العلماء؟

إذا أطلق لفظ العلماء، فالمراد بهم العلماء في مجال الشريعة، أي العلماء في الدين، الذين جاء وصفهم في القرآن الكريم بأنهم:

- الذين يخشون الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾

- الذين يبلغون دين الله من عقيدة وشريعة ويخشون الله ولا يخشون الناس، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾

قال الحافظ أبو فداء ابن كثير في تفسيره: يمدح تعالى الذين يبلغون رسالات الله) أي: إلى خلقه ويؤدونها بأمانتها) ويخشونه (أي: يخافونه ولا يخافون أحدًا سواه، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ أي: وكفى بالله ناصرًا ومعينًا.

وسيد الناس في هذا المقام، بل وفي كل مقام، هو سيدنا محمد رسول الله ﷺ، فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب، إلى جميع أنواع بني آدم، وأظهر

الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع، فإنه قد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وأما هو، صلوات الله وسلامه عليه، فإنه بُعث إلى جميع الخلق عربِهم وعجمِهم ، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلى من قام بها من بعده أصحابُه ﷺ، فقد بلَّغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في ليله ونهاره، وحضره وسفره، وسره وعلانيته، فرضي الله عنهم وأرضاهم. ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدي المهتدون، وعلى منهجهم يسلك الموفقون. فنسأل الله الكريم المنَّان أن يجعلنا من خلف العلماء الموثوقين الذين يوفون بميثاق الله عليهم.

- الذين لا يكتمون العلم ولا يشترون به ثمنًا قليلًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾

- الذين يدعون إلى الله كما دعا رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ فالعلماء ليسوا مجرد دعاة ووعاظ ومعلمين ومرشدين، وإنما هم إلى جانب ذلك أولياء أمر المسلمين، وهم في صلب أهل الحل والعقد الذين يناط بهم سياسة الأمة وتوجيه أحداثها وصناعة حاضرها ومستقبلها، وهم الذين عناهم الله بالدرجة الأولى في الآيات التي تأمر بالطاعة لأولي الأمر وردِّ الأمور إليهم في سلمهم وحربهم وفرحهم وكربهم، فمن هذه الآيات: قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾، فهذه الآية الكريمة تأمر المسلمين بطاعة أولي الأمر، وهذا يعني أن لهم نفوذًا وسلطانًا، وأولو الأمر هنا هم: «أصحاب الأمر وذووه، وهم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام؛ فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء والأمراء»... وما إلى ذلك من الخصال التي وصفهم بها القرآن الكريم.

العلماء والميثاق

إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء بتبيين ما في الكتاب من العقائد والأحكام للناس ولا يكتمونه كائنًا ما كان، ومهما كانت الظروف المحيطة بهم، ومهما واجهوا من عراقيل وصعوبات.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

قال قتادة رحمه الله: هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم، فمن علِم علمًا فليعلِّمه الناس، وإياكم وكتمان العلم، فإن كتمان العلم هَلَكة ولا يتكلفنَّ رجل ما لا علم له به فيخرجَ من

دين الله فيكون من المتكلفين» (الدر المنثور للسيوطي: ١٦٨/٤). وقال الحسن رحمه الله: «لولا الميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم ما حدثتكم بكثير مما تسألون عنه» (الدر المنثور للسيوطي: ١٧٠/٤). وقال الآلوسي في روح المعاني: «واستُدِلَّ بالآية على وجوب إظهار العلم وحرمة كتمان شيء من أمور الدين لغرض فاسد من تسهيل على الظَّلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارِّهم واستجذاب لمبارِّهم ونحو ذلك وفي الخبر: «من سئل عن علم فكتمه أُلجم بلجام من نار» (روح المعاني للآلوسي ١٨٨/٥ والحديث أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي.

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في قوله تعالى ﴿وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ﴾: «والاشتراء هنا مجاز في المبادلة والثمن القليل، وهو ما يأخذونه من الرِشى والجوائز من أهل الأهواء والظلم من الرؤساء والعامة على تأييد المظالم والمفاسد بالتأويلات الباطلة وتأويل كل حكم فيه ضرب على أيدي الجبابرة والظلمة بما يطلِق أيديهم في ظلم الرعية من ضروب التأويلات الباطلة وتحذيرات الذين يصدعون بتغيير المنكر، وهذه الآية وإن كانت في أهل الكتاب إلا أن حكمها يشمل من يرتكب مثل صنيعهم من المسلمين لاتحاد جنس الحكم والعلة فيه» (التحرير والتنوير: ١٩٣/٤)

وعلى ذلك فيجب على العلماء أن لا يقولوا إلا الحق، ولا يكتموا العلم، ولا يشتروا به ثمنًا قليلًا ودنيا حقيرة، يجب عليهم تبيين ما في هذا الدين من الأمور العقائدية والعبادية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بيانًا شافيًا لا غموض فيها، مهما كانت الظروف، ومهما كانت العاقبة.

العلماء ورثة الأنبياء

إن العلماء في الإسلام ذوو مكانة عظيمة لأنهم ورثة الأنبياء، فهم الذين ورثوا الأنبياء في العلم، والعمل، والدعوة، وتبليغ الرسالة، وبيان الشريعة، وإقامة دين الله، والجهاد لإعلاء كلمة الله...

عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»** (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد وابن حبان).

إن العلماء، ورثة الأنبياء، هم العلماء العاملون، هم النّور الذي يُضيء العالم ويخرجه من ظلام الجهل، وهُم الخلفاء في

العلم بعد الأنبياء على أُممهم، وهُم ورثة الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ قال الزمخشريّ في الكشّاف: «ما سماهم ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة؛ لأنهم القُوَّام بما بُعثوا من أجله» ولا يكون العالِم بهذه الصفة إلا إذا صفا علمه وعمله، وارتقى إلى معالي الكمال، وابتعد عن الشهوات التي تُخفضه. قال الحسن: «من طلب العلم يريد ما عند الله، كان خيرًا له ممّا طلعت عليه الشمس». فلا رتبة فوق رتبة النبوّة، ولا شرف أعظم من هذا الشّرف، ولم يُقَل عنهم أنّهم ورثة الرّسل، وإنّما ورثة الأنبياء لتكون أعمَّ وأشمل. وإنّ الأنبياء لم يُورِّثوا شيئًا من الدّنيا؛ لذلك فإن ما بقي بين أيدي العلماء إنّما هو ميراث الأنبياء؛ حيث تنتفع بهم الأمة في إظهار الإسلام، ونشر الأحكام، وصلاح الأحوال الظاهرة والباطنة. وقول الرسول ﷺ عنهم بأنهم ورثة الأنبياء يحملهم مسؤولية كبيرة تجاه المسلمين، وتجاه الحكام، وتجاه العمل لإقامة الدولة الإسلامية.

كل هذا الفضل للعلماء العاملين الجريئين في الحق، المحبِّين للخير، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، المحاسبين للحكام الناصحين لهم، والساهرين على مصالح المسلمين، والمهتمين بأمور الأمة المتحمِّلين كل أذى ومشقَّة في هذا السبيل.

نعم، فإن كل ذلك الإكرام هو للعلماء الذين يحرسون الإسلام، الأمناء على دين الله. الداعين الحكام إلى تطبيقه بلسان صدق وجنان ثابت. الذين اتَّصفوا بخلق المرسلين فكانت أعمالهم ترجمانًا لتعاليم القرآن والسنة. يقولون للظالمين ظلمتم وللمفسدين أفسدتم وللعاصين لقد عصيتم الله. يُصلحون ما أُفسد ويقوِّمون ما اعوجَّ، ولا يخشون أحدًا من الناس، ولا يخافون لومة لائم، يقولون للناس أجمع: حكامًا ومحكومين، تعالوا: من هنا الدرب، درب الإسلام، طريق السلامة والنجاة، صراط الله العزيز الحميد.

نعم، إن العلماء لا يهابون سلطانًا جائرًا ولا حاكمًا جبَّارًا؛ لأنهم آمنوا بقول رسولهم ونبيهم سيدنا محمد ﷺ الذي رواه السبط الجليل الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما: «**من رأى سلطانًا جائرًا، مستحلًّا لحِرَم الله، ناكثًا بعهد الله، مخالفًا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيِّر عليه بقول ولا فعل؛كان حقًّا على الله أن يُدخله مدخله**» (رواه الطبري في التاريخ وابن الاثير في الكامل وغيرهما)

ولا يسكتون عن واجب وجبت إذاعته، ولا يكتمون حكمًا شرعيًّا في قضية أو مشكلة، سواء تعلَّقت بشؤون الأمة أم بعلاقة الدولة أم بتصرفات حاكم من الحكام؛ لأنهم آمنوا بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ

لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ وبقوله سبحانه: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ وقول بعض العلماء المشهود لهم بالخير كابن تيمية وابن القيِّم: «الساكت على الحق شيطان أخرس».

ذلكم هم العلماء الذين استحقوا هذه التسمية المباركة كما وصفهم الإسلام، وكما أرادهم الله لحمَلة كتابه ودينه، وكما ارتضاهم رسول الله ليكونوا ورثته في تبليغ رسالته إلى الناس.

العلماء الربانيون

العلماء ورثة الأنبياء هم الربانيون كما وصفهم القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

قال الرازي في تعريف الربانيين: «أن يكون الداعي له إلى جميع الأفعال طلب مرضاة الله، والصارف له عن كل الأفعال الهرب عن عقاب الله»[٢] . وقال ابن عاشور: «كونوا منسوبين للرب، وهو الله تعالى، لأن النسب إلى الشيء إنما يكون لمزيد اختصاص المنسوب بالمنسوب إليه. ومعناه أن يكونوا مخلصين لله دون غيره – »[٣]. وقال القرطبي في تفسير الآية: »والربانيُّون، واحدهم ربانيٌّ منسوب إلى الربَّ. والربانيُّ الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، وكأنه يقتدي بالرب سبحانه في تيسير الأمور. روي معناه عن ابن عباس. قال بعضهم: كان في الأصل رِبِيٌّ، فأُدخلت الألف والنون للمبالغة، كما يقال لعظيم اللحية لحياني، ولعظيم الجمة جماني، ولغليظ الرقبة رقباني. وقال المبرد: الربانيون أرباب العلم، واحدهم ربَّان، من قولهم : ربه يربه فهو ربان إذا دبره وأصلحه؛ فمعناه على هذا يدبِّرون أمور الناس ويصلحونها. والألف والنون للمبالغة كما قالوا ريان وعطشان، ثم ضمت إليها ياء النسبة كما قيل: لحياني ورقباني وجماني .

فمعنى الرباني العالم بدين الرب، الذي يعمل بعلمه؛ لأنه إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم. وقال مجاهد: الربانيُّون فوق الأحبار. قال النحاس: وهو قول حسن؛ لأن الأحبار هم العلماء. والربانيُّ الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة، مأخوذ من قول العرب: رَبَّ أمر الناس يربه إذا أصلحه وقام به، فهو رابٌّ ورباني على التكثير. قال أبو عبيدة: سمعت عالـمًا يقول: الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي، العارف بأنباء الأمة وما كان وما يكون. وقال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس: «اليوم مات ربانيٌّ هذه الأمة».

فما أحوجنا اليوم إلى العلماء الربانيين السياسيين الذين يعملون ليلًا ونهارًا لإصلاح

حال الأمة وإخراجهم من الظلمات إلى النور. إنهم اليوم الذين يعملون لتطبيق الشريعة الإسلامية وتوحيد الأمة تحت ظل دولة الخلافة.

دور العلماء في حالة وجود الدولة الإسلامية

ففي حال وجود دولة إسلامية:

إن العلماء لهم دور كبير في إصلاح الحكام وتوجيههم إلى الحق، وأطرهم على الحق أطرًا، وقصرهم عليه قصرًا؛ لذا قال العلماء: الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك، وقال الشاعر:

إن الأكابر يحكمون على الورق وعلى الأكابر يحكمُ العلماءُ

حفلت الدولة الإسلامية في تاريخها الطويل بمآثر جليلة سجلها العلماء في مواقفهم الخالدة والفذَّة مع الحكام، تلك المواقف التي اتَّسمت بالصدق والجرأة والإخلاص لله ولدينه الحنيف؛ فكانوا نجومًا وضَّاءة يهتدي بها الحكام والمحكومون في ظلمات الحياة.

لقد أظهر العلماء في تلك العصور عزة الإسلام وأبانوا فيها حقيقة الشريعة الإسلامية الغرَّاء صافية نقية مكينة في صلابة موقفها من الحكام المنحرفين عنها ولو قيد أنملة، وفي معالجتها لجميع شؤون الدولة التي يرأسها الحكام ويخضع لسلطانها المحكومون كاشفين للعالم أجمع أثر صلابة الإيمان بالشريعة الغرَّاء في النوازل والخطوب متحمِّلين بصبر وشجاعة ما ينتج عن الجهر بكلمة الحقب عند سلطان جائر غير هيَّابين سلطان الحكم ولا قوة الدولة ولا صولة الجند. ولا غرابة في ذلك فهم أهل لهذه المواقف لأنهم حملة لواء الشريعة الإسلامية الحقيقيون.

إن الحكام الظالمين الذين تولَّوا أمر الإسلام حينًا من الدهر لم يستطيعوا البتة تسخير العلماء الأبرار لتنفيذ أهوائهم أو السير في طريقهم الـمِعوجِّ بالرغم من كل ما أوتوا من قوة بأس وشدة جبروت وتمكُّنٍ من النيل منهم... كيف لا يكون ذلك وقد نهى الله العلماء والمسلمين أن يركنوا اليهم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾؛ لذلك نجد منهم المحاسبين للحكَّام المنكِرين عليهم سوء أفعالهم وقبيح تصرفاتهم وفساد أقوالهم، كما نجد منهم الناصحين لهم الرافضين مِنَحَهم الصابرين على مِحَنِهم. ومنهم الساعون لهذه المواجهة مواجهة صريحة جريئة لا غموض فيها ولا كنايات ولا استعارات ولا تذبذب، وحيث لا يخافون في الله لومه لائم. وهاكم بعض الأمثلة على ذلكم:

- أخرج البخاري من طريق أبي سعيد الخدري قال: خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر، فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان

يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي، فجبذت بثوبه فجبذني، فارتفع فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيرتم والله. فقال: أبا سعيد، قد ذهب ما تعلم فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم. فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة. وفي لفظ الشافعي: يا أبا سعيد، تُرك الذي تعلم.

- لما سافر هارون الرشيد إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول ﷺ، وذهب إلى المسجد النبويِّ الشريف، فرأى الإمام مالكًا ﷺ يدرِّس العلم، فقال للإمام مالك: يا مالك، ما ضرَّ لو جئتنا لتدرس العلم لنا في بيتنا، فقال الإمام مالك: يا هارون، إن العلم لا يأتي؛ ولكنه يؤتى إليه، فقال له: صدقتَ يا إمام دار الهجرة، وسوف آتي إليك في المسجد، فقال له الإمام مالك: يا هارون، إذا جئتَنا متأخرًا، فلن أسمح لك أن تتخطَّى رقاب الناس في المسجد، فقال له هارون الرشيد: سمعًا وطاعة. وبينما كان الإمام مالك ﷺ يلقي درسًا بعد صلاة العصر دخل هارون الرشيد المسجد ودخل معه رجل ووضع الكرسي لهارون الرشيد، فنظر الإمام مالك إلى هارون الرشيد فوجده جالسًا على الكرسي في المسجد، فغيَّر مجرى الحديث، وقال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن تواضع لله رفعه، ومن تكبَّر وضعه الله**»، ففهِم هارون الرشيد المعنى، وأمر أن يُرفَع الكرسي من تحته، وجلس على الأرض كما يجلس الناس، وبعد ذلك دخل على الإمام مالك قبل سفرِه وأعطاه هدية، وقال له: يا مالك، خذ هذه الهدية، وكانت أربعمائة دينار، فقال له الإمام: أعفني يا أمير المؤمنين، أنا لا أستحق الصدقة، ولا أقبل الهدية، فقال له الرشيد: ولماذا لا تقبل الهدية، والنبي ﷺ قبل الهدية؟ فقال له مالك: أنا لست نبيًّا، ثم قال له: خذ مالَك وتوكل على الله، وبعد ذلك دعا الرشيد الإمام مالكًا لزيارة بغداد عاصمة الخلافة العباسية آنذاك، فرفض الإمام مالك، وقال: والله، لا أرضى عن جوارِ رسول الله ﷺ بديلًا.

- كان في جيش ابن الأشعث العديد من العلماء والفقهاء، وحفظة كتاب الله، ممن خرج للجهاد ونصرة دين الله عز وجل، منهم سعيد بن جبير، وطلحة بن حبيب، ومجاهد بن جبر، والشعبي، وابن أبي ليلى، وعلماء الزمان، وأهم شيوخ العصر عامة، والعراق خاصة؛ فأعلن هؤلاء العلماء والقرَّاء دعمهم لابن الأشعث ضد الطاغية الحجاج، الذي فاقت جرائمه بحق المسلمين كل حدود، وكان لذلك الدعم المعنوي من جانب العلماء أثر كبير في قوة ثورة ابن الأشعث، فانضمَّ إليها الناس من كل مكان؛ فلقد كان الحجاج مبغوضًا من الجميع.

- كان لسلطان العلماء العز بن عبد السلام موقف عظيم يبدو عليه ملامح الصدق ونور الهدى، فقد خرج من بيت المقدس إلى مصر واستقبله السلطان نجم الدين أيوب وأحسن استقباله وجعله في مناصب ومسؤوليات كبيرة

في الدولة، وكان السلطان رجلًا عفيفًا وشريفًا إلا أنه كان جبارًا مستبدًّا شديد الهيبة حتى إنه ما كان أحدٌ يستطيع أن يتكلم بحضـرته أبدًا ولا يشفع لأحد ولا يتكلم إلا جوابًا لسؤال... طلع الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى السلطان نجم الدين أيوب في يوم العيد إلى القلعة، فشاهد العساكر مصطفِّين بين يديه ومجلس المملكة، ووجد أن الناس يُقبِّلون الأرض بين يدي السلطان، فقام العز بن عبد السلام ونهر السلطان نهرًا شديدًا، وأنكر هذا الفعل من عموم الناس، وقال له: يا سلطان كيف تسمح أن تباع الخمور في البلاد؟ وبدأ يعدِّد المنكرات، وتكلم بقسوة وشدة، فقال له السلطان في النهاية: هذا أنا ما عملته، هذا عمله أبي قبلي، قال له السلطان العز بن عبد السلام: أنت ممن يقول الله فيه:﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] فقام السلطان وأصدر أمرًا في موقعه بإزالة جميع المنكرات التي تحدَّث عنها العز بن عبد السلام، وأمر بإغلاق الحانات، وأمر بعدم الخضوع بين يديه، وأمر بإزالة المنكرات. يقول الباجي: فسألت الشيخ لما جاء من عند السلطان، وقد شاع الخبر: يا سيدي كيف الحال؟ فقال: يا بني رأيته في تلك العظمة فأردت أن أهينه؛ لئلا تكبر نفسه فتؤذيه. قال الباجي: يا سيدي أما خفتَه؟ قال: والله يا بني، استحضرت هيبة الله فصار السلطان أمامي كالقط.

- وحمل ابن حزم الأندلسي على ملوك الطوائف بعنف، وبعباراته اللاذعة على استهتارهم بالدين والعقيدة، حتى قال عنهم في كتابه الشهير (نقط العروس في تواريخ الخلفاء):» واللهِ لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستعدون النصارى، فيمكنونهم من حُرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم، يحملونهم أسارى إلى بلادهم، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعًا فأخلوها من الإسلام، وعمروها بالنواقيس؛ لذلك كره ملوك الطوائف ابن حزم، وحرصوا على إبعاده عن أراضيهم، ونفيه من مكان لآخر، فقد كانوا يخافون من آرائه النقدية، وحملاته الفكرية على فضائحهم وجرائمهم، ولربما أحرقوا كتبه بمحضر عام من الناس.

- قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي وهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين؛ ولكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن حرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة. فلما أخلصوا لله النية أن أثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وأزال قسوتها. وأما الآن وقد قيَّدت الأطماعُ ألسنَ العلماء فسكتوا، وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا. ففساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه، وما استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل،

فكيف على الملوك والأكابر؟ والله المستعان على كل حال.

دور العلماء في حالة غياب الدولة الإسلامية

كان للعلماء دور كبير عند شغور الزمان من السلطان العام وخلوِّه من إمامة جامعة تلتقي عليها كلمة المسلمين، يقول الإمام الجويني: «فإذا شغر الزمان عن الإمام، وخلا عن سلطان ذي نجدة وكفاية ودراية، فالأمور موكولة إلى العلماء، وحق على الخلائق على اختلاف طبقاتهم أن يرجعوا إلى علمائهم، ويصدروا في جميع قضايا الولايات عن رأيهم، فإن فعلوا ذلك، فقد هُدوا إلى سواء السبيل، وصار علماء البلاد ولاة العباد» (الغياثي غياث الأمم في التياث الظلم للإمام أبي المعالي الجويني إمام الحرمين)

هذا الدور الجوهري المؤثر المحرك هو الذي يخشاه ويتحاشاه النظام الدوليّ الذي تقوم مؤسساته وأنظمته على أساس مضادٍّ تمام المضادَّة لما في رأس هؤلاء العلماء؛ ومن ثمَّ فلا بد من وضعهم في (ثلاجات) تُحَوِّلُهم إلى مجرد أجساد، وتَحُولُ بينهم وبين دِفء التغيير وحرارة التأثير، وتقطع الصلة بينهم وبين الشعوب، ولا سيما الشباب الغَلَّاب الوَثَّاب؛ لنبقى هكذا أبدًا؛ يدور حالنا بين فقه مقيد أسير، ونضال بلا وعي، ولا منهجية في كل أفق يعن له ويجمح ويطير، ويظل علماؤنا بين شجب وشجب: شجب لعدو متجبر وشجب لشباب متعثر.

فليس من طريقة هذا الدين أن يترك المسلمون في لحظة من لحظات دهرهم فوضى لا سراة لهم، كيف وهو الدين الذي اشتمل على ما لا يقوم ولا يقام إلا بدولة. ففي حال عدم وجود دولة إسلامية: على المسلمين جميعًا وفي مقدمهم العلماء أن يعملوا لإقامة دولة إسلامية؛ لأن هذا العمل من أهم واجبات الدين كما قرره العلماء. قال الهيثمي في الصواعق المحرقة: واعلم أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين أجمعوا أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب بل جعلوه أهم الواجبات. ولتحقيق هذ الواجب لا بد من مراعاة الأمور التالية :

- لايكفي أن يقوم به المسلمون منفردين من غير جماعة يلتفون حولها. فلا بد من وجود العمل الجماعي في جماعة واعية على هذا الواجب وما يتعلق به، وما لا يتم إلا به من دراسات النصوص الشرعية ذات العلاقة وتاريخ الأمة الإسلامية والواقع المحيط بها... هو واحب.

- هذا العمل يحتاج إلى العلم الشرعي، بمعنى أن ثقافة الجماعة وعملها هو أول ما يضطلع به العلماء فيها، فيضعون الأفكار الإسلامية ويستنبطون الأحكام الشرعية اللازمة للعمل. فالجماعة الواجب على المسلمين إيجادها لإقامة حكم الله يجب أن تقوم أولًا على العلم والعلماء.

- كسب العلماء وانضمامهم للدعوة، هو من أكبر عوامل نجاحها، فهم مفتاح قلوب المسلمين، فالعالم فرض عليه كما هو فرض على سائر المسلمين أن يعمل لإقامة حكم الله في الأرض. والعلماء هم أهل وزن بين الناس، وكلامهم معتبر جدًا. فلا بد من وضع العمل لكسب العلماء في صفوف حملة الدعوة في أعلى سلَّم الأولويات الدعوية.

إن الحكام قد أدركوا أهمية دور العالم، فكسبوا منهم العلماء كمؤيِّدين لهم ليستخدموهم وليكونوا تبعًا لهم وليفتوا بما يريدون. فكان في الأمة علماء السلاطين، علماء فسقة وحذَّر النبي ﷺ: «**إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم بعدي كلُّ منافقٍ عليمُ اللسانِ**» (مسند الإمام أحمد). وجاء أيضًا في حديث جابر بن كعب بن عجرة، أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لكعب بن عجرة: «**أعاذك الله من إمارة السفهاء يا كعب، قال: وما إمارة السفهاء، قال: هم قومٌ بعدي، يهدون بغير هديي ويستنُّون بغير سنتي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فقد برئوا مني وبرئت منهم ولم يردوا عليَّ الحوضِ، ومن لم يصدِّقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم، وَسَيَرِدُ عَلَى الْحَوْضِ**». فهذا الحديث يحذر المسلمين أن يكونوا وراء السلاطين وعلى أبوابهم. من هنا يتبيَّن أن دور العلماء دور خطر في الإسلام، وهذا الدور ينبغي على الدعوة أن تستفيد منه أكثر مما يستفيد منه هؤلاء الحكام الظلمة.

وفي الختام، أثبت العلماء من قبل أن وجودهم هو من أجل الإسلام وحده، وأنهم حقًّا ورثة الأنبياء. إن الإسلام اليوم يريد خصوصًا من معاشر العلماء وهم على مفترق الطرق أن يبذلوا أقصى الجهد ومنتهاه في بيان أحكامه بصراحة وجرأة، وحمل الدعوة إليه جاعلين وجودهم قائمًا على أساسه. فإذا كانوا لا ينصرون حقًّا، ولا يمنعون باطلًا، ولا يأمرون بمعروف ولا ينهَون عن منكر، ولا يحاسبون حكامًا ولا، ولا... فما فائدة وجودهم إذًا؟ أوليس بطن الأرض خيرًا لهم من ظهرها.

إن العلماء الذين قصروا تُجاه إسلامهم، وهُزموا في ساحة الصراع مع الكفر، عليهم أن يقتفوا أثر السلف الصالح من العلماء العاملين ليجعلوا من الفشل الذي حاق بهم نصرًا مبينًا؛ ليعيدوا إلى الإسلام سيرته الأولى باستئناف الحياة الإسلامية التي يُعزُّ بها الدين وعلماؤه وأتباعه، ويخذل بها الكفر وجنده وأنصاره.

إن صلاح هذه الأمة لا يتحقق إلا بوجود علماء ربَّانيين وخلفاء راشدين الذين يقودون الأمة نحو مجدها وكرامتها وعزها باستئناف الحياة الإسلامية. فما أحوجنا هذا اليوم إلى العلماء الذين يصلح بهم الناس إذا صلحوا ويفسدون إذا فسدوا. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

لن تستردّ أمّة الإسلام عزّها وتفكّ قيودها إلّا بقيام دولة الخلافة الرّاشدة الثّانية

زينة الصامت

هُدمت دولة الخلافة وتمكّن الأعداء من خير أمّة أخرجها الله للنّاس، فصاروا يفرضون عليها مفاهيم حضارتهم الغربيّة، ويسنّون لها القوانين الوضعيّة، وفصلوا بذلك دينها عن حياتها. في ظلّ هذا النّظام العالميّ الرّأسماليّ الذي فُرِض بالحديد والنّار على أمّة الإسلام تحوّلت حياة المسلمين إلى ظلمات بعد أن كانوا ينعمون بنور الإسلام وهديه ورحمته، وساد الظّلم وصار المسلمون والبشريّة كافّة يعانون آثار قوانين هذا النّظام الجائر الفاسد (حروب وما يتبعها من كروب... فقر وبطالة وما ينجرّ عنهما من سوء حال وحالة...) عيشة ضنكى ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز محذّراً النّاس منها إن هم أعرضوا عن ذكره وشرعه وهديه. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا...﴾

هُدمت دولة الخلافةُ وأصبح المسلمون بلا دولة تحميهم وتذود عنهم، فتمكّن الأعداء منهم وفرضوا هيمنتهم ونفوذهم عليهم فصاروا في تبعيّة للنّظام العلمانيّ الذي حكم وساد العالم، وقُسّمت بلادُهم إلى دويلات، يحكم كلّ واحدة منها عميل نصّبه الغرب المستعمر ليؤمّن مصالحه ويقوم على تحقيق أهدافه ويضمن له التّدخّل السّافر في كلّ صغيرة وكبيرة في البلاد، ويحافظ على تلك الحدود التي رسمها لهم ليُحكم قبضته عليهم ويسودهم وهم متفرّقون مشتّتون.

هُدمت دولة الخلافةُ فتحوَّلت حياة المسلمين من عزّ وسيادة إلى ذلّ وهوان، ومن قيادة إلى تبعيّة، صاروا كالأيتام على موائد اللّئام، مغتصبَة أراضيهم، منهوبة ثرواتُهم، منتهكة أعراضُهم، يتفنّن الأعداء في إذلالهم وفرض هيمنتهم عليهم ويتنافسون في نشر الظّلم والظّلمات فيهم.

بتآمر خبيث وضع الغرب المستعمر أعوانه من الحكّام ليحكموا في رقاب المسلمين ويثبّتوا نظامه، وتحوّلت معركته ضدّ أمّة الإسلام إلى معركة أفكار ومفاهيم بعد أن تيقّن من فشله في معاركه المادّيّة العسكريّة ضدّها والتي لم تؤتِ أكلها ولم تحقّق ما يصبو إليه من مخطّطات لصرفها عن دينها ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ وفي تفسيره لهذه الآية يقول الطّبري: «قال أبو

جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾، وليست اليهود، يا محمّد، ولا النصارى براضية عنك أبدًا، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحقّ، فإنّ الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدّين القيّم. ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتّباع ملّتهم».

باتّباع أمّة الإسلام لأعداء الله، وإن كان ذلك قسرًا وقهرًا، أصبحت بلا وليّ ولا نصير. صارت لقمة سائغة لوحوش يعملون على الفتك بها ووضع نهاية لها. نسجوا خيوطهم وأحكموا حول رقبتها قيودهم وجعلوها أسيرة لحكّام جبابرة طغاة أذاقوها الويلات فعاشت الفقر والبطالة والقهر والاستبداد، وصارت تتبع قوانينهم عن طواعية وتسير وراءهم إلى الجحر! ومع تحذير المصطفى ﷺ لها من ذلك فقد وقعت في الفخّ وتاهت عن سبيل الحقّ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كانَ قَبْلَكم، شِبْرًا شِبْرًا وذِراعًا بذِراعٍ، حتَّى لو دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُموهم، قُلْنا: يا رَسولَ اللَّهِ، اليَهُودُ والنَّصارَى؟ قال: فمَن؟**». هؤلاء هم اليهود والنّصارى، وكم نبّه اللّه سبحانه وتعالى منهم ومن السّير على خطاهم، قال تعالى:﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾. فهلّا تنبّهتِ يا خيّر أمّة؟ وهلّا وعيتِ أنّك في صراع مع أهل الكفر الذين يحاربونك ويحاربون دينك ويعملون على أن ينشروا فيك وفي النّاس كافّة الظّلمات لتكون معيشتك ضنكًى؟!

يا أمة الخير، ألم يحذّركِ الله في كتابه العزيز وذكره الحكيم من اتّخاذ هؤلاء الكفرة أولياء وينهَكِ عن التّقرّب منهم واستئمانهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ١١٨﴾

يا أمّة الإسلام، إنّ المعركة بينك وبينهم أبديّة: معركة حقّ وباطل، معركة وجود وعدم؛ فإمّا أن تتشبّثي بالحقّ أو أنّك ستنحدرين إلى صفّ هذا الباطل وتسيرين على خطاه. فهل ترضين بذلك؟ قطعًا لا! فلقد اصطفاك الله حتّى تكوني خير أمّة أُخرجت للنّاس: تدعين إلى الخير، وتأمرين بالمعروف، وتنهين عن المنكر... اختاركِ الله لتكوني الأمّة التي تقود وتسود العالم، لا لتكوني أمّة ضعيفة مستضعفة تابعة مهانة، فالطّريق الحقّ إذًا بيّنٌ والخطّ المستقيم واضحٌ وجليٌّ. فهلّا سارعتِ بالعودة إليه لتستعيدي عزّكِ ومجدكِ المسلوبَيْن الضّائعيْن؟

في بلادهم، يعيش المسلمون في ظلّ دساتير وضعيّة قوانينها لقيطة غريبة عنهم وعن عقيدتهم، فرضها الغرب عليهم وأعانه عملاؤه من الحكام والمثقفين العلمانيين، على تطبيقها فيهم حتّى يجتثّوهم من

هويّتهم وثقافتهم وحضارتهم، وينشروا فيهم مفاهيم الحضارة الغربيّة، ويشكّكوهم بأحكام الإسلام وجدواها في حلّ مشاكلهم. صارت أمّة الإسلام تعيش حياة انفصام وغربة لا تمتُّ بصلة لطبيعة دينها الذي أرسله الله لها وللنّاس كافّة رحمة وهدى ومنهجًا لحياتهم يسيّرها على أكمل وجه وأفضله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

صار المسلمون يحيَون في ظلّ سياسات غربيّة تستند إلى قوانين وضعيّة تفصل الدّين عن الحياة وتجعله حبيس المساجد وبعض العبادات كالصّلاة والصّيام والحجّ... وتنزع عنه صفة المبدئية التي تميّزه (عقيدة عقلية سياسية ينبثق عنها نظامها)... تستند إلى سياسة حاربت لباس المرأة المسلمة، ولاحقت كلّ من ترى فيه نَفَسا إسلاميّا يؤيّد الحكم بشرع الله أو يعمل له باختلاق حجج واهية كـ(مكافحة الإرهاب والتّطرّف) فتزجّ بهم في السّجون وتنكّل بهم وتعذّبهم حتّى تنزع منهم مجرّد التّفكير في التّغيير أو العمل لإعادة الحكم بما أنزل الله، فزرعت الرّعب والخوف في النّفوس، وألحقت الأذى بكل من اشتبهت به. وضيّق الحكّام العملاء للغرب الحياة على النّاس وكبّلوهم، وفرضت الحكومات الجباية وتخلّت عن الرّعاية... فانتشر الفقر والبطالة جرّاء هذه السّياسات التي يفرضها صندوق النّقد الدّوليّ الاستعماريّ على الدّول، والتي يُملي عليها شروط إقراضه لها ويلزمها بتطبيقها؛ فيفرض عليها زيادة الأسعار ورفع الدّعم عن كثير من الموادّ الغذائيّة وتجميد أجور العمّال، إضافة إلى تدخّله في السّياسات التّعليميّة والصّحّيّة وغيرها ليلزمها بتدابير تفاقم الأزمات وتزيد من حدّة المشاكل؛ فأحكم الخناق على رقاب النّاس الذين صاروا يعانون من شظف العيش؛ وجوههم كالحة مرهقة تشكو صعوبة الحياة وكثرة مشاكلها، واشرأبّت أعناقهم ترقب تغييرًا لحالها الرّديء ووضعها المزري. صار المسلمون في ظلّ هذا الخناق الذي أحكم حلقات عقده «هذا الصّندوق اللّعين» يتشرّبون ثقافة الغرب التي يمرّرها عبر إملاءاته وقوانينه ويبتعدون عن أحكام دينهم؛ نشر فيهم ضرورة التّعايش مع الآخر في ظلّ قوانين وضعيّة تحرسه، وجعلهم يدافعون عن ديمقراطيّته التي هي نظام كفر تتعارض مع دينهم، صاروا يتعاملون بالرّبا فيبنون المنازل ويشترونها، ويقتنون السّيّارات بالقروض الرّبويّة، ويبحثون لأنفسهم عن علل يبرّرون بها ما اقترفت أياديهم ويحاولون إيجاد مخرج لهم ممّا حرّمه الله عليهم في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾

وحذّرهم من القيام به ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ فكيف لمسلم أن يغفل عن هذا الإثم الكبير ويتجرّأ على القيام به؟! إنّها الغفلة بعدما نفث هذا العدوّ سمومه كما ينفث الظّبّ مادّته المخدّرة التي تجعل فريسته تتبعه إلى جحره دون أي مقاومة.

نشر النّظام الرّأسماليّ العلمانيّ الفجور والفسوق بين الشّباب بمساعدة كبيرة من وسائل الإعلام المأجورة والموظّفة لبثّ الرّذيلة والفساد بين أبناء المسلمين. لقد حال دونهم ودون العفاف والتّعفّف، فانتشرت البطالة وزادت نسبة الفقر وعجز الشّباب عن توفير تكاليف الزّواج، وسُدّ دونهم بابُ الحلال وفُتحت أمامهم أبوابُ الحرام من زنا وشذوذ... فتاهَ الكثير منهم في أوساط الجريمة وتعاطي المخدّرات، ولاذ بعضهم بالفرار من هذا الواقع المدمّر إلى عالم مجهول يجازفون للوصول إليه بأرواحهم فيلقون بأنفسهم في البحار ليقضي بعضهم نحبه، فإن نجا البعض الآخر يكون فريسة الاستغلال والعيش الذّليل في ظلّ حكومات لا ترعى ولا تؤمّن أبسط الحاجيات التي تضمن للإنسان حياته.

بهدم الخلافة حكم الأمّةَ نظام حكم يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، فصار أبناؤها تائهين بين عقيدة الإسلام وما يُفرض عليهم من نظام علمانيٍّ قوانينُه وضعيّة بشريّة. صاروا يعيشون مذبذبين بين عقيدتهم التي تتميّز بأنّها عقيدة لا ينفصل عنها النّظام المنبثق عنها وبين نظام لا يمتّ بصلة لهذه العقيدة وغير منبثق عنها فيُفرَض عليهم ويُطبَّق فيهم. صارت حياة المسلمين مسيّرة بقوانين النّظام الرّأسماليّ العلمانيّ؛ فتحوّلت حياتهم إلى جحيم مستعر: فقر وجوع وضياع وهوان... وسُلّط على رقابهم حكّام باعوا البلاد والعباد لأسياد نصّبوهم لذلك، وفقد أبناء خير أمّة الرّعاية والحماية في بلادهم فلاذوا بالفرار للدّول التي تدّعي الحفاظ على الحقوق والحرّيّات وتطلق شعار تطبيق الدّيمقراطيّة... فماذا وجدوا؟!

وجدوا قوانين تلزمهم بالانصهار والذّوبان في مفاهيم النّظام الرّأسماليّ العلمانيّ الذي فرّوا منه، وجدوا نظام حكم يفرض عليهم أن يكون الدّين منفصلًا عن الحياة، وعيشًا في ظلّه مشروطًا بالاندماج في حضارته الغربيّة التي تتناقض مع حضارة دينهم، فإن هم ساروا على ذلك خسروا أنفسهم وتاهوا، وإن تشبّثوا بمفاهيم حضارتهم اتّهموا بالتّعصّب والتّشدّد والإرهاب...

حوربت المرأة المسلمة في نقابها وحجابها، وضرب دعاة الدّيمقراطيّة وأنصار الحرّيّات بشعاراتهم التي رفعوها عرض الحائط؛ حيث لاقت المسلمات من الاضطهاد والقهر ألوانًا، وتجسّدت (الإسلاموفوبيا) في أبشع صورها، منعوا المسلمة من

حجابها، وحرموها من العمل في مؤسّساتهم وشركاتهم، وهم بذلك يحاربون الإسلام في حكم من أحكامه ويطعنون في عقيدة الأمّة الإسلاميّة ويشوّهونها... وجدوا بانتظارهم قوانين تسمح لدائرة الخدمات الاجتماعيّة «السّوشيال» (كما في السّويد) بخطف الأبناء من عائلاتهم بحجج واهية زائفة؛ يُنتزعون من أسرهم بلا شفقة ولا رحمة في سعي دنيء لاجتثاث هؤلاء الأطفال من جذورهم الإسلاميّة وتنشئتهم تنشئة غربيّة بمفاهيم فاسدة تبيح كلّ ما حرّم الله وتصنع منهم أبناء غرب كافر ذي حضارة «حيوانيّة».

كذلك يعيش المسلمون في دول أخرى كأقلّيّة تضطهدها الحكومات وتنشر الحقد والكراهيّة ضدّهم في سعي حثيث منها لتثبيت مبادئ العلمانيّة ودمجهم في مجتمعها وإذابتهم فيه، بل وتقوم بفرض قوانين تسلخهم بها عن الإسلام وأحكامه لتردّهم عنه، تنتهك مقدّساتهم وتهدم المساجد وتحرق المصاحف وتمنع الفتيات والنّساء من ارتداء الحجاب. جاليات مسلمة تتمسك بدينها رغم ما تلاقيه من تعذيب وتنكيل كما في الهند وأفريقيا الوسطى. ممارسات عرّت زيف ديمقراطيّتهم التي يتشدّقون ويفتخرون بها وكشفت فساد نظامهم العلمانيّ. جاليات مسلمة ترقب فرجًا من الله ونصرًا وعد الله به عباده المؤمنين إن هم نصروه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ﴾.

أينما نولّي وجوهنا نرى جسد الأمّة ينزف فينفطر القلب على ما آل إليه حالها. لقد ضاقت الأرض على المسلمين: مضطهدين في كلّ مكان: في بلادهم، في بلاد الغرب، في الملاجئ التي حسبوا فيها نجاتهم... كثرت الجراح وكلّ عضو في هذا الجسد يشكو ويتألّم، وترقُب العيون الشّاخصة منقذًا لهذا الجسد ليعيد إليه عافيته وقوّته ومجده، وتُرفَع الأيادي تشكو إلى الله وتسأله أن يعجّل بنصره وتأييده.

أين الحكومات ممّا يحدث لهم؟! في ظلّ دولة الخلافة، كانت تنفذ وصية الرسول ﷺ في حق المسلمين وغير المسلمين، من قوله: «**لَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً... وَأَلَّا تَقْتُلُوا امْرَأَةً وَلَا صَبِيًّا وَلَا وَلِيدًا وَلَا شَيْخًا كَبِيرًا وَلَا مَرِيضًا.. لَا تُمَثِّلُوا بِالْجُثَثِ.. وَلَا تُسْرِفُوا فِي الْقَتْلِ.. وَلَا تَهْدِمُوا مَعْبَدًا وَلَا تُخَرِّبُوا بِنَاءً عَامِرًا.. حَتَّى الْبَعِيرُ وَالْبَقَرُ لَا تُذْبَحُ إِلَّا لِلْأَكْلِ**» لله درُّكم، أين تجد مثل هذا في غير الإسلام؟!

أين المسلمون وما كانوا عليه من هيبة وتمكين؟! أين المسلمون وما حقّقوه من فتوحات وانتصارات نشرت دينَ الله وهداه ورحمتَه في النّاس؛ فسادَ العدلُ وانتشر النّورُ؟!

أين أطفال المسلمين اليوم وما يحدث لهم في بلادهم من سوء رعاية فيموتون رضّعًا ويغرقون في البحار مع أهاليهم مهاجرين، ويسقطون في الآبار إهمالًا ويموتون... أين هم مما حظوا به في ظلّ دولة الإسلام من

رحمة ومن رأفة، قال رسول الله ﷺ «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**»؟! لقد غادرت طفولتهم حياتهم فصاروا شيبًا قبل الأوان؛ لهول ما رأوه في ظلّ هذا النّظام العالميّ المتوحّش الذي لا يرقب فيهم إلًّا ولا ذمّة...

أين الكبار والمسنّون وقد غابت عنهم دولة الإسلام؟ أين هم وقد كانت تفرض على ذويهم رعايتهم فإن لم يكن لهم من يقوم بذلك تكفّلت هي برعايتهم؟! أين هم اليوم ممّا عاشوه في ظلّ دولة الخلافة من قبل، وقد فتحت أبواب دور المسنّين في كلّ مكان يكملون حياتهم مهانين منكسرين؟!

أين هي المرأة المسلمة وما كانت عليه في دولة الخلافة من تكريم ومكانة تحسدها عليها نساء العالم؟! كانت عزيزة منيعة تُجيَّش لصيحة منها الجيوشُ، وها هي اليوم منتهكةَ العرض مستضعفةً مقهورةً يخلع عبدة البقر حجابها ويختطف الشيوعيّ الكافر ابنها فيغسل دماغه ويردّه عن دينه، ويعتدي اليهود عليها ويقتلون زوجها ويأسرون أبناءها ويغتصبون أرضها ويهدمون بيتها... أين هي وقد كان خليفة المسلمين يرعاها بنفسه ويقدّم لها الطّعام ويؤمّن لها الحياة الطيّبة، واليوم تعمل وهي عجوز مسنّة تلتقط بعض عيدان الحطب أو تجمع القوارير البلاستيكيّة لتؤمّن بعض حاجاتها الأساسيّة؟!

فقدت المرأة المسلمة اليوم في ظلّ هذا النّظام العلمانيّ ما تمتّعت به من مكانة وأمن - في ظلّ أحكام دينها - وصارت تحيا وقد سُلخت من فطرتها. خدعوها بحقوق زائفة وحرّيات موهومة وتمكين كاذب فدفعت ثمن ذلك باهظًا: تحمّلت مسؤوليّات فاقت طاقتها وخرجت بها عن طبيعتها وتحوّلت حياتها إلى تعب وركض وخوف وعدم اطمئنان، صارت علاقتها بالرّجل علاقة صدام بعد أن كان يسودها الحبّ والوئام والاحترام...

في ظلّ هذه المنظومة الفاسدة توتّرت العلاقات وصارت المرأة تتصارع مع أخيها بحجّة المساواة في الميراث، وتقدّم الشّكاوى ضدّ والدها لأنّه حسب رأيها حدّ من حرّيّاتها بعدم السّماح لها بالخروج دون إذنه، وتنفصل عن زوجها لأنّها ترى في قوامته عليها انتقاصًا لها...

يعلم الكافر جيّدا ما للمرأة المسلمة من دور مهم في تنشئة الأبناء، ويعلم أنّها هي من أعدّت «صلاح الدّين» و«محمّد الفاتح» وغيرهما من أبطال المسلمين، لهذا وجّه سهامه نحوها وسعى في حربه «الفكريّة» إلى أن ينفث سموم مفاهيمه الغربيّة في عقول المسلمات وجيّش لذلك جمعيّات ومنظّمات المجتمع المدني، وأنفق الأموال الطّائلة حتّى تجد الآذان الصّاغية فتنقاد لها وتلفظ ما كان لديها من مفاهيم دينها معتبرة إيّاها رجعيّة لا تصلح لحلّ مشاكلها. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

أنفق أعداء الإسلام الأموال الكثيرة وما زالوا ينفقون حتّى يصدّوا أمّة الإسلام عن دينها ويغرسوا في أهلها مفاهيم حضارتهم الفاسدة؛ ولكن الأمة بدل أن تستكين ثارت وأثبتت أنّها أمّة حيَّة عصيَّة... لئن كان الغرب الكافر بالمرصاد لثورات الأمّة وقام بالالتفاف عليها وغيّر وجهتها إلّا أنّ هذه الثّورات كشفت كم أن الأمة تعتزُّ بدينها، وتعادي صنائعها من الحكام، وأنها في الاتجاه الصحيح.

يا أمّة الإسلام، يا خير أمّة أخرجت للنّاس!

إنّ الله سبحانه وتعالى قد أكرم الإنسان إذ خلقه وجعله خليفة في الأرض ليعمرها بطاعته، وقد اصطفى الله أمة الإسلام لتكوني أمينة على رسالة نبيّه الحبيب وتحافظي عليها وترفعي راية التّوحيد، وتجعلي الحاكميّة المطلقة لشرع الله فتسودي العالم كله وتقوديه بأحكامه العادلة الكاملة. فأين أنت، يا أمة الخير من هذه الأمانة؟ هلّا عملت على استرجاعها والحفاظ عليها واستعادة مكانتك الحقيقيّة عند الله، وبين الأمم؟.

يا أمّة الإسلام، يا خير أمّة أخرجت للنّاس!

إن لك أبناء مخلصين الدين لله يعملون على ذلك، يصلون ليلهم بنهارهم ليرَوا أحكام الإسلام تنير حياة النّاس من جديد. يسيرون بخطا ثابتة لا يبدّلون ولا يغيّرون، وبيقين لا ريب فيه بأنّ الله صادقٌ وعدُه وناصرٌ عبادَه المخلصين... تكتَّلوا على جماعة جعلت همها الأوحد نصرة هذا الدّين بإقامة دولة الخلافة الإسلامية واستئناف الحياة الإسلامية، متّبعة طريقة رسوله ﷺ في التّغيير، إنه حزب التحرير... فالمسارعة المسارعة بتأييده ونصرته ودعوة أهل القوّة والمنعة لتبنّي مشروعه هذا؛ حتّى تنفضي عنك وعن أبنائك الهوان وتستردّي العزّة والتّمكين؟

يا أمّة الإسلام، أنت أمّة حيّة لا تموت، كلفك الله بحمل أعظم رسالة... أنت أمّة جادّة مخلصة لدين ربّك فبادري ولا تتأخري واحزمي أمرك لتحملي الرسالة من جديد مع هذه الجماعة الراشدة التي نسأل الله جميعًا أن تكون هي ثلة الخير والطائفة المنصورة، وأن يكون وعد الله لها بإقامة الخلافة الراشدة الموعودة، وأن تكوني معها في هذه المهمة الخطيرة... فأنت أمة اصطفاك الله سبحانه من لدن سيدنا محمد إلى قيام الساعة لتتبوئي مكانك العالي الشريف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾.

يا أمة الإسلام التي أورثها الله الكتاب، التفِّي حول كتلة الحق التي هداها الله لهذا الأمر؛ لتكوني معها فيما يرضي الله وتَخرجي وتُخرجي العالم كله من الظلمات إلى صراط الله العزيز الحميد. ■

المحور الثالث

موانع وعقبات يضعها الغرب في وجه إقامة الخلافة:

- إزالة الأفكار القاتمة عن دولة الخلافة الراشدة الثانية
- الإعلام والمنظمات الدولية... يد واحدة في إفساد البشرية
- أردوغان لا يستحق أبدًا قيادة الأمة الإسلامية بالسياسة غير الإسلامية التي يتبعها!
- ما هو الدور الذي رسمته أمريكا لإيران في المنطقة؟
- نحن أمة تمرض؛ لكنها لا تموت

بسم الله الرحمن الرحيم

إزالة الأفكار القاتمة عن دولة الخلافة الراشدة الثانية

الدكتور فرج ممدوح

لقد جاءنا الرسول الكريم ﷺ بالإسلام وأسس كتلة من المؤمنين، وأقام بهذه الكتلة أول دولة للإسلام في المدينة المنورة، وقاد هذه الدولة من بعده الرجال الذي كانوا حوله عليه الصلاة والسلام، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وأرضاهم، فقاموا بتطبيق الإسلام النقي الصافي على منهجه الذي تعلمونه منه ﷺ.

ثم تغيَّر الحال وتقلَّب الزمان وبدأت فترة الحكم العضوض بعد ذلك، فاختفت تلك الصورة الراشدة عن شخص الحاكم، وبدأ توريث الحكم باسم ولاية العهد. ورغم أن تطبيق الإسلام استمرَّ مع بعض الإساءة في تطبيقه، إلا أن الفرق بين شخصيات الحكام الجدد مقارنة بخلفاء الحكم الراشد رضي الله عنهم بدأ يظهر بل ويزداد، فظهر شرخ كبير في طريقة نصب الخليفة، كما ظهر بعض الفساد في التطبيق وفي شخصية الخلفاء.

لقد رضيت بهم الأمة وسكتت عن حقها في اختيار الخلفاء، وذلك بسبب تطبيقهم للإسلام، والخوف من أن تقع الأمة في فتن أكبر، وهكذا استمرَّ الحال، بل ساء تطبيق الإسلام أكثر فأكثر في الحكم العباسي والعثماني رغم مراعاتهم تطبيق الإسلام عمومًا. وصار بيت المال وخزينة الحاكم وكأنهما بيت واحد دونما التزام دقيق بالشرع.

ثم بدأ الحكم الجبري منذ القرن الماضي بعد هدم آخر دولة إسلامية وهي الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م، فاختفى بذلك تطبيق الإسلام وحلَّ مكانه دستور جديد ليس له علاقة بالإسلام بتاتًا، وجاء حكَّام جدد يحكمون بالكفر وقوانينه علانية، وتشتَّتت الأمة في دويلات كثيرة كلها تحكم بالكفر، وظهر الفجور والمجون والفساد بصورة غير مسبوقة.

نعم هذا هو حال الحكم والحكام في العصر الراشد والعصر العضوض، وفي ظل الحكم الجبري.

والآن وبحمد الله عزَّ وجلَّ تتَّجه الأمَّة وتتوق للعودة إلى عصر الخلافة الراشدة. العصر الذي سيكون فيه تطبيق الإسلام كاملًا شاملًا بصفاء ونقاء من جهة، ومن جهة أخرى سيكون فيه الخليفة راشدًا أيضًا في شخصيته وسلوكه. كيف لا، ونبيُّ الله ﷺ قد بشَّر بعودتها فقال: «**تكونُ النُّبُوَّةُ فيكم ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يَرْفَعُها اللهُ تعالى، ثم تكونُ خلافةٌ على مِنهاجِ النُّبُوَّةِ ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يَرْفَعُها اللهُ تعالى، ثم تكونُ مُلْكًا عاضًّا، فتكونُ ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يَرْفَعُها اللهُ**

تعالى، ثم تكونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فيكونُ ما شاء اللهُ أن يكونَ، ثم يَرْفَعُها اللهُ تعالى، ثم تكونُ خلافةً على مِنهاجِ نُبُوَّةٍ». ثم سكت

إلا أن الزمان قد تغيَّر والعالم قد أصبح غير العالم وأشكال الحياة قد تبدَّلت وتغيَّرت، فصارت تتراود للأذهان أفكار وخواطر مثبّطة ومحبطة. إذ كيف يمكن استئناف خلافة راشدة في مثل هذا العصر وفي أمة كأمتنا اليوم؟ ما الذي يجعل أمر رجوع الخلافة أمرًا ممكنًا؟ هل حقًّا يمكننا أن نعود إلى عصر الخلافة الراشدة، أو قل الخلافة على الأقل؟ أليس هذا حلمًا صعب المنال؟ أليس هذا ضربًا من الخيال؟

دعونا نلقي نظرة على الأمور التي تجعل البعض يقولون إن إمكانية رجوع الخلافة مجرد حلم. دعونا نتعرف على سبب هذا التشاؤم وهذا اليأس من عودتها، ولنحاول تجلية الأمور وتوضيحها لعل هذا يكون سببًا في هداية الكثيرين من المتردِّدين واليائسين والمتخوِّفين؛ ولكنهم في الوقت نفسه توّاقون لسلوك الطريق الصحيح لاستئناف الحياة الإسلامية في ظل الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة بإذن الله عزَّ وجلَّ:

أولًا: واقعنا المرير الذي نعيشه اليوم في أكثر من ٥٦ دويلة، حيث في كل دويلة منها حاكم وجيش وحدود وأنظمة تجعل مجرد التفكير بالخلافة أمرًا مستحيلًا أو شبه مستحيل.

وهنا نقول: نعم، هذا ما كان من كيد الكفار لأمة محمد، فهم بعد هدمهم لدولة الإسلام مزَّقوا المسلمين في دول وطنية وأمعنوا في فرقتهم وشرذمتهم؛ وبهذا صار على السالكين في الطريق إعلان البراءة من هذه الدول الوطنية التي أسَّسها سايكس وبيكو، وتحرير عقول المسلمين أولًا من التبعية لهكذا دول صنعها الاستعمار، وهذا جزء من الطريق لإقامة الخلافة من جديد؛ فلا بد من أن يعي الناس أن هذه الدول وهؤلاء الحكَّام هم من يرسِّخون تفرقة الأمة، وهم من يسهرون على شرذمتها وإذلالها وتركيعها لأعداء الأمة، وأن هذه الحدود هي حدود صنعها الكافر وحماها حكام المسلمين، وهذه الحدود ما هي إلا خطوط لا قيمة لها؛ لأن الشعوب المسلمة ربها واحد ونبيُّها واحد ودينُها واحد، ويجب أن تكون دولتهم أيضًا واحدة وخليفتهم واحدًا. ولا يوجد في الإسلام وطنيات ولا قوميات ولا أبيض ولا أسود، فقد قال عليه الصلاة والسلام «**يا أيُّها الناسُ إنَّ ربَّكمْ واحِدٌ، ألا لا فضلَ لِعربِيٍّ على عجَمِيٍّ، ولا لِعجَمِيٍّ على عربيٍّ، ولا لأحمرَ على أسْودَ، ولا لأسودَ على أحمرَ إلَّا بالتَّقوَى، إنَّ أكرَمكمْ عند اللهِ أتْقاكُمْ**».

وهذه الدعوة، يجب على كل من يفهمها ويعيها من أبناء المسلمين، خطباء وعلماء ومثقَّفين وعامة المسلمين. يجب أن تدور على الألسن وتحتضنها الأنفس ويحملها المخلصون سرًّا وجهرًا، ليلًا ونهارًا؛ حتى تنبذ

الأنظمة القائمة وتعلم أن وقت زوالها قد آن واقترب وأن الشعوب المسلمة قد عادت لفكرها الصحيح وطريقها القويم.

ثانيًا: عدم معاصرتنا لأي نوع من خلافة سابقة، فقد ولدت أجيالنا في عصر لم توجد فيه دولة خلافة ولا إسلام يطبَّق. فنحن لم نختبر في حياتنا وجود مثل هذه الدولة. ورغم أن وجود آخر دولة إسلامية لم يكن بعيدًا جدًا عن أجيالنا، إلا أننا ولدنا وعشنا في دول لا تطبِّق الإسلام، وحكَّامها لا يمتُّون للإسلام إلا بالقشور، ولا يلبسون عباءة الإسلام أحيانًا إلا إذا لزم ذلك لتوطيد حكمهم.

وهنا نقول: إن آخر دولة إسلامية كانت الدولة العثمانية، ورغم إساءة التطبيق فيها إلا أنها كانت تحمل راية الصراع بين الحق والباطل وبين الإسلام والكفر في العالم، وهذه الدولة ليست ببعيدة عن أجيالنا، فقد هُدمت في القرن الماضي. ومعنى وجود دولة إسلامية واحدة اليوم هو أن يكون لها مركز وعاصمة وخليفة، وأن تكون باقي البلاد الإسلامية الموجودة اليوم مجرد ولايات فيها، دون وجود حدود بينها، ودون حاجة لجواز سفر وتأشيرة للتنقل في ربوعها، بل هي ولايات في دولة واحدة، لها عاصمة واحدة، ويرأسها خليفة واحد. يكون في كل ولاية منها والٍ يسير أمورها ويرعى شؤونها؛ ولكنه يعود إلى العاصمة وإلى الخليفة في الأمور السياسية والعسكرية.

ببساطة يكون الحكم مركزيًّا في الشؤون السياسية وغير مركزي في الشؤون الإدارية. فالدستور واحد في الدولة الإسلامية يحكم كل أعمال الإدارة والرعاية لجميع رعايا الدولة. وهكذا يعيش المسلمون وأهل ذمتهم عيشة رغيدة ميسَّرة يتنقلون كيفما شاؤوا في جميع ربوع دولتهم دونما حاجة لفيزا أو تأشيرة. وإذا وقع اعتداءٌ على أي ولاية حرك الخليفة الجيوش لنصرة هذه الولاية، تمامًا كما كان الحال في عصر الخلافة سابقًا. وإذا أصاب أي ولاية فقر أو جائحة أو وباء أو بلاء لا تستطيع معالجته قام الخليفة بمد العون للولاية من بيت مال المسلمين ومن أملاك المسلمين العامة وأملاك الدولة، بل وحثَّ الجميع على إغاثة تلك الولاية. هذه بعض الأمثلة لتبسيط فهم شكل وأعمال دولة الخلافة المنتظرة إن شاء الله.

ثالثًا: تخيُّل رجوع هذه الخلافة أمرًا مستحيلًا أو شبه مستحيل. وهذه مرتبطة بالنقطة الثانية. فعدم معاصرتنا لدولة الخلافة تجعلنا نتخيلها من خلال تصورات ذهنية مشوَّهة وغير صحيحة.

وهنا نقول: إن دولة الإسلام كأي دولة تقوم من جديد فإنها تقوى مع الزمن وتصبح دولة كبرى، بل تصبح لها كلمتها في العالم مع مرور الزمن؛ فقد لا تصبح دولة الخلافة عظمى من أول قيامها كما كان حالها في عهد عمر

بن الخطاب أو المعتصم أو سليمان القانوني رحمهم الله جميعًا.

إن دولة الخلافة ستكون دولة مستقلة متميِّزة منذ اليوم الأول؛ ولكن مبدأها المتميز وانتشار المسلمين في كل بقاع الدنيا وتاريخ نجاحاتها في كل ميادين الحياة واستقلال قرارها السياسي والاقتصادي والعسكري سيمكنها من النمو في فترة وجيزة؛ بحيث تنجز أهدافها العاجلة، الهدف تلو الهدف، من خلال وجود طاقمها الحاكم وتحرُّكِ أبنائها معها. وهكذا تزيل العوائق شيئًا فشيئًا إلى أن يأتي وقت تكون قد تخلَّصت الأمة بواسطة الخلافة من الأعباء والأعداء معًا، فتتحرر بلدان المسلمين وتعود الأمور إلى طريق الجادة. فطريق الدولة هو العمل الدؤوب والبناء والارتقاء يومًا بعد يوم في حدود الإمكانيات والقدرات المتوفرة، فهي دولة بشرية مع أن دستورها إلهي.

ولذا لا نتخيل أن الخلافة ستهزم أمريكا من أول يوم تقوم فيه، ولن تهزم روسيا حال قيامها، ولكنها ستعمل على تطبيق دستورها، وبناء نفسها، وتحصين ثغورها، وحماية رعاياها ومائها وهوائها، وترتيب أوضاعها وصناعاتها وزراعتها وجيشها وإداراتها، وهذا كله سيكون عملها منذ عودتها. وسيشارك المسلمون حيثما كانوا بنشاط وفعالية في هذا الأمر. كيف لا، وهي دولتهم وعزُّهم ومجدهم.

وبمجرد قيام الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة وتفعيل دستورها في كل الاتجاهات والمجالات ستزول الأوهام والخرافات والتوقعات الخاطئة والأفهام المغلوطة التي يحملها بعض المشكِّكين فيها. ذلك لأن الناس ستلمس بنفسها مدى صدق الدولة ومواكبتها للتطورات في كل اتجاهات الحياة، ومدى تمسُّكها بدينها ودستورها، وتمسُّكها أيضًا بالسنن الكونية التي أوجدها الله للناس في هذه الحياة؛ لذلك لن تعيد الدولة الناس لعهد الخيول والسيوف؛ لأن عصرنا اليوم هو عصر الطيران والآلات والمركبات والفضاء والتكنولوجيا. ستكون دولة الخلافة عصرية؛ ولكن دستورها هو الإسلام.

رابعًا: أعداد المسلمين الهائلة اليوم التي قد تصل مجتمعة لقرابة ملياري مسلم، ثم انتشارهم ووجودهم في مختلف بلاد العالم وقاراته، كل هذا يجعل مجرد تصور وجود كل هؤلاء المسلمين في دولة واحدة وتحت حكم خليفة واحد أمرًا مستحيلًا أو شبه مستحيل؛ إذ كيف يمكن تحقيق ذلك؟ وكيف لرجل أن يقود ما يزيد عن ربع الكرة الأرضية من خلال حكم مركزي كما يقضي مفهوم الخلافة ونظام الإسلام الذي جاء به نبينا ﷺ؟

وهنا نقول: القضية أنها دولة لها مركز (عاصمة واحدة) يتبعه ولايات، ولها دستور واحد. ولتخيل هذا الأمر واقعيًا نضرب مثال أمريكا: فهي مكونة من خمسين ولاية،

والعاصمة هي واشنطن. وإذا نظرت إلى خريطة الولايات المتحدة الأمريكية تجدها ٤٨ ولاية في نطاق واحد متصل، بينما تقع ولاية ألاسكا في الشمال الغربي من كندا، وتقع ولاية هاواي في المحيط الهادي. فما المانع من أن يكون للمسلمين دولة واحدة. وإن لم تكن الولايات كلها متصلة جغرافيًا بعضها مع بعض؟ ما المشكلة؟ إطلاقا لا يوجد أي مشكلة. بل على العكس فإن التقدم العلمي والتكنولوجيا تجعل لقاء الخليفة والمسؤولين معه بولاته أمرًا حدوثه يوميًا وبمكالمة سكايب واحدة أو باتصال تلفوني صوتًا وصورة، وهذا الأمر لم يكن متوفرًا ولا متاحًا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي كان يحكم أكثر من ثلاثين ولاية آنذاك.

خامسًا: الفارق شاسع فيما يتعلق بالأمور المدنية وأشكال الحياة بين زمن النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة وزماننا الحالي الآن، فقد كانت الحياة بسيطة وميسورة ويستطيع نظام سياسي بسيط أن يسيرها، أما الآن فقد تغيَّرت أشكال الحياة والدول إضافة إلى وجود منظومات دولية وقانون دولي ومعاهدات فيصعب على نظام سياسي بسيط في معالمه أن يحكم جزءًا جغرافيًّا كبيرًا في هذا العالم. وتحكُّم الدول الكبرى المستعمرة بكل المفاصل الحيوية في العالم واقتسام مصالحه وخيراته وثرواته وإخضاعه مباشرة لسيطرتها أو بصورة غير مباشرة عبر منظمات وأحكام ومعاهدات وأحلاف تجعل من ظهور دولة إسلامية أو خلافة أو شخصية راشدة من الحكام أمرًا ضربًا من الخيال أيضًا.

وهنا نقول:

١- متى كانت الظروف الدولية مؤاتية وميسَّرة وسهلة لقيام دول جديدة مستقلة عموما؟ فهل كانت الظروف سهلة لقيام الدولة الإسلامية الأولى مع وجود عداء صريح من قريش ومشركي العرب وإمبراطوريتي فارس والروم آنذاك؟ أم هل كان نشوء أمريكا بالأمر السهل؟ ألم تكن بريطانيا وفرنسا تحتلَّان أمريكا فعليًا؟ وكم كلَّفت حروب الاستقلال في أمريكا حتى تمكن الأمريكان من تحرير بلادهم وطرد المحتلين؟ هذا هو الحال، فالعالم لا يسمح بتشكل دول مستقلة جديدة، سواء أكانت إسلامية أم غير إسلامية؟ الذي يحصل أن الشعوب هي من تفرض رغبتها وإرادتها على العالم، وعلى الدول أن تقبل بدولتهم الجديدة. فوجود رغبة قوية وإصرار عند شعب ما على تأسيس دولة له تجعل الدول مضطرة لتقبل رغبته عاجلًا أم آجلًا، هذا هو واقع الحال، وكما قال الشاعر:

إذا الشعب يومًا أراد الحياة

فلا بد أن يستجيب القدر.

٢- **كثرة الأعداء:** فهناك مفهوم خاطئ عن كثرة أعداء الأمة وأن هذا أمر محبط. والحقيقة

عكس ذلك تمامًا، فكثرة الأعداء عادة تيسِّر العمل وتسهِّله ولا تعقِّده، وكثرة الأعداء تجعلهم يعيقون بعضهم بعضًا، ويعطي العاملين وقتًا أطول لتثبيت وتقوية الدولة الجديدة. فالأعداء متَّفقون على إطفاء كلمة الله ولكنهم يختلفون على من منهم سيكون الوارث للدولة التي يراد هدمها، ومن سيكون المسيطر على ثرواتها وخيراتها، ولذلك تجدهم يُعيقون بعضهم بعضًا في هدم الدولة الناشئة. ومثال واضح على هذا الأمر: الدولة العثمانية في آخر عهدها كانت تسمى بالرجل المريض وكانت روسيا وحدها قادرة على هدمها وكذلك بريطانيا، إلا أن صراع هذين العدوَّين فيما بينهما للاستيلاء على الدولة العثمانية وخيراتها جعلهما يُعيقان بعضهما بعضًا في هدمها، فتأخَّر هدم الدولة العثمانية أكثر من خمسين عامًا بسبب هذا التنافس والتسابق بين الدولتين للسيطرة على إرث الدولة العثمانية وممتلكاتها بعد الهدم. وهذا الأمر يبيِّن كيف أن كثرة الأعداء تكون في صالح الدولة الناشئة وفي صالح الشعب المؤسس، إذا عرفت الدولة كيف تستفيد من خلافاتهم وتوقع بينهم. والدولة العثمانية نفسها عندما أسَّسها العثمانيون فقد تنافس على عدائها ومنع نشوئها البيزنطيون الشرقيون والرومان الغربيون والمغول، وحتى الخونة من بقايا الدولة السلجوقية، والخونة من الأتراك الذي وقفوا حينها في صف العدو ضد أمتهم، فكان الأعداء يُعيق بعضهم بعضًا... وهكذا يتبيَّن كيف أن كثرة الأعداء أمر ليس بالسلبي إطلاقًا.

ولقد حاول السلطان العثماني عبد الحميد رحمه الله الاستفادة من كثرة أعداء دولته بتشجيع قيام حرب عالمية بينهم؛ إذ كان يريد أن ينأى بالدولة العثمانية عن هذه الحرب ليتقوَّى من جانب وليضعف أعداءه من جانب آخر. إلا أن الخائن اليهودي مصطفى كمال أفشل مخططات السلطان فورّط تركيا في الحرب العالمية الأولى لتسقط الدولة سقوطًا مدويًّا بعد ذلك.

٣- الفرق التكنولوجي والعلمي الكبير بين الدول الغربية والدولة الجديدة الناشئة؛ إذ كيف لدولة جديدة ناشئة، وإن كان اسمها الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة أن تصمد أمام عدو مدجَّج بالعلم والتكنولوجيا الحربية وبالمال والخبراء؟

وهنا نقول: هل مرَّ في التاريخ شعب مشتَّت أو ممزَّق يمتلك علومًا وتكنولوجيا؟ وهل وجد في التاريخ شعب مشتَّت ومشرذم ويمتلك مدنية وازدهارًا وتطورًا مدنيا؟ والجواب قطعًا لا، فالدول المستقلة هي التي تقوم بذلك وليس التجزئة والتشتُّت والتمزُّق في دويلات كرتونية واهنة كأمثال البلاد الإسلامية عمومًا. وهنا لا بد من توضيح الأمور التالية:

- **إن الدولة الناشئة هي دولة مستقلة:**

فالعلم والتكنولوجيا والسلاح والتقنية هي بحاجة قبل كل شيء لقرار سياسي مستقلٍّ. وهذا هو السبيل للحصول على العلوم والتكنولوجيا؛ لأن عدم وجود دولة مستقلة معناه عدم وجود علوم وعدم التمكن من الحصول على تكنولوجيا حربية أو اقتصادية أو فضائية؛ ولذا فإن غياب الدولة المستقلة هو الذي يعني الضعف والتخلف وليس بناءها وإنشاءَها واستئنافها.

- **كلفتة تاريخية، كيف كان حال العرب قبل الإسلام؟** ثم كيف أصبح تاريخهم مدويًّا باهرًا متألقًا، فأسَّس معظم العلوم والتكنولوجيا لقرون عدة؛ حتى إن كثيرًا من البحوث تثبت فيما لا شك فيه أن الإنجازات التكنولوجية الموجودة اليوم تعتمد حتى الآن على الأساسات والقواعد العلمية التي وضعها علماء المسلمين منذ قرون مضت في الرياضيات والطب والفلك والطيران وغيرها...

سادسًا: لقد قامت ثورات عربية ضخمة وفشلت، ومن ثم تمكَّن أعداء الأمة من السيطرة على الشعوب من جديد. والآن أصبح الأمر أكثر تعقيدًا مما كان عليه الأمر قبل الثورات، وإن أي ثورة جديدة ستفشل وستؤدي إلى دمار حتى ما ندعوه دولًا كرتونية، انظر لتونس، ليبيا، اليمن، مصر وسوريا.

وهنا نقول: إن جواب هذه النقطة يضطرنا لتبيان موضوع مهم ألا وهو موضوع الضمانة، ليست الضمانة لنجاح ثورة أو تغيير ما فحسب، وإنما ضمان قيام دولة الإسلام، وضمان استمرار هذه الدولة التي يراد إنشاؤها أو تأسيسها أو استئنافها، فكثيرًا ما يطرح موضوع الضمانة، ضمانة نجاح أي عمل وضمان استمرار نجاحه أو دوام عمله بالشكل المرجو منه. وللأمانة فنحن المسلمون اليوم قد مللنا الحلول السريعة غير الفعَّالة وقصيرة الأثر. إننا نتوق لحياة صحيحة ومنظَّمة ودولة راعية مسؤولة وحاكم ونظام ييسر ويهون مسؤوليات الحياة علينا، ويحقق لنا نوال رضوان الله وإنجاز التكاليف التي أمرنا الله بتحقيقها مهما كانت.

لقد جعل الله سبحانه وتعالى لكل أمر طلبه منا كيفية لتحقيقه. فمثلًا طلب منا الصلاة وبيَّن لنا كيفية أدائها، من حركات وركوع وسجود وتشهد وتسليم... وطلب منا الصيام وبين كيفية القيام به، فبيَّن شهره ووقته إفطارًا وإمساكًا، ومحظوراته، وطلب منا الحج وبيَّن وفصَّل في أحكامه من سعي وطواف ووقوف عرفة...إلخ. كما طلب الشرع أن يكون للمسلمين دولة خلافة وبيَّن طريقة إيجادها إذا تم هدمها، وبيَّن طريقة توسيعها إن كانت موجودة، وبيّن شكل الحكم وقواعده وأجهزة الدولة وصلاحياتها ... وهذه الكيفيات والطرق التي وضعها الشرع لتحقيق مطالبه، من شأنها أن تجعل العمل صحيحًا إذا وضُحت، وتجعل الوصول للهدف مضمونًا؛ من منطلق أن على

المسلم الطاعة، أما النتائج فهي على الله سبحانه العليم الخبير.

وهكذا فإن الله طلب تطبيق الشرع في حياتنا وبيَّن طريقة تطبيق هذا الشرع وهي دولة الخلافة، فوجود الخلافة هو الضمانة لتطبيق الشرع، وتطبيق الشرع يعني حلَّ مشاكلنا وتبني قضايانا بصورة صحيحة وعملية. إذًا فالخلافة هي الطريقة المضمونة لتطبيق الشرع، وتطبيق الشرع هو الضمانة لتحقيق العبودية لله ورعاية مصالح المسلمين وهداية غير المسلمين. فالخلافة هي الضمانة وهي الحاضنة وهي الطريقة الوحيدة لتطبيق الإسلام.

والذي يضمن أن تقوم الخلافة بتطبيق الإسلام علينا والذي يضمن استمرار هذا التطبيق برشاد وإتقان هو دستور دولة الخلافة، فالخلافة ليست مجرد كلمة أو راية دون مضمون، بل هي دولة لها دستور في شكل مجموعة متميزة من الأحكام الشرعية المنبثقة من القرآن والسنة وإجماع الصحابة والقياس الشرعي، وتطبيق الدستور هو الذي يجعل الدولة دولة خلافة ويجعل الحكام خلفاء. وبهذا تكون الضمانة لكون الدولة خلافة على منهاج النبوة، ويكون الحكم لله، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ١٨﴾.

ومن الجدير ذكره أنه لا يوجد ضمانة أكبر وأعظم وأهم بعد الله وشرعه. وتقوى الحاكم من يقظة الأمة. فالأمة اليقِظة لا تترك سلطانها ودولتها وخليفتها دون مراقبة ومحاسبة ونصيحة ومشورة. وخير دليل على ذلك أن خطاب الله في القرآن لم يوجَّه للدولة ولا للخليفة وإنما الخطاب موجَّه للأمة الإسلامية جمعاء، فالله عز وجل عندما يطلب شيئًا أو يأمر أمرًا أو ينهى عن شيء فإنه يقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ولا يقول يا أيها الخليفة، أو يا أيها السلطان، أو يا أيها الحاكم، أو يا أيها الأمير... وهذا له دلالته الشرعية، وهي أن هذا الأمر وهذا الدين هو أمركم ودينكم، وهو مسؤوليتكم أنتم أولًا وأخيرًا أيها المؤمنون، وأن هذه الدولة دولتكم، وأنكم أيها المؤمنون أنتم جميعًا المسؤولون عنها وليس القائمون على الدولة فقط، فالدولة يبنيها المؤمنون، والخليفة ينيبه وينصِّبه المؤمنون، بل إن كل شيء يخصُّ عمل الخليفة في رعاية الأمة الإسلامية هو جزء من مسؤوليات الأمة الإسلامية في المقام الأول؛ ولذا فإن مسؤولية محاسبة الدولة وتقويمها وتقويم خليفتها ومراقبة دوام تطبيقه وولاته وعماله للإسلام هي وظيفة الأمة بكافة مقوماتها من علماء ووجهاء وتجَّار ومفكرين وخطباء وأحزاب وأساتذة ومثقفين... وبهذا تكون الضمانة العملية موجودة دومًا في الدولة،

وليس فقط في جهازها وحكَّامها وعمَّالها، وإنما في صاحبة الشأن الأول وصاحبة السلطان، ألا وهي الأمة الإسلامية. فما الدولة إلا نتاج إنابة الأمة لأحد أفرادها عنها في تطبيق الإسلام عليها، وليس معنى ذلك أبدًا أن تختاره ثم تتركه يحكم دون رقيب ولا حسيب ولا نصيحة ولا مشورة ولا حساب.

والشيء بالشيء يذكر، فإن هذه المراقبة والمحاسبة لها ضوابطها الشرعية التي بيَّنها الشرع وفصَّلها، فلا يجوز للأمة أن تنتهك حقًّا من حقوق الحاكم، ولا يجوز للحاكم أن يتعدَّى على حق من حقوق الأمة، ويكون القضاء هو الفيصل في أي خلاف يحدث بين الأمة وخليفتها أو أحد ولاته أو عماله. فالله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾.

ولكي تقوم هذه الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة لا بد من طريقة بيَّنها الشرع لإقامتها إن هي هدمت. ولقد بيَّن **حزب التحرير** هذه الطريقة الشرعية مشفوعة بأدلتها الشرعية، ودعا ولا يزال يدعو المسلمين كي يعملوا معه لإقامتها، فما على المسلم العاقل إلا أن يقرأ ويسأل وسيرى وضوح هذا الطريق، فيكفي للمسلم المخلص لدينه وأمته أن يقرأ الدستور الذي تبناه الحزب؛ ليكون بإذن الله دستور دولة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة. ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾.

أيها المسلمون المؤمنون:

إن هذه الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة ستكون مثيلة الخلافة الراشدة الأولى على منهاج النبوة بإذن الله، وستكون سلطانكم وعزكم ومجدكم ورفعتكم وطريقكم لرضوان الله وحمل رسالته في العالمين، وستصان بها بيضة الإسلام وحماه، وتصان أنفسكم وأعراضكم وأموالكم، وبها ترتقون من عزٍّ إلى عزٍّ، فالخلافة رحمة مهداة جاء بها خير البشر لتهوِّن علينا أمور ديننا ودنيانا. ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾... فاللهم هيئ ويسر لنا استئناف الحياة الإسلامية بإقامة دولة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، وبارك لنا في عملنا هذا على الطريق الذي تبنَّاه **حزب التحرير** لإقامتها، وبارِكْ في السائرين فيه، واهدِ أمة محمد لمؤازرة هذا العمل الجليل. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾.■

بسم الله الرحمن الرحيم

الإعلام والمنظمات الدولية... يد واحدة في إفساد البشرية

نبيل عبد الكريم

تنبثق أهمية الأسرة في أي مجتمع من كونها لبنة تشكل الخلية الأولى للمجتمع، فهي أساس الاستقرار وضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري ونقطة ارتكازه، فأي ضعف في هذه الخلية يساهم في معاناة المجتمع من الانحطاط الفكري وتدهور العلاقات الإنسانية وغياب التكامل الاجتماعي... واليوم، تشهد «الإنسانية» حربًا ضروسًا على الأسرة ووظيفتها في المجتمع، ومن يقف وراء هذه الحرب يعمل بدأب إلى إعادة هيكلة وظائف المجتمع بكل شرائحه وفق منظور إلغاء الثنائية (الذكر والأنثى) وإحلال النوع الاجتماعي محله، وإغراق لبنة الأسرة في مستنقع فوضى الأدوار، وحرية التصرف بالجسد، وحرية قتل الأجِنَّة وضمان الفاحشة، والشذوذ الجنسي وتغير الجنس تحت عنوان «حرية الاختيار»، وغيرها الكثير والكثير جدًا. ولوصول هؤلاء الذين يقفون وراء هذه الحرب إلى تحقيق أهدافهم، عملوا منذ زمن طويل على إيجاد التربة التي تمكِّنهم من تنفيذ مخططاتهم فيها، وتقديم التشريعات بشكل رسمي ليصبح الأمر قانونيًّا، له صفات أممية ومن دون معارضة تذكر.

وفي هذا المجال، لعب الإعلام، عبر وسائطه المختلفة منها المقروءة والمسموعة والمرئية، دورًا محوريًّا في هذه الحرب، فكان من أهم أسلحتها؛ لأن الإعلام أصبح ملتصقًا بالإنسان كالتصاق الثوب بالبدن، ومنتشرًا بين كل طبقات المجتمع من متعلمين وغير متعلمين، فقراء وأغنياء، صغارًا وكبارًا، ومستغرقًا جلَّ أوقاتهم، ومسخِّرًا كلَّ إمكاناته وحاشدًا لجيوشه من الموظفين المختصِّين لنشر الانحلال الفكري والخلقي، وترويج الشذوذ الجنسي، والتحلُّل من جميع القيم والمفاهيم والأخلاقيات التي يتمتع بها الإنسان بفطرته.

نحن نعلم أن الإعلام دخل كل بيت، ووصل إلى كل يد، وأصبح رفيق الدرب في العلن والخصوصية، من دون أي اعتبار لعمر أو جنس أو أي أمر آخر... وأنه أصبح يؤثر على حياة المشاهدين، ويفرض عليهم مفاهيم جديدة، ويغير أنماط الفكر والسلوك لديهم، ويجعلهم فريسة الضِّباع التي تخدرهم وتجعلهم يتبعونها إلى حيث مقتلها. والواضح أن القائمين على مثل هذا النوع من الإعلام يديرون مؤسسات إعلامية عالمية كبرى تسيطر على كل مفاصل الإعلام بشكل مباشر أو غير مباشر في العالم، وهم لم يكتفوا بتحقيق الأرباح الخيالية التي بلغت فيها ثرواتهم أعلى سلَّم الثراء في العالم، بل نراهم يمتلكون عقولًا شيطانية تريد أن تخضع العالم كله لشرِّها. أما حكومات المسلمين فيبدو عليها التواطؤ

الضمني؛ إذ تسمح بجريان صديد هذا الإعلام في بلادهم من غير إيقاف له.

نعم، إن وسائل الإعلام تمتلك قدرة هائلة على التأثير في عموم الناس، وتغيير نظرتهم إلى أنفسهم وإلى العالم من حولهم، وتستطيع دعم التدافع الغريزي لديهم بشكل حيواني بعيدًا عن تأثير المفاهيم على تصوراتهم وتصرفاتهم. وتستطيع إحداث خلل في قيم الشعوب بشكل عام، والتلاعب بعقول البشر والكذب عليهم وتضليلهم بسهولة. يقول مؤسس جريدة نيويورك تايمز: «أعط أي إنسان معلومات صحيحة ثم اتركه وشأنه، سيظل معرضًا للخطأ في رأيه، ربما لبعض الوقت ولكن فرصة الصواب سوف تظل في يده إلى الأبد، واحجب المعلومات عن أي إنسان أو قدِّمها إليه مشوَّهة أو ناقصة أو محشوَّة بالدعاية والزيف؛ إذًا فقد دمَّرت جهاز تفكيره ونزلت به إلى ما دون مستوى الإنسان».

ومن أساليب عملهم في إحداث التأثير هو جعل الشباب والشابات مثلًا يواكبون، بدون وعي أو حتى تفكير، الموضات المختلفة الجديدة عن طريق مشاهير وأبطال الأفلام والمسلسلات، وتقليدهم بشكل أعمى في كل شيء كقصات الشعر واللباس والوشم وحتى طريقة الكلام وغيرها؛ فنجد شباب اليوم يلبسون ما هو خليع ويقولون ما هو سفيه دون حياء أو إحساس بالذنب؛ لأن أبطالهم تقول وتفعل هذا، وبذلك يتم نقل كل الأفعال والأقوال من شاشات الأجهزة الإلكترونية إلى أرض الواقع وكأنها شيء طبيعي نابع من طبيعة المجتمع، مع أنها في واقع الأمر مرفوضة ومنافية لقيمه، بل والأسوأ من ذلك أن الإعلام يجعل المشاهدين يتعاطفون مع البطل الذي يمثل دور الضحية بكل حالاته، سواء إن كان شاذًّا أم ديُّوثًا أم قاتلًا أم حتى زانيًا، فيبكون على بكائه ويتألمون على ألمه ويتماشَون مع قصته ويبرِّرون خيانته... ونظرًا إلى هذه النتائج الخبيثة وآثارها السلبية؛ فقد أصبحت البيوت وهِنة متفككة، وهذه أمثلة قليلة من ملايين الأمثلة التي تمارس على المسلمين كل يوم.

في ظل مثل هذا الإعلام الفاجر، أصبح الإنسان مكشوفًا مفضوحًا منغمسًا فيه ولا يستطيع الفكاك بسهولة عنه، مدمنًا عليه لا يمكنه الاستغناء عنه... وهو يعمل ببرامجه على تفكيك العلاقات الإنسانية والاجتماعية وإحداث الانحلال الأخلاقي واستسهال الشذوذ بكل أنواعه، ويعمل وفقًا لأيديولوجيات وأجندات خاصة مدروسة بعناية فائقة ومؤثِّرة لتحقيق الوصول الكامل إلى ما يخدم مخططات شيطانية تقف وراء كل ذلك، وضمن سياسة منظَّمة ذات أهداف خفيَّة ترمي إلى تدمير العقائد والقيم المجتمعية والتربوية والخلقية وترمي إلى جعل العالم كله يتلوَّن بلون واحد من صور التهتُّك والتحلُّل، ويدين بدين واحد جديد يغلب بمفاهيمه الفاجرة كل الأديان النمطية السابقة، بحسب زعمهم.

وهذا يجرنا إلى الحديث عن أن هناك مؤسسات إعلامية كثيرة ذاع صيتها على مستوى العالم، تعمل على التوجُّه المذكور نفسه، وجميعها تملك تمويلًا عاليًا جدًا وسلطة واسعة، وسوف نأخذ شركة نتفلكس كمثال عليها، فهي شركة تقوم اليوم بهجمة شرسة

مشبوهة على المسلمين تستهدف النيل من مفاهيم دينهم وتغييرها.

في أواخر التسعينات، بدأ مؤسسا شركة نتفليكس مارك راندولوف وريد هاسيتنجر في البحث عن مضاعفة أرباحهما من تأجير الأفلام والمسلسلات والبرامج التي **تدخل كل منزل**، وهي اليوم تنافس كبرى شركات الإنتاج مثل (ديزني) و (وارنربروس)... وغيرها، وذلك لما تملكه من آليات تمَّ تطويرها عبر عشرات السنين حتى أصبحت اليوم تلامس أذواق ملايين المشاهدين عبر العالم، فهي شركة متخصصة في إنتاج وعرض الأفلام والمسلسلات والبرامج التلفزيونية من خلال شبكة الإنترنت. وجزء من الأعمال التي يتمُّ عرضها في منصتها هي من إنتاجها الخاص، ولا تعرض في منصات أخرى، وأيضًا تقوم بشراء أعمال ناجحة لعرضها حصريًّا على منصاتها لتجعل لها قوة للسيطرة على أكبر شريحة من المشاهدين؛ حيث يشتركون معها دون الذهاب إلى غيرها مطلقًا. وعلى سبيل المثال ومن أجل التأثير على الأسر والأطفال وإبقائهم مدمنين على متابعتها، قامت شركة نتفليكس بشراء حقوق قائمة أعمال الكاتب البارز في مجال أدب الأطفال (روالد دال) في إطار التعاون على إنتاج مسلسلات رسوم متحركة مقتبسة من أنجح رواياته. وعلى سبيل المثال في اهتمام الأسر بمثل هذه الروايات وصلت «ويلوغبيز»، وهي كوميديا رسوم متحركة لعام ٢٠٢٠م إلى ما يقرب من ٣٨ مليون أسرة في الأسابيع الأربعة الأولى لعرضها.

وهناك العديد من أعمال هذه الشركة التي تستهدف المجتمع الشرقي والمسلم بالتحديد، والتي تحمل الأفكار المنحرفة التي لا تتناسب مع طبيعتنا الإنسانية وفطرتنا السليمة، بل تعدى خطر المسلسلات والأفلام التي تبثها منصة نتفلكس هذا الحد، ليصل إلى بث الرسائل العقائدية التي تشكك في المعتقدات الدينية وتحقِّرها، وتستهدف هدمها؛ وذلك ضمن منهجية مخطط لها.

ومن الملاحظ أن شركة نتفلكس من خلال طبيعة أعمالها وحملات الدعاية التي تقوم بتصميمها وبثها تستهدف فئة الشباب وخاصة المراهقين منهم؛ وذلك لأنهم تربة خصبة لزرع الأفكار المنحرفة التي من شأنها أن تعمل على زعزعة الأمن الفكري والأخلاقي للمجتمع والتي ينتج عنها مجتمع فاسد لا علاقة له بالقيم ولا بالأخلاق ولا يربطه بالدين رابط، وقد وصلت نسبة مشاهدي منصة نتفلكس حول العالم في العام ٢٠٢٠م إلى حوالى ١٧٠ مليون، تشكل نسبة الشباب والمراهقين منهم حوالى ٥٥٪، أي إن غالبية متابعي هذه المنصة هم من الشباب والمراهقين... إن عمل هذه المنصة يتمثل بإغراق المشاهد بسيل من اللقطات الصادمة حتى يتطبَّع عليها؛ حيث يتم حشد المشاهد الإباحية بالذات ذات الطبيعة الشاذَّة، والتي كلها تسير بشكل عادي في مجتمعهم الغربي ونظامهم الذي لا ضوابط له، فتكون على شكل دعايات في كل الأعمال التي يذيع صيتها، هذا غير النقاشات الحوارية بين الآباء والأبناء ذات التوجه الجنسي الشاذِّ.

ويلاحظ أن هناك تنسيقًا غير معلن بين هذه المنصات الإعلامية وأروقة التشريع في

منظمة الأمم المتحدة. فالأولى تعمل على تهيئة التربة لنشر وقبول الأفكار المنحرفة، بينما تقوم الثانية بفرضها على الحكومات على اعتبار أنها مواثيق دولية، وتفسح المجال لمنظمات مشبوهة أن تكون أدواتها التنفيذية على الأرض مثل منظمات المجتمع المدني، وتفرض على الحكومات إعطاء هذه المنظمات الحق في صنع القرار الذي يحمل أجنداتها، وهذا المشهد التآمري الخبيث يكتمل عندما نرى ارتباط هذه المنظمات بالسفارات، وبالتالي تخصيص الأموال الطائلة التي تضعها بين يديها لتخدم أجنداتها السياسية والفكرية والاقتصادية في كل بلد تعمل فيه.

وهذه المنظمات مدعومة ومنتقاة من قبل الأمم المتحدة لتمثل قوى ضغط على الحكومات من الداخل، وهم من أبناء البلاد ويتم تدريبهم بواسطة معهد للبحوث والتدريب INSTRAW وهو مصمم خصيصًا لذلك، وله صندوق دعم مالي خاص UNIFEM وقد بلغ ذلك الإكراه التشريعي مداه بإجبار البرلمانات والمجالس التشريعية على تقنين منظومة الفوضى الجنسية بكل مفرداتها وتفاصيلها وإيجاد أدوات لحمايتها قانونيًّا وقضائيًّا، فنجد أن مواثيق الأمم المتحدة تمنح حق اختيار الجنس وحرية التحوُّل الجنسي لمن يشاء في حين هي نفسها تحرم شعوبًا كاملة من حقِّها في اختيار التشريع الذي يناسب مجتمعها.

وإذا درسنا أهم المواثيق الدولية لحقوق الإنسان والمرأة والطفل والسكان والتنمية نتوصل إلى أن هيئة الأمم المتحدة قد صاغت خلال تلك المواثيق استراتيجيات كاملة يؤدي تطبيقها إلى هدم الأسرة بشكل عام. وتوكل مهام تشكيل الرأي العام للمؤسسات الإعلامية والتعليمية ومؤسسات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية ذات الطابع الخيري.

وأيضًا نجد الأمم المتحدة تدعي أنها تستهدف القضاء على الفقر من خلال هذه الأجندات، وخاصة اتفاقية التنمية المستدامة ٢٠٣٠م؛ ولكن في حقيقة الأمر تعتبر تلك الاتفاقية خطة جديدة لاستكمال ما فشلت بتطبيقه من خلال وثيقتي بكين والقاهرة للسكان ١٩٩٥م من مساواة الجندر واستقواء المرأة والطفل ونزع القوامة من الرجل، وهذا بشهادة لجنة مركز المرأة؛ حيث قالت أنه عبر أكثر من ٢٠ عامًا لم تحقق أي دولة المساواة التامة المرجوة، وإنهم اتفقوا على التعاون جميعًا على تطبيق اتفاقية التنمية المستدامة ٢٠٣٠م لتحقيق تلك الأهداف.

والآن، ما السبيل للخروج من هذا الفخ الشيطاني الخبيث، والذي يسعى إلى فرض نظام عالمي جديد يخرج الإنسان من إنسانيته، والمسلم من عبوديته لله؟.

إن مثل هذا المكر إنما هو ممتد منذ أكثر من مئة عام، وتحديدًا منذ هدم الخلافة، وهي تجد مقاومة طبيعية من المسلمين بسبب أن العقيدة الإسلامية راسخة رسوخ الجبال في نفوسهم، ولا يمكن اقتلاعها مهما فعلوا. وبسبب غيرة المسلمين على دينهم وأهاليهم وأمتهم. وإن الواجب على المسلمين اليوم، أن لا يدَعوا هذه المخططات تحقِّق أهدافها الشيطانية، وأن عليهم استخدام سلاح الوعي لمواجهتها، وهذا مجاله واسع، وفيه القدرة

على التاثير؛ وذلك عبر ملء وسائل الإعلام نفسها ببرامج توعية تحذر منها. وهناك بعض المستويات في المواجهة والمعالجة، ولا بد من أن تشمل كل المسلمين؛ لأن المشكلة تطالهم جميعًا، ومنها...

- إن الخوف على العائلات أن يكون الآباء أو الأمهات هم من ضمن الواقعين في شراك هذه الشبكات الإعلامية المشبوهة، فعليهم أن يحذَروا من هذه البرامج، وأكثر من ذلك أن لا يكثروا من استعمالها بسرف، وأن يلتفتوا إلى أنفسهم وعائلاتهم أكثر، وأن يوجهوهم على أساس من دينهم، وتوعيتهم إلى أن يتعاملوا معها بحذر وعدم الاطمئنان إلى ما تعرضه مثل هذه الوسائل.

- إن على العلماء أن يعتبروا هذه المشكلة من المشاكل التي يجب تناولها والتحذير منها في خطبهم ودروسهم وأحاديثهم... فهناك الآيات والأحاديث الكثيرة التي تشجع المسلم على التمسك بدينه وعدم الانجرار وراء مثل هذه الأدوات الفاسدة، وخاصة أنها تريد بالمسلمين شرًّا، تريد أن تحرفهم عن دينهم، وترميهم في أوحال الرذيلة

- الحرص على أن يكون هناك رأي عام من منطلق إسلامي واعٍ يجعل المسلم لا يسلِّم أمره لمثل هذه المنصات ولا لما تعرضه، فوجود الرأي العام على أمر ما يساعد على المعالجة، إذ هناك فرق بين أن يكون الأمر منتشرًا من غير وازع وبين أن يكون مرفوضًا أو معيوبًا عند عامة الناس.

- لا شك أن هذه المنصات الإعلامية قد فرضت نفسها على الأهل إلى الدرجة التي أصبحوا فيها لا يستطيعون أن يمنعوا أبناءهم من امتلاكها، وتوسعت حتى إنها أصبحت من الوسائل اللازمة للأبناء في التعليم في المدارس وفي الجامعات... وأصبح الأبناء يلمُّون بتقنيتها أكثر من أهاليهم، لذلك كان الحلُّ المتاح إنما هو بتوجيههم كيف يستخدمونها، وتنبيههم من مثل هذه المواقع المشبوهة (نتفلكس وغيرها) وتنبيههم إلى الأهداف الماكرة التي تقف خلفها.

فإذا وقف الأهل ووقف العلماء مثل هذا الموقف منها فلا بد من وجود رأي عام يرفض ليس وسائل التواصل ولكن المنصات المشبوهة كالتي نذكرها... ونحن أقدر على التأثير لأن الدين عند الجميع مقدم على مثل هذه الدعوات.

إن من يدقق فيما عرضناه من معالجات يجد أنها تأخذ صفة الدفاع ومواجهة الهجوم علينا، ومحاولة تفويت خطرها، وليس فيها معالجات جذرية تنهيها بالكلية، ولو رجعنا إلى الوراء لوجدنا أن المسلمين لم يهدأ المكر عليهم من الغرب منذ ما قبل هدم دولتهم، وقد تضاعف بعد هدمها، ولوجدنا أن المسلمين كانوا يواجهونه في كل مرة، ولا يسمحون له، وقد أخذ أشكالًا وألوانًا، **من عقد مؤتمرات** كمؤتمر بكين ومؤتمر القاهرة وما تم فيه من دعوة إلى تحديد النسل أو المعاشرة خارج إطار الزوجية تحت شعار التنمية المستدامة... **ومن تسخير وسائل الإعلام** لتكون بوقًا لدعواتهم، **ومن إيجاد منظمات** المجتمع المدني التي تدافع عن حقوق المرأة والأطفال والمثلية

الجنسية والأقليات...، أو **الدعوة إلى الدولة المدنية** أو الدعوة إلى التطبيع مع اليهود وقبول اغتصابهم لفلسطين أو التهاون بأحكام دينهم، أو الاندماج بالثقافة الغربية، أو الحرب على الإسلام تحت شعار الحرب على الإرهاب... وهم في كل مرة يفشلون، ولم يتمكنوا حتى الآن من تمرير مكائدهم ودعواتهم المشبوهة في حياة المسلمين، بل تم رفضها، وظهر للغرب أن المسلمين متمسكون بدينهم بما لا يمكِّنهم من النجاح، ووجدوا على عكس ما كانوا يتصوروه، أن المسلمين قد ارتدوا عليهم بثورات تريد اجتثاثهم من بينهم، وطرد نفوذهم وقلع عملائهم من الحكام، وهنا يمكن القول إننا أمام حرب مفتوحة، يريد الغرب فيها أن يفرض على المسلمين تغيير فهمهم للإسلام، أو أن يصلح دينهم كما انكشف، أو أن يبعدهم عن دينهم... قائمتهم طويلة ولكنها خاسرة بائرة، وما هذه المنصة التي نتكلم عنها إلا إحدى أدواته ووسائله الشِّريرة.

أما المواجهة الحقيقة فلا يمكن أن تكون إلا من خلال دولة إسلامية تضع حدًّا كليًّا لهم، بل تفتح أبواب الرحمة والهداية أمام شعوبهم حين تدعوهم إلى الإسلام... وهذا هو الفرق بيننا وبينهم، نحن ندعوهم إلى الجنة وهم يدعوننا إلى النار، يدعوننا لنكفر بالله ونجعل له أندادًا ونحن ندعوهم إلى العزيز الغفار. نعم لا يمكن إيقاف كيد الكفار نهائيًّا إلا من خلال دولة إسلامية، وكلنا يعرف كيف هدد السلطان عبد الحميد الثاني دولة فرنسا ومنعها عرض مسرحية مسيئة للرسول وللإسلام في بلدهم، ومن قبل كيف أجبر السلطان سليمان القانوني ملك فرنسا أن يمنع الرقص الفاحش العلني الذي يحدث في الشوارع عندهم حتى لا يتأذى المسلمون في بلادهم منه...

نعم، إن الحل الجذري لهذه المشاكل عامة وهذه المسألة خاصة هي استئصال هذا النظام العالمي الحاكم وإقامة نظام الإسلام الذي هو بالأصل نظام عالمي، فهو الأصيل الذي عليه أن يجتث جذور هذا الفساد ضد الإنسانية جمعاء فالإسلام جاء ليعالج جميع علاقات الإنسان فهو مبدأ رباني موافق لفطرة الإنسان التي فطرها الله فيه فتطبيقه على أرض الواقع يعيد للإنسان إنسانيته ويمنع العابثين من أن يعبثوا به أو يغيروا خلق الله.

فاشحذوا، أيها المسلمون، هممكم، وشمروا عن سواعدكم لتقفوا في وجه هذه النظم الحاكمة الظالمة، وقولوا إننا نريد استئناف الحياة الإسلامية، نريد خلافة راشدة على منهاج النبوة، نريد أن نكون ممن قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ نريد أن يتحقق بنا ولنا قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

أردوغان لا يستحق أبدًا قيادة الأمة الإسلامية بالسياسة غير الإسلامية التي يتبعها!

يلماز شيلك

بعدما فقدت الأمة الإسلامية الخلافة في ٣ آذار/مارس ١٩٢٤م، فقدت معها مسارها وأصبحت تهيم من مكان لآخر. وكلما سعت الأمة لاستعادة ما فقدته، وحاولت النهوض بهذا الشأن، فإن العقل الأعلى يتدخل على الفور ويقود الأمة إلى الطرق الخاطئة والمضلَّة. ولطالما قام الشعب التركي المسلم بدعم عدد من الشخصيات والحكومات التي يعتبرها قريبة منه انطلاقًا من إيمانه بالإسلام. ففي السنوات الأولى من تأسيس الجمهورية، تعرَّض أهل تركيا للاضطهاد بسبب الممارسات اليعقوبية البريطانية العلمانية. كذلك فقد قام حزب الشعب الجمهوري، الذي كان في السلطة آنذاك، بإعلان الحرب ضد الإسلام والمسلمين ومحو كل ما يذكِّر بالإسلام من الحياة؛ ونتيجة لهذه الممارسات، حدثت بعض الاضطرابات الخطيرة في المجتمع؛ ومن أجل منع كراهية الشعب التركي المسلم وعدائه للنظام وإعادة دمج المجتمع في النظام، أطلق مؤسِّسو النظام الحزب الديمقراطي برئاسة عدنان مندريس. وبمجرد وصول عدنان مندريس إلى الحكم، كان أول عمل قام به هو ترجمة الأذان، الذي كان يعلن باللغة التركية، إلى أصله اللغة العربية. وبسبب هذه الممارسة، رأى الشعب في الحزب الديمقراطي حزبًا إسلاميًا وسانده لسنوات عديدة.

ثم في وقت لاحق، انتقل النظام الوطني إلى نجم الدين أربكان، الذي أسَّس حزب الرفاه والسلامة الوطني، والذي كان له مظهر إسلامي أكثر من الحزب الديمقراطي. وقد تمَّ خداع الشعب التركي المسلم لسنوات عديدة بهذا النوع من الأحزاب الديمقراطية التي لها عدة شعارات ومظاهر إسلامية؛ ولكنها لا تحكم بالإسلام، ولا علاقة لها بالإسلام لا من قريب ولا من بعيد. والآن يتم خداع المسلمين بحزب العدالة والتنمية، الذي يتولَّى دور دمج المسلمين في النظام، وهو الحلقة الأخيرة في هذه السلسلة، ويرأسه أردوغان.

في هذا المقالة، سنقيّم الهوية السياسية لحزب العدالة والتنمية وأردوغان من خلال السياسات الداخلية والخارجية التي نفَّذها أردوغان على مدى عقدين من الزمن. فهل أردوغان إسلامي، أم زعيم وطني. أم زعيم جمهوري أو قومي أو ديمقراطي؟ وهل حزب العدالة والتنمية حزب إسلامي أم حزب علماني ديمقراطي محافظ؟

حزب العدالة والتنمية وأردوغان، اللذان وصلا إلى السلطة في عام ٢٠٠٢م، قد شرعا لأول مرة في استعادة العلاقات التي كانت مقطوعة في السابق بين المجتمع والدولة

والمجتمع والحكام. ومع الدعم الذي قدَّمته أمريكا، تخلَّى أولًا عن النهج البريطاني اليعقوبي العلماني في السياسة. وعندما حكم الشعب بديمقراطية أمريكية أكثر ليونة، اكتسب امتنان هذا المجتمع الذي تعرَّض للاضطهاد لسنوات. بالطبع كانت سياسة أردوغان هذه التي أوصلته إلى السلطة، سياسة أمريكية ماكرة تمامًا. ومع ذلك، فإن ظهور أردوغان بمظهر إسلامي، أي أداءه الصلاة وقراءة القرآن وكون زوجته ترتدي الخمار، كان له تأثير كبير على المجتمع، وخاصة بين المسلمين. فبدأت الأمة بحب أردوغان على صفاته هذه، وأظهرت امتنانًا كبيرًا له.

قام أردوغان بعدد من الإجراءات التي ترضي الجمهور بالدعم السياسي الذي قدَّمته له أمريكا. على سبيل المثال، توصَّل إلى رفع الحظر المفروض على الخِمار في أماكن التعليم والعلن به، والذي كان قد أصبح مثل الغرغرينا لسنوات، وقد توصَّل لرفع الحظر ليس بموجب القانون ولكن بالتوافق الاجتماعي. وقام برفع الحظر المفروض على ارتداء النساء الخمار في المكاتب الحكومية والجامعات والجيش والشرطة. ورفع القيود المفروضة على مدارس الإمام الخطيب. وقد تمَّ بين المسلمين اعتبار هذه الخطوات التي اتخذها أردوغان عملًا إسلاميًّا. غير أن أردوغان كان يفعل ذلك في إطار الحريات الديمقراطية. فمن ناحية، كان يتَّخذ خطوات وكأنه يسعى لإرضاء الشعب، بينما كان من ناحية أخرى يمارس النظام الديمقراطي الرأسمالي العلماني الذي يرضي الكفار الاستعماريين لدرجة أنه أطلق العنان للزنا الذي منعه الله، من أجل إقناع فصيل علماني كمالي ديمقراطي داخل تركيا، وخارجها إرضاءً لأمريكا والغرب الذي أوصله إلى السلطة. وقد ذكر أردوغان هذا الوضع بفمه؛ لا سيما عند السماح بالزنا، بقوله «**لقد اتَّخذنا خطوة من هذا القبيل هناك (السماح بالزنا) بما يتماشى مع مطالب الاتحاد الأوروبي، لكننا كنا مخطئين**»، بينما من ناحية أخرى «تمَّ السماح به قبل ولايتي»... لكن الله سبحانه وتعالى حرَّم الزنا تحريمًا قطعيًا حيث قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ٣٢﴾.

ومرة أخرى، فعلى الرغم من أن أردوغان صرَّح بأنه سينسحب من «اتفاقية إسطنبول»، إلا أنه قد تمَّ تدمير سقف المؤسسة الأسرية واهتزَّت أسسها مع اتفاقية إسطنبول والقوانين التي سُنَّت في إطار هذه الاتفاقية. وقد أصبحت المثلية الجنسية والانحراف منتشرة على نطاق واسع في المجتمع، وخاصة بين الشباب. كل هذه القوانين التحرُّرية، التي تم تنفيذها بموجب قوانين المواءمة للاتحاد الأوروبي، أبعدت الشعب عن الإسلام. كذلك فإن حزب العدالة والتنمية، الذي قال إنه «سيحافظ على التقاليد» بوعد المحافظ، قاد بتدمير جميع قيم التقاليد.

وبينما كان أردوغان يقول: «ماذا يوجد في صميم النظام الاستعماري الاقتصادي العالمي، يوجد ربا. وإن نظام الربا هو نظام ظلم وطغيان. فالربا يزيد من غِنى الغني ويزيد من فقر الفقير، ونحن أعلنَّا الحرب على هذا النظام. أنا في حرب ضده منذ ١٩ عامًا. وطالما هذه الروح في هذا الجسد فلن أقول للربويين استمرُّوا، ولن أكون إلى جانبهم أو وراءهم؛ لأن الربا لا يحتل أي مكانة في سلسلة القيم التي نؤمن بها. وإننا لسنا من ينمِّي الربا، وكما أقول دائمًا، بإذن الله، فإن الربا هو السبب والتضخم هو النتيجة»، كذلك يقول: «لا تتوقعوا مني خفض نسبة الفائدة، فسأستمرُّ بفعل ما ينبغي عليَّ فعله حسب النصوص. هذا هو الحكم»، ومن جهة أخرى يقول: «إن الربا هو حقيقة عالمية». وبكلماته هذه يكون قد شرع الربا الذي حرَّمه الإسلام، مع أن الله سبحانه وتعالى اعتبر التعامل بالربا بمثابة شن حرب على الله ورسوله حيث قال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾. وعلى الرغم من هذا النص الصريح في الإسلام بشأن الربا، إلا أن الرئيس أردوغان قد اتبع سياسة تعزِّز الربا والبنوك والنظام النقدي وغير ذلك من المنكرات.

وبالطريقة نفسها فإن بن علي يلديريم الذي كان أيضًا زعيمًا لحزب العدالة والتنمية ورئيسًا للوزراء لفترة، وفي خطاب كان قد ألقاه عام ٢٠١٤م، كشف عن الهوية (الإسلامية!) للحزب بقوله: «قبل وصولنا إلى الحكم، كان هناك مصنعان للخمر في تيكرداغ، وبعد وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم، أصبح هناك ١٨ مصنعًا، وكانت هناك علامة تجارية واحدة، والآن هناك ٧ علامات تجارية». مع أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

إضافة إلى ذلك، فلا داعي لتقديم إحصاءات بشأن المقامرات والمراهنات خلال فترة حكم حزب العدالة والتنمية المستمرَّة منذ حوالى العقدين. كذلك على مدى العقدين الماضيين تمَّ الترويج للعب القمار من خلال ألعاب الرهان المشروعة. وتمَّ الترويج للقروض الربوية من خلال البنوك. كذلك قاموا بتقاسم الملكيات العامة وملكية الدولة بينهم تحت ما يسمى بالخصخصة. فأردوغان لم يضع أي سياسة أو إجراءات إسلامية في السياسات الاقتصادية هذه. وهو الذي يقول إنه من الإسلاميين، فقد قام بتطبيق جميع الممارسات المخالفة للإسلام في سبيل المحافظة على كرسيِّه وكسب رضا الغرب.

كما اتبع أردوغان سياسة متقلبة للغاية بشأن الكمالية. فقبل وصوله إلى السلطة قام باستغلال المسلمين، ثم غير وجهته بعد ذلك بشكل كبير. وبعد أن قال أردوغان في ١٩٩٤م: «الحمد لله أننا نتبع الشريعة»، وقال في ١٩٩٦م: «لا مكان للكمالية وللأنظمة والقوانين

المشابهة للكمالية في مستقبل تركيا»، كذلك قال في تلك السنوات: «لا يكون المرء مسلمًا وعلمانيًا في الوقت ذاته، إما مسلم أو علماني فقط»، فبعد هذه الأقوال وصلنا إلى ما نحن عليه في هذه الأيام. والحال في عام ٢٠٢٢م أن كلًّا من العلمانية و(الأتاتوركية) تحظى بشعبية. وأردوغان، الذي هو الرئيس وزعيم حزب العدالة والتنمية، يدعو المسلمين إلى العلمانية والكمالية على حد سواء...

كذلك فقد قال بن علي يلديريم الرئيس السابق: «تابعنا بدهشة أن بعض الأشخاص لا يزالون يحتكرون (أتاتورك) مع أنه ذو قيمة مشتركة لتركيا كلها». وحزب العدالة والتنمية يزور قبر مصطفى كمال، وأنصار حزب العدالة والتنمية أيضًا يزورون قبره. فمنذ تأسيس حزب العدالة والتنمية، وهؤلاء الحمقى يزورون قبره، ويحضرون احتفالات ١٠ تشرين الثاني/نوفمبر. كما أن حزب العدالة والتنمية لا يحتاج إلى إثبات انتمائه الكمالي لأي أحد. وكما يتضح، فإن أردوغان وحزبه ليس لديهم أية مشاكل مع النظام والجمهورية ومصطفى كمال.

وفي واقع الأمر، عندما شارك المتحدث السابق باسم حزب العدالة والتنمية ماهر أونال في برنامج تلفزيوني قال: «نحن وسياسة حزب العدالة والتنمية لم نواجه أية مشاكل مع مصطفى كمال (أتاتورك) والجمهورية... وعند النظر إلى ملصقاتنا في احتفالات عيد الجمهورية في ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر، نقول (نحن أسَّسنا) و(نحن حميْنا) و(نحن عظَّمنا) (هذه جمهوريتنا) و(نحن الأمة)... فموقفنا من العلمانية، والجمهورية، و(أتاتورك) واضح تمامًا. لم نواجه أبدًا أي مشكلة مع الجمهورية، ومكاسب وقيم الجمهورية، ومصطفى كمال (أتاتورك)».

وأكَّد المتحدث باسم حزب العدالة والتنمية عمر تشيليك أن جمهورية تركيا هي دولة دستورية ديمقراطية علمانية اجتماعية، وقال: «ستبقى جمهورية تركيا مستمرَّة إلى الأبد. فنحن نتذكر باحترام ونترحم على قائد حرب التحرير، ومؤسس دولتنا وأول رئيس لجمهوريتنا الغازي مصطفى كمال (أتاتورك)، وأبطال حرب الاستقلال. جمهوريتنا هي تراكم وتبلور لتقاليد دولتنا العظيمة التي يعود تاريخها إلى قرون».

أما أردوغان، ففي كلمته خلال افتتاح مركز (أتاتورك) الثقافي (AKM)، قال: «وفي بداية حديثي، أهنئكم بمناسبة الذكرى السنوية الثامنة والتسعين لتأسيس جمهوريتنا. لنتذكرْ جميع أبطال نضالنا الوطني، وخاصة الغازي مصطفى كمال (أتاتورك)، الذي أهدانا جمهوريتنا. لنسعَ جاهدين لسداد ديوننا لمؤسسي جمهوريتنا من خلال تحديد أهدافنا لعام ٢٠٢٣م والعمل ليلًا ونهارًا لتحقيقها».

وعلى الرغم من كل هذه الخطابات والإجراءات غير الإسلامية لأردوغان، فإن المسلمين الذين ما زالوا يعتقدون أن الإسلام

لا يزال على أجندة أردوغان والذين يدعمون حزب العدالة والتنمية وأردوغان في هذه المسألة، إنهم لمنخدعون للغاية. بل على العكس من ذلك، فإن أجندة أردوغان مليئة بالأفكار والأحكام غير الإسلامية مثل العلمانية والديمقراطية والحريات والقومية والوطنية.

فمن جهة كان الرئيس أردوغان متمسكا بالخطاب الإسلامي للمحافظة على قاعدته الشعبية، بينما من ناحية أخرى، كان يقول إنهم ليسوا حزبًا إسلاميًا للتودُّد للغرب وكسب رضاه.

وفي ١٠ شباط/فبراير ٢٠٠٨م، قال أردوغان في مقابلة مع مجلة نيوزويك: «**من خلال تحقيق التوازن بين «الإسلام والديمقراطية والعلمانية والحداثة»، حققت تركيا شيئًا يقول الناس إنه لا يمكن تحقيقه. فحكومتنا تثبت أن الشخص المتديِّن يمكنه حماية فكره العلماني. وفي الغرب، لطالما تمَّ تصوير حزب العدالة والتنمية على أنه حزب له (جذور إسلامية). هذا غير صحيح، فحزب العدالة والتنمية ليس مجرد حزب للمتديِّنين، بل نحن حزب للأتراك عامة...**».

وفي ٧ نيسان/أبريل ٢٠١٠م أيضًا، قال أردوغان لصحيفة لوفيغارو الفرنسية إنه يعلِّق أهمية كبيرة على زيارته لباريس: «إن بعض الفرنسيين ينظرون بتحيُّز إلى عضويتنا. ونحن بحاجة إلى العمل لتغيير وجهة النظر هذه». وعلى السؤال: «هل تعتبرون أنفسكم حزبًا إسلاميًا معتدلًا؟»، أجاب أردوغان: «**هذه ليست الطريقة التي نعرف بها أنفسنا، فهناك أحزاب مسيحية ديمقراطية في أوروبا. وأنا لا أقبل الإسلام السياسي. وحزب العدالة والتنمية ليس حزبًا إسلاميًا. نحن نرى أنفسنا كديمقراطيين محافظين. وإذا نظر أصدقاؤنا الأوروبيون إلينا هكذا، يمكنهم التخلص من تحيزاتهم بشأننا**».

وكذلك فعندما تمَّ سؤال أردوغان، في حديث لقناة العربية السعودية، «هل لديك أي أحلام أو رغبات لإعادة الخلافة؟» أجاب: «**العالم الآن في تغيير وتحول. وفي خضم هذا التغيير والتحوُّل، قمنا بالفعل بشرح النظام الذي نريد أن نجلبه، وأي نوع من التحوُّل يجب أن يتمَّ الآن... لذا في الوقت الحالي، فإن تركيا ليس لها قضية مثل هذه الخلافة، ولا يتم طرح مسألة الخلافة أو أي شيء من هذا القبيل أبدًا**».

ومع ذلك، فإن أردوغان انتهج سياسة بمهارة واحتراف في تقديم جميع أفعاله بثوب إسلامي. ومن أبرز صفاته هي أن لديه وجهة نظر مكيافيلية وبراغماتية كافية، وهو قادر على عمل تحولات ملتوية في سبيل مصالحه.

وهناك قضية أخرى يستغلها أردوغان هي بلا شك الديمقراطية والعلمانية. فبينما يحكم الدولة على أساس العلمانية التي تفصل الدين عن الدولة؛ فإنه من ناحية أخرى، يمكنه أن يقول إنه والفرد يمكن أن يكونا غير علمانيين، ومن ناحية أخرى، يمكنه أن يقول بجرأة إن

الدولة يمكن أن تكون علمانية، وقد واصل سياسته بناء على هذا الهدف. إلا أنه في عام ٢٠٠٦م وبينما كان أردوغان رئيسًا للوزراء في ذلك الوقت، طرح صحفي في اجتماع الشرق الأوسط للمنتدى الاقتصادي العالمي في مصر سؤالًا: «هل حزب العدالة والتنمية حزب ديني؟» وعليه أجاب: «نحن ننتمي إلى دولة دستورية علمانية ديمقراطية اجتماعية، وننفذ كل عملنا في هذا الإطار. إذا سألتني عن وضعي بشكل فردي، فأنا مسلم أحاول أن أكون متديِّنًا، لكنني لست مخوَّلًا بتقدير درجة ذلك» مع أن الله سبحانه وتعالى يقول بشأن الديمقراطية والعلمانية: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

كذلك فقد اتَّخذ أردوغان موقفًا مكيافيليًا من الديمقراطية. فمثلًا، ما قاله أردوغان عندما كان عمدة إسطنبول: «الديمقراطية ليست هدفًا بالنسبة لنا، بل هي أداة. نحن ملتزمون بالديمقراطية حتى نحقق هدفنا...» وقال أيضًا: «الديمقراطية هي قطار بالنسبة لنا. سنترجَّل عندما نصل إلى المحطة التي نريد». لكن الديمقراطية لم تعد اليوم أداة بالنسبة لحزب العدالة والتنمية وأردوغان، بل تعدت ذلك لتصبح هدفًا. وحقيقة أنه يؤكد على الديمقراطية ويشيد بها في كل مرة هي أوضح مؤشِّر على ذلك. كذلك فقد تمَّ التوفيق بين الشعب التركي المسلم، المعادي لأكثر من نصف قرن للديمقراطية والعلمانية والجمهورية البعيدة عن قيمه، وبين النظام من خلال الخطاب الإسلامي لحزب العدالة والتنمية غير الظاهر في الممارسة العملية. وقد تمَّ ربط بعض الجماعات الإسلامية التي شهدت انحرافات في هذه الفترة، بالديمقراطية والجمهورية، وإن كان ذلك في سبيل المصلحة.

لم يكتفِ أردوغان بدمج المسلمين في النظام العلماني الديمقراطي فحسب، بل رسم خطوطًا متعرجة بشأن اتفاقية لوزان، التي تعتبر وثيقة هدم الخلافة، وسجل الحدود التي تمنع حاليًا وحدة الأمة وترابطها. وفي رسالة أردوغان بمناسبة الذكرى الرابعة والتسعين لتوقيع معاهدة لوزان للسلام، قال: «اليوم، نحتفل بالذكرى السنوية الرابعة والتسعين لتوقيع معاهدة لوزان للسلام، وهي الوثيقة التأسيسيَّة لجمهوريتنا. وعلى الرغم من كل أنواع الحاجة والفقر والمستحيلات، فقد سجَّلت أمتنا الحبيبة ملحمة الاستقلال في ميدان الدبلوماسية والقانون الدولي بمعاهدة لوزان. وباتفاقية لوزان، مزَّقت الأمة التركية الثورة التي استهدفت وجودها المستمر منذ ألف عام على هذه الأراضي، وجعلت العالم يقبل أنها لن تعرِّض استقلالها للخطر أبدًا». إلا أن تصريحات أردوغان بشأن معاهدة لوزان في العام السابق كانت عكس هذا تمامًا. كذلك وبعد شهرين من الذكرى السنوية، قال أردوغان عن اتفاقية لوزان: «في لوزان قد أعطينا الجزر

التي يُسمع فيها صوتنا حين نصرخ. وهل يعتبر هذا انتصارًا؟»

يتمتَّع أردوغان بعقلية ومنظور براغماتي في جميع أفعاله. ولا شك أن أحد الأحداث التي تعكس هذه العقلية والمنظور هي قمة دافوس في عام ٢٠٠٩م؛ حيث كان نعت أردوغان، الذي كان رئيسًا للوزراء آنذاك، رئيس كيان يهود شمعون بيريز بقاتل الأطفال، قد ترك بصمته في تلك القمة؛ ولكن ما هو محزن أن العلاقات مع كيان يهود الذي قتل الأطفال والنساء والمسنِّين وطردهم من ديارهم، قد استمرَّت ولكن ليس على أنه بلد «قاتل الأطفال»، ولكن على أنه بلد صديق وحليف. فعلى سبيل المثال، ففي مسألة سفينة مافي مرمرة التي انطلقت من تركيا لكسر الحصار المفروض على غزة من كيان يهود، في البداية قام باستخدام مصطلح الإرهابي والقاتل عن كيان يهود بعد مذبحة المسلمين على يد جنود اليهود، وتصرف كأنه يعلن قطع جميع العلاقات السياسية والتجارية مع كيان يهود؛ ولكن وكما جرت العادة، تحوَّل عن هذا الموقف والخطابات وبدأ في اتخاذ موقف ضد المؤسسات التي قامت بتنظيم رحلة مافي مرمرة؛ ولكن في عام ٢٠١٦م، تحوَّل أردوغان عن موقفه وخطابه السابقين فقال: «هل قمتم بسؤال رئيس الوزراء في ذلك الوقت بشأن إرسال مثل هذه المساعدات الإنسانية من تركيا؟ إننا لطالما قدَّمنا بالفعل المساعدة اللازمة لغزة، ولا زلنا نقدِّمها. قدَّمنا لفلسطين، ولا نزال نقدِّم؛ ولكننا لم نقم بذلك من أجل استعراض قوتنا، بل قمنا بكل شيء في إطار الدبلوماسية الدولية. وفي ذلك الإطار سنستمرُّ بالتقديم حاليًا ومستقبلًا. لقد فعلنا ذلك وسنفعل ولكن ليس بصحبة الطبول والمزامير، ولكن بالأدب، واللياقة». ثم عادت العلاقات إلى طبيعتها من خلال التستُّر على المسألة بالتعويض المطلوب لأسر الضحايا. والأمر الأكثر إثارة للاهتمام هو أنه حتى خلال أسوأ فترات العلاقات بين تركيا وكيان يهود المفترضة، هو ارتفاع حجم التجارة بينهما؛ لكن في واقع الأمر، فإن حجم التجارة حطَّم رقمًا قياسيًا بين أردوغان وكيان يهود، الذي وصفه بأنه «دولة احتلال وإرهاب». غير أن حجم التجارة بين تركيا وكيان يهود، الذي كان يبلغ ١,٤ مليار دولار في عام ٢٠٠٢م عندما وصل حزب العدالة والتنمية إلى الحكم، حطَّم رقمًا قياسيًا حيث يبلغ حاليًا نحو ٦,٢ مليار دولار. علاوة على ذلك، فقد استمرَّت العلاقات العسكرية دائمًا، واستمرَّ طيارو كيان يهود في تلقي التدريب داخل تركيا.

وبينما يبعث أردوغان برسالة حارَّة للمسلمين الفلسطينيين خلال الجلسة الافتتاحية للمؤتمر ١٦ للاتحاد البرلماني لمنظمة التعاون الإسلامي قائلًا: «إن القضية الفلسطينية هي إحدى لبنات بناء منظمة التعاون الإسلامي، وإن الدفاع عن القدس هو دفاع عن الإنسانية، والحصار الظالم والقاسي

ضد غزة مستمرٌّ، وأن قضية القدس ليست قضية حفنة من المسلمين الشجعان فحسب، بل قضية مشتركة للعالم الإسلامي بأسره»، فإنه من ناحية أخرى يبعث رسائل حارَّة إلى اليهود بقوله: «إن علاقات تركيا مع (إسرائيل) حيوية لاستقرار وأمن منطقتنا. نحن بحاجة إلى التضامن في مكافحة تصاعد كراهية الإسلام ومعاداة السامية وكراهية الأجانب، خاصة في البلدان الغربية».

كذلك ما قاله أردوغان في قبول أعضاء الطائفة اليهودية التركية وتحالف حاخامات البلاد الإسلامية في بيشتبي: «**إن الخطوات التي يتعيَّن اتِّخاذها بشأن القضية الفلسطينية، وخاصة في القدس، ستسهم في تحقيق الأمن والاستقرار ليس للفلسطينيين فحسب، بل لـ(إسرائيل) أيضًا. وفي هذا الصدد، يهمني أن ننعش حوارنا مع كل من السيد هرتسوغ، رئيس (إسرائيل)، والسيد بينيت، رئيس الوزراء. إن العلاقات التركية (الإسرائيلية) تعتبر حيوية من أجل استقرار وأمن منطقتنا. طبعًا إنني أهتم بشكل خاص بدعمكم في هذا الصدد. ونحن على استعداد لتحسين تعاوننا وتقييم إمكاناتنا العالية على نحو أفضل. وإنني أعلق أهمية على الحفاظ على الاتصال والحوار؛ لأنني أعتقد أن ذلك في مصلحتنا المشتركة**».

وأيضًا على المنوال نفسه، قال أردوغان إنه التقى برئيس كيان يهود المحتل إسحاق هرتسوغ، وإنه يمكن أن يقوم بزيارة إلى تركيا. وناقش أردوغان إمكانية التعاون مع كيان يهود المحتلّ في شرق البحر الأبيض المتوسط حيث قال: «الهدف من ذلك هو إحراز تقدم بنهج إيجابي. نحن نسير على أساس مربح للجانبين، ومن ثم سنبذل قصارى جهدنا».

بيد أن أردوغان قال من قبل «طالما إنني في منصبي، لا أستطيع التفكير في أي شيء إيجابي مع (إسرائيل) هذا مستحيل. طالما أنا موجود فلا وجود لـ(إسرائيل)!». أصبح بعد ذلك وبموجب السياسة الأمريكية الجديدة يشارك الأعمال مع كيان يهود المحتلّ الذي نعته في وقت سابق بقاتل الأطفال ودولة إرهابية. وعلى حسب قوله فإنه يسعى لإعادة تعزيز العلاقات الدبلوماسية والتجارية، التي يفترض أنها متوترة. ومرة أخرى، وبموجب السياسة الأمريكية، يسير بخطوات التطبيع والخيانة مع كيان يهود المحتلّ. فمن ناحية، يقوم بخداع المسلمين بخطابات شعبوية جوفاء وزائفة بقوله إن القدس هي قضيتنا، ومن ناحية أخرى، فإنه يقوم بكل ما في وسعه لكسب ودِّ ورضا أمريكا وكيان يهود.

إن خيانة أردوغان لا تقتصر على فلسطين؛ حيث نرى أنه اتخذ خطوات الخيانة نفسها في سوريا. ومع قفزة الربيع العربي إلى سوريا في ١٥ آذار/مارس ٢٠١١م، استخدمت أمريكا تركيا لحماية النظام السوري، تمامًا كما فعلت خلال غزو أفغانستان والعراق. فبدأت تركيا في التنظيم بالاستضافة في تركيا تحت

اسم «الائتلاف الوطني السوري» ضد احتمال الإطاحة بالنظام. ومن جهة أخرى، قامت بدعم جماعات المجاهدين ماليًّا وعسكريًّا، محاولةً تحويلهم عن فكرة «الخلافة الإسلامية» إلى فكرة «سوريا الديمقراطية». وأظهرت أن طاولة جنيف التي أسَّستها أمريكا هي الحل الوحيد. غير أنه وفقًا لمؤتمر جنيف١، الذي انعقد في ٣٠ آذار/مارس ٢٠١٢م بمشاركة ممثلين دائمين لمجلس الأمن الدولي، وكذلك السعودية وقطر وتركيا، كان على حد قولهم يهدف إلى إنشاء حكومة مؤقتة مشتركة بين المعارضة والنظام من خلال حماية المؤسسات الأمنية والعسكرية. وهكذا لن يسمح للغرب بخلق فراغ سياسي يملؤه المسلمون بإعلان الخلافة على منهاج النبوة التي تحضن الثورة وتسيطر عليها. أما الذين قاوموا ضد هذا الحلِّ، فكان سيتم قتلهم وضربهم بوصف أنهم «إرهابيون» و«متطرفون»، واستخدامهم كوسيلة لمحاربة الإسلام ومشروع إقامة الخلافة. إن مفهوم «الدولة المدنية والتعددية» الذي دعا إليه الغرب والدول الإقليمية، كان فقط لجذب الانتباه، وخلط الحق بالباطل.

بنى حزب العدالة والتنمية وأردوغان سياستهما بشأن سوريا التي تعدُّ من الأماكن الأكثر إيلامًا للأمة على هذا الهدف بالكامل. ولهذا الهدف أيضًا تمَّ قبول المهاجرين إلى تركيا واستخدامهم كمادة ابتزاز ضد أوروبا، التي تتطفَّل أحيانًا على أمريكا في سوريا. كذلك كانت عمليات درع الفرات وغصن الزيتون وربيع السلام. وكان اتفاقا أستانة وسوتشي مع روسيا وإيران لهذا الهدف. وإخراج المعارضة من مواقعها بحجة محاربة (داعش) وحزب الاتِّحاد الديمقراطي وتسليم العديد من المدن، وخاصة حلب، إلى نظام الأسد أيضًا للهدف نفسه. وكان وقف إطلاق النار، وإنشاء مناطق وقف النزاع للهدف نفسه. وكانت خطة حصر الشعب السوري في إدلب وإخضاعه لنظام الأسد في نهاية المطاف لهذا الهدف. غير أن هدف الشعب السوري، الذي خانه أردوغان بخداع كبير من خلال تعبئة كل ما لديه من وسائل، هو كسب رضا رب العالمين وإسقاط نظام الأسد المستبدِّ، الذي ناشد أسياده المساعدة بالقول إن «سوريا هي آخر معقل للعلمانية»، واستبدال دولة الخلافة به. لكن أردوغان أغلق عينيه وأذنيه أمام الشعب السوري وسلَّمه إلى جلَّاديه. ولم يردَّ على الرسائل من بانياس، ونداءات المساعدة من حلب والغوطة والعديد من المدن الأخرى. وعلى غرار أمريكا، فضَّل الإطاحة بالشعب السوري بدلًا من الإطاحة بنظام الأسد. ودخل صفحات التاريخ على أنها «حكومة لم تحشد جيشها بينما الشعب السوري يذبح»، حسب تعبير فتاة سورية تبلغ من العمر ١٠ سنوات في صرخاتها للرئيس أردوغان. وباختصار، فإن أردوغان، الذي يعمل في الفلك الأمريكي، قد خان الثورة السورية وشعبها.

وعلى المنوال نفسه، واصل الرئيس أردوغان خطواته الخيانية في سياسة تركستان الشرقية. فمقابل أموال الصين القذرة والملطَّخة بالدماء، تمَّ تجاهل احتلال تركستان الشرقية والسياسات المروعة للاضطهاد والتعذيب والإبادة الجماعية ضد الإيغور المسلمين؛ حيث إن حجم التجارة بين البلدين، الذي كان يبلغ مليار دولار في عام ٢٠٠٠م، أصبح الآن ١٢٦ مليارًا و٨٠ مليون دولار منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم. وكجزء من فعالية «يوم الثقافة الصيني» بمناسبة الذكرى السبعين لتأسيس جمهورية الصين الشعبية، احتفلوا بالذكرى السبعين لتأسيس الدولة القاتلة المحتلَّة من خلال انعكاس علم جمهورية الصين الشعبية على برج أتا كوله أحد معالم أنقرة. وقاموا بإعلان بعض البلديات في تركيا كبلديات شقيقة للصين. وقامت الحكومة بمنح مطار إسطنبول شهادة «المطار الصديق للصين» نتيجة للإجراءات التي اتخذها لزيادة خبرة المسافرين الصينيين. كما تم استخدام لوحات باللغة الصينية، وموظفين ناطقين بالصينية، والتطبيقات الرقمية بالصينية، وما شابه ذلك.

وقال المتحدث باسم حزب العدالة والتنمية عمر تشيليك في خطاب ألقاه عام ٢٠٢١م: «جمهورية تركيا تحترم سيادة الصين وهيمنة الصين. كما أننا بالطبع نحترم مكافحة الإرهاب الذي تقوم به البلدان في جميع أنحاء العالم؛ ولكن عندما ننظر إلى الانتهاكات ضد الأتراك الإيغور، والصور المنعكسة والرسائل التي تصلنا من هناك، فإننا نشاطر السلطات الصينية موقفنا ورغبتنا في العمل معا بشأن هذه القضايا، ونواصل مشاركتها ذلك وعملنا بهذا الشأن».

كذلك في عام ٢٠١٩م، قال وزير الخارجية مولود جاويش أوغلو في بيان بشأن الفظائع الصينية في تركستان الشرقية: «إن ما نأمله هو أن يعيش إخواننا الإيغور بسلام وهدوء تحت مظلة صين واحدة».

والواقع أن كلًّا من جاويش أوغلو وعمر تشيليك أوضحا أن الحكومة تدعم سياسات الاستيعاب المنهجي الصينية تجاه تركستان الشرقية، واحتلالها واضطهادها.

أما فيما يتعلق بأفغانستان فإن الرئيس أردوغان يتحرَّك في سياسته وفقًا للمصالح الأمريكية أيضًا. وعندما وصل حزب العدالة والتنمية إلى الحكم لم يسحب القوات التركية من أفغانستان وانحاز إلى التحالف الصليبي بقيادة الولايات المتحدة. وقد واصل أيضًا كما فعلت الحكومة السابقة، دعم القوة الدولية للمساعدة الأمنية التي أنشئت بقرار من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة وقادتها بريطانيا في ١٦ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٢م. وفي ٢٧ آب/أغسطس ٢٠٢١م، سحبت تركيا جميع قواتها من أفغانستان بعد أن وقَّعت الولايات المتحدة اتفاقًا مع طالبان وانسحابها بعد ٢٠ عامًا. في هذه الفترة، على الرغم من

أن الجيش التركي لم يشارك كقوة قتالية في أفغانستان، إلا أنه تحرَّك بالتعاون مع الولايات المتحدة الكافرة وحلف شمال الأطلسي، وهي منظمة صليبية، لغزو بلد إسلامي فكان شريكًا لأمريكا في جرائمها. وقد دخل في تعاون وتنسيق كاملين مع أمريكا التي تسفك دماء المسلمين. بالطبع كان الدافع وراء توجه حزب العدالة والتنمية إلى أفغانستان هو التحالف مع أمريكا وعلاقة الصداقة القوية.

ومن خلال ما قيل حتى الآن، يمكن التوصل إلى الاستنتاج التالي، وهو أن الرئيس أردوغان يعمل في السياسة الداخلية لصالح أمريكا ونفسه، بينما يعمل في السياسة الخارجية وفقًا للسياسة والمصالح الأمريكية فقط. فهو لا يخرج عن الفلك الأمريكي في سياسته الأساسية تُجاه منطقة الشرق الأوسط مثل العراق وأفغانستان وسوريا وفلسطين ومصر وليبيا. وعلى الرغم من ظهوره في الرأي العام المحلي وكأنه يدير سياسة معادية للولايات المتحدة، إلا أنه يشن حربًا بالوكالة نيابة عن أمريكا في المنطقة. فهو يسير على خطا أمريكا في هذا الصدد خطوة خطوة وساقًا بساق. كما أن أردوغان يتبع سياسة تجعل المسلمين يغطون في النوم وتسلمهم للكفار الاستعماريين، ناهيك عن أن تؤدي إلى صحوة الأمة وتحريرها.

كل هذا هو نتيجة للسياسات التي يتبعها الرئيس أردوغان. ولطالما انتهج الرئيس أردوغان سياسة براغماتية وشعبوية. كما أن مركز سياسته لا يستند إلى السياسة الصحيحة (الإسلامية) بل إلى السياسة المصلحية البراغماتية. وقد أبقى أردوغان المسلمين مشغولين لسنوات بالسياسة صعودًا وهبوطًا. ومع ذلك، وللأسف، فإن الجانب الوحيد الذي شوهد في جميع سياسات أردوغان وإجراءاته ليس الإسلام، بل مصلحة الدول الغربية، وخاصة أمريكا الاستعمارية. إن أفعال أردوغان ليست إسلامية أبدًا وقطعًا. فلم يصدر عنه عمل إسلامي حتى ولو بشأن قضية واحدة خلال ما يقرب من ٢٠ عامًا في الحكم، بل سار ويستمرُّ بالسير في كلا السياستين الداخلية والخارجية وفقًا لسياسة حرمها الله.

غير أن الأمة الإسلامية التي تتوق إلى قائد حقيقي كانت مفعمة بالأمل والحماس عند وصول أردوغان وحزبه إلى الحكم في عام ٢٠٠٢م. وقد فتحت أبواب قلوبها لأردوغان على أمل أن تعود إلى أيام مجدها القديمة؛ لكنه أضاع تلك الفرصة ودفع هذا الفخر بظهر يده. وبدلًا من أن يسعى لهيمنة دين الله الإسلام على الحياة، توجَّه نحو مشاريع الغرب. ربما استطاع اكتساب سمعة في نظر الغربيين، لكنه فقد سمعته واعتباره في نظر الأمة الإسلامية.

وأخيرًا، نختم بكلام الله سبحانه وتعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

ما هو الدور الذي رسمته أمريكا لإيران في المنطقة؟

عبد الستَّار - أبو تقي

الأرض المباركة فلسطين

باتت الأمة الإسلامية تدرك في أعماقها، بعد مرور قرن على هدم دولة الخلافة الإسلامية، أن الأنظمة الحاكمة في بلاد المسلمين أنظمة جور وعمالة للغرب الكافر، وأنها ممزقة ومستباحة لصالحه. وباتت هذه الأنظمة الصنَمية لا تستطيع تضليل شعوبها في أنها دول ذات سيادة، وأنها تقدم خيرًا للمسلمين. ولا شك أن انكشاف الأنظمة هذا شكَّل عاملًا هامًّا في ترسيخ توجُّه الأمة باتجاه إقامة دولة الخلافة المفقودة، وهذا ما شكل خسارة مزدوجة للغرب بوصفه يقف وراء هذه الأنظمة، فالأمة باتت لا تفرق بين هذه الأنظمة وبين أسيادها من دول الغرب وتضعهم في كفة واحدة.

وعلى الرغم من أن الغرب، وتحديدًا أمريكا، لا تزال تمرر سياساتها الاستعمارية في بلاد المسلمين، من خلال أنظمة أضحت مكشوفة للأمة، كمصر والأردن وسوريا والسعودية وعملائها الجدد في العراق... إلا أنها، في الوقت نفسه، تستخدم أنظمة تضليلية أخرى تدَّعي المقاومة ومناهضة السياسة الأمريكية، وتنادي بالقضاء على (إسرائيل)، وتدَّعي أنها تتبنى سياسات تخدم الأمة وذلك كالنظام الإيراني... فالمدقق في نظام إيران يجد أنه لا يختلف عن غيره من أخوته من أنظمة العمالة الأخرى في المنطقة، في الارتماء في أحضان أمريكا؛ لكنَّ الاختلاف بينهما هو أن أمريكا تريد له أن يَظهر أنه نظام ممانعة ومقاومة؛ حتى يسهل عليها تمرير سياساتها الاستعمارية المجرمة التي لا تستطيع أن تحققها عبر أنظمة العمالة المكشوفة.

وهذه المقالة ترمي إلى بيان أن النظام في إيران يقود سياسات لا تختلف، من حيث العمالة، عن باقي الدول المكشوفة في بلاد المسلمين إلا في شيء واحد، وهو الإظهار، تضليلًا، بأنه يناوئ ويناهض أمريكا؛ في حين إنه يقوم بخدمتها في حربها على الأمة والدين، وخصوصًا في إحياء قضية الصراع المذهبي الطائفي الذي يؤجج الفتنة بين المسلمين. واستخدام أمريكا والغرب لهذا السلاح الفتَّاك، سلاح الفتنة الداخلية بين المسلمين، إنما ليحقق لها المزيد من فرقة الأمة وتمزيقها، وإذكاء الصراعات والحروب بينها، ومحاولة صرفها عن العمل لإقامة خلافتها الواجبة، وتحويل صراعها مع يهود إلى صراع مع إيران. فالدور الذي يقوم به النظام في إيران، لمصلحة أمريكا والغرب، خطير جدًّا، ومؤذٍ جدًّا، ولا بد من الوعي على خطورته لدى الأمة كافة.

النظام الإيراني: قومي مذهبي طائفي:

نبدأ أولًا بـ(الثورة) الخمينية التي قامت

على أنقاض شاه إيران عام ١٩٧٩م، والتي استبشر بها المسلمون خيرًا من أنها ستخدم الدين والأمة، وعوَّلوا عليها في تخليصهم من استكبار الغرب بعد عقود من غياب الخلافة وتمزُّق الأمة. فإذا بإيران، بعد أكثر من ٤٠ عامًا، ثورة ودولة مذهبية قومية تفتُّ في عضُدِ المسلمين، وتقدِّم نفسها على أنها دولة إقليمية كبرى تتنافس مع القوى الإقليمية الأخرى، كدولة يهود وتركيا، على زعامة المنطقة. ولا يقدم حكامها البائسون سوى الوعود والتهديدات الكاذبة بإزالة (إسرائيل)، وتحدي أمريكا، كوعود عبد الناصر وياسر عرفات... بينما يركِّز عملهم على تصدير ثورتهم (التشيُّع) في المنطقة وفتح الجرح الطائفي البغيض المنتن؛ تمزيقًا للأمة، كما حصل في العراق وسوريا وأفغانستان واليمن ولبنان... وهذا ما يثبت أن النظام الإيراني لا يختلف عن غيره من دول الضرار (الإسلامية). نقلت وكالة (إيرنا) الإيرانية للأنباء في شهر شباط/٢٠١٠م عن رئيس إيران السابق أحمدي نجاد قوله: «**إنه ما من شك أن إيران أضحت اليوم أقوى وأهم أمة في العالم، وسيكون لها الكلمة الأخيرة في الشرق الأوسط**»؟!!! وقال علي يونسي مستشار الرئيس الإيراني حسن روحاني للشؤون الدينية والأقليات، أمام منتدى (الهوية الإيرانية) بطهران في ٢٠١٥/٣/٩م: «**إن إيران اليوم أصبحت إمبراطورية كما كانت عبر التاريخ وعاصمتها بغداد حاليًا، وهي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا اليوم كما في الماضي**»، وقال مستشار الرئيس الإيراني للشؤون السياسية حميد أبو طالبي، في ٢٠١٤/٩/٢٢م: إن «**الأمن القومي والمصالح الإيرانية هي الأساس في سياستها القومية، وإن إيران ستقدم على أي خطوة تحقق لها مصالحها**»؛ وهذا ما يثبت أن الجمهورية الإيرانية ليست دولة إسلامية وإنما هي دولة قومية وأهدافها قومية صرفة، وأن الدين والمذهب وحبَّ آل البيت وشعارَ الحسين والانتقام لمقتله، وشعارات الموت لأمريكا ولـ(إسرائيل) ومحاربة الصهيونية والتكفيريين ما هي إلا الشمَّاعة التي يستغلها النظام الإيراني لتحقيق مصالحه الوطنية والقومية الضيِّقة، وللتغطية على ارتباطه بأمريكا وتعاونه معها، ولضرب مشروع وحدة الأمة الإسلامية، ومنع إقامة الخلافة الراشدة.

إن النظام الإيراني نظام مذهبي طائفي قومي متعصب، يتجاهل ويحارب سائر المذاهب الإسلامية الأخرى. وهو يركز على الإمامة الاثني عشرية، والتعصب الأعمى للرابطة الفارسية واللغة الفارسية، فبات بذلك رأس حربة في التفرقة السياسية بين المسلمين، على أساس (الشيعة) و(السنة) التي يزرعها الغرب بينهم، خصوصًا بعد أن تبنَّت السعودية، وبتوجيه وتشجيع أمريكي، ما يمكن أن يطلق عليه الجبهة (السنية) في المنطقة لمواجهة إيران؛ وبهذا، فإن النظام الإيراني المذهبي القومي منفصل عن أمة الإسلام، ولا يتحرك لتحقيق مصالح الأمة الحقيقية، عن طريق تحقيق وحدتها السياسية

والفكرية، والدفاع عن قضاياها ونصرتها، بل تراه ينفذ سياسات أعداء الأمة، وتحديدًا أمريكا. يقول أستاذ الجيوبولتيك في جامعة السوربون المسيحي اللبناني الدكتور نبيل خليفة في كتابه (استهداف أهل السنة): «**إن المخطَّط الموضوع للشرق الأوسط منذ الربع الأخير من القرن العشرين ويشارك فيه الغرب وإسرائيل وإيران له ثلاثة أهداف أساسية: أولها إزاحة النفوذ العربي/السني عن دول شرقي المتوسط واستبداله بالنفوذ الإيراني/ الشيعي**». أما فهمي هويدي فيقول في كتابة (إيران من الداخل): «**إن الدولة القومية فى إيران مستعدَّة للتفاعل مع الغرب والتقارب مع إسرائيل بأكثر من استعدادها للتفاعل مع العالم العربي**». نعم، إن الصراع المذهبي بين المسلمين بات من أدوات أمريكا الرئيسة في المنطقة، وهي تغذيه وتؤججه بعد موات، خصوصًا بعد أن رأت أن الأمة تعود إلى رشدها، ويزداد وعيها، وتتحرق، بل وتعمل، من أجل عودتها إلى دولتها الجامعة، الخلافة، التي تتبرأ من الدعوة المذهبية النتنة، وليس في قاموسها شيء اسمه (سنة) و(شيعة)، بل أمة واحدة من دون الناس، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾.

لكن دعوة الصراع المذهبي القومي هذه، والتي حذر منها رسولنا ﷺ هي دعوة أنظمة وحكام، وليست صراعًا حقيقيًّا بين شعوب الأمة الإسلامية وأبنائها، وهي مفروضة سياسيًّا من قبل فريقين من الحكام، على رأسهما إيران والسعودية، اللذين يشكلان طرفي النزاع المزعوم خدمة لأمريكا، والتي تستهدف أمرين من وراء ذلك: **الأول:** بناء شرخ شاهق ومتزايد بين ما يسمى (الشيعة) و(السنة) لمنع وحدة الأمة، ومواجهة الدعوة والعمل لاجتماع الأمة في خلافتها المسلوبة. **والثاني:** تحويل وتوجيه الصراع بين الأمة ويهود في فلسطين إلى صراع مذهبي بين المسلمين مع إيران، فتنسيهم عدوهم، وتجعلهم يستنجدون بالكافر على بعضهم، لصرفهم عن التفكير والعمل لتحريرها. والواضح أن هدف حكام المسلمين في تأجيج هذا الصراع المذهبي هو تسيير شعوبهم خلفهم في فتن دهماء تديم فرقتهم، وتوقع بينهم، وتقودهم إلى حروب طائفية داخلية لا تنتهي.

ولا شك أن التعصب المذهبي والطائفي، في نظام الجمهورية الإيرانية، يدمر كل منجزاتها الحضارية والسياسية والعلمية والصناعية. فالنظام اليوم ينفِّرُ منه حوالى مليار ونصف من المسلمين، وخصوصًا العرب منهم، فلا يلتفُّون حوله، ولا يناصرونه، بل يشكُّون ويرتابون فيه كنظام صادق في دعواه، بل يصطفون ضده. هذا في جانب أبناء الأمة، أما في جانب حكام المسلمين فهم أعداء للدين، وكلهم عملاء، ويتحاكمون إلى الطاغوت والعلمانية، سواء

أكان هؤلاء الحكام (شيعة) أم (سنة)، ويتوسَّلون بدعوة الغرب وأمريكا لنصرتهم ضد بعضهم بعضًا، في بيئة مذهبيَّة تجاذبيَّة تعصبيَّة مقيتة تُذهب ريحهم، وتديم هيمنة الغرب عليهم. جاء في أحد تصريحات أحمدي نجاد في أيلول/ ٢٠٠٩م، نقلتها وكالة (إيرنا) الإيرانية قوله: «**إن هدف النظام الإيراني هو نشر التشيُّع في العالم، ورفع راية المهدي المنتظر**»، وأضاف: «**إن نشر هذه المهمة، في العالم، يقع على عاتق الجمهورية الإيرانية**» وأكد على أنه: «**في النظام الولائي، فإن الجميع هم جنود إمام العصر، المهدي المنتظر**» وأن: «**ولاية الفقيه هي حلقة الاتصال مع الإمام المهدي**» وأن: «**هدفنا الغائي هو تحقيق الأسرة العالمية المهدوية**». هؤلاء هم قادة إيران، هدفهم التشييع، وانتظار المهدي، فرقةً بين المسلمين وطعنًا في الدين، وخدمةً للغرب.

النظام الإيراني عميل لأمريكا ويحقق أهدافها:

منذ الثورة الخمينية، وكل الشواهد تشير إلى عمالة النظام الإيراني للأمريكان، دون إعلان ذلك خوفًا من انقلاب الشعب الايراني على قيادته. ولا شك أن تساوُق إيران مع سياسات أمريكا يزداد باطِّراد في العشرية الأخيرة، لبروز عوامل جديدة في المشهد السياسي أهمها:

أولًا: ثورات الربيع العربي التي أخافت الغرب وأمريكا، والتي جعلتها توظِّف إيران أكثر في التصدي لها كما يحصل في سوريا واليمن.

ثانيًا: انتصار طالبان في أفغانستان وحاجة أمريكا لوجود حاجز (شيعي) يفصل بينها وبين العرب (السنة).

ثالثًا: ازدياد الاحتياج الأمريكي لإيران في المنطقة كفزَّاعة تحلب أمريكا من خلالها دول الخليج اقتصاديًّا. وتستغلها من أجل تحقيق ما يمكن أن يسمى شبه احتلال لها من خلال تواجدها عسكريًّا بطلب من دول الخليج نفسها لحمايتها من هذه الفزَّاعة

والحاصل أن كل القوى الإقليمية الكبرى في المنطقة أصبحت الآن تحت القرار والنفوذ الأمريكي، بامتياز (الشيعية) منها كإيران، و(السنية) منها كالسعودية ومصر وتركيا، وهناك تنافس داخلي كبير بينها، إلا أنها كلها تدين بالولاء والطاعة للسيد الأمريكي. وبالنسبة لأمريكا، فإن هذا الواقع يقدِّم فرصًا ذهبية لها، فمصادر خدمتها باتت متنوعة، والأدوار والأدوات أصبحت متعددة، ولنقل إن هذا الواقع كله يجري بتخطيط أمريكي، وإيران هي إحدى أدواتها ـ **إن الشواهد على أن إيران تنفذ سياسات أمريكا كثيرة، نمثل عليها بالتالية:**

١- في العراق: لم تكن أمريكا لتحتلَّ العراق وتستبيحه دون مساعدة حقيقية من إيران. وحكام إيران وأحزابها في العراق، وكل قياداتها السياسية والدينية هناك تتحكم في المشهد برمته، سياسيًّا وعسكريًّا، ناهيك عن نفوذها المذهبيِّ المتعاظم، في بلاد الرافدين، والذي لم يعد خافيًا على أحد. وما وصول الأحزاب

المدعومة من إيران لسدَّة الحكم في العراق، وعلى رأسهم الحكيم والجعفري والمالكي وغيرهم إلا دليل على ذلك. يقول حارث الضاري، رئيس هيئة علماء المسلمين في العراق، رحمه الله: «إن إيران تلعب دورًا سلبيًا في العراق، ودورها يضاهي الدور الأمريكي». نعم، لقد اسقطت أمريكا صدام حسين المعادي لإيران، واستبدلته بساسة مدعومين مباشرة منها؟! قال محمد علي أبطحي، نائب الرئيس الإيراني السابق، في مؤتمر (الخليج وتحديَّات المستقبل) في ٢٠٠٤/١/١٥م إنه: «**لولا الدعم الإيراني لما تمكَّنت أمريكا من احتلال أفغانستان والعراق بهذه السهولة**». وجاء في تقرير النيوزويك في ٢٠٠٤/٣/٢م: «**أطلقت هزيمة صدام العنان لقوة دينية وسياسية جديدة قد تصبح حليفًا معتدلًا للولايات المتحدة الأمريكية في العراق**» وهذا ما أكَّده السياسي الأمريكي الشهير، هنري كيسنجر، في مقال له في صحيفة عربية بأن: «**الوجود العسكري الأمريكي في العراق لن يستمر لأسبوعين فيما لو أطلقت المرجعيات المرتبطة بإيران فتاوى بمجرد التظاهر ضد الأمريكيين**»، فما بالك بمقاتلتهم؟! وكانت إيران أول من اعترف بالحكومة الانتقالية التي عيَّنتها أمريكا بالعراق. قال جلال طالباني في لقاء له عبر قناة العراقية: «**إن الحكومة التي نصبتها أمريكا موالية لإيران**». وينسجم ذلك مع دعم السيستاني لجميع المشاريع الأمريكية في العراق، وفتواه بعدم التعرض لقوات الاحتلال، وعرقلة مسيرتها عند دخولها العراق. بل وتفاخر باقر الحكيم بقدومه على دبابة أمريكية إبان سقوط نظام صدام حسين. قال الرئيس الإيراني أحمدي نجاد في ٢٠٠٧م بأن: «**بلاده على استعداد لملء الفراغ الأمني في العراق حال انسحاب القوات الأمريكية منه**» وهو ما أعاد تأكيده الأمين العام للمجلس الأعلى للأمن القومي علي لاريجاني بقوله: «**إن إيران على استعداد لضمان الأمن والاستقرار في العراق في حال ما إذا انسحبت أمريكا منه**».

٢- **في أفغانستان:** كان النظام الإيراني يساعد أمريكا وبقوة في حربها على المسلمين هناك، وعلى جميع الصعد. وهو أمر تعلنه أمريكا ولا تنفيه إيران، بل تفخر به. قال محمد علي أبطحي، نائب الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي للشؤون القانونية والبرلمانية، في ٢٠٠٤/١/١٣م، في ختام أعمال مؤتمر (الخليج وتحديات المستقبل) :«**إن بلاده قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربهم ضد أفغانستان**» مؤكدًا أنه: «**لولا التعاون الإيراني لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة**»؟! وقال أيضًا هاشمي رفسنجاني الرئيس السابق لإيران لجريدة الشرق الأوسط في ٢٠٠٢/٢/٩م: «**القوات الإيرانية قاتلت طالبان وساهمت في دحرها، ولو لم نساعد قواتهم في قتال طالبان لغرق الأمريكيون في المستنقع الأفغاني. ويجب على أمريكا أن تعلم أنه لولا الجيش الإيراني**

الشعبي لما استطاعت أن تسقط طالبان». أما تريتا فارسي وهو باحث إيراني ومن أهم الخبراء في مجال العلاقات الإيرانية الأميركية والجغرافيا السياسية للشرق الأوسط، فيقول: «**لم تكن المساعدة التي قدمتها إيران شكلية، فعرض الإيرانيون السماح للولايات المتحدة باستخدام قواعدهم الجوية... وخدموا كجسر بين التحالف الشمالي والولايات المتحدة في قتال الطالبان**» (كتاب: السياسة الخارجية الإيرانية، الدكتور أحمد نوري النعيمي).

٣- : في سوريا: استخدمت أمريكا إيران ولا تزال في دعم نظام الأسد النصيري المجرم. أما حجة إيران في ذلك فهي أن نظام الأسد من دول الممانعة والمقاومة، وأن أمريكا هي من تريد إسقاطه، وهو أحد حلفاء إيران في المنطقة والعدو الأكبر لأمريكا؟!!! يقول الدكتور أكرم حجازي: «**الحقيقة الصارخة التي لا يماري فيها أحد أن إيران سجلت فشلًا ذريعًا في مواجهة القوى السنية المسلحة، وأن النظامين في سوريا والعراق كانا مرشحين للسقوط لولا التحالف الدولي أو التدخل الروسي**». نعم، تدخلت إيران في سوريا عندما كان نظام الأسد ينهار، ولولا هذا التدخل من خلال قوات الحرس الثوري الإيراني، وحزب إيران اللبناني، ومليشيات المالكي التابعة لها، وإرسالها السلاح لنظام البعث السوري العلماني، وكل المجازر البشعة التي صنعوها في الشام، لانهار نظام الأسد. كل ذلك تحت سمع وبصر أمريكا، وموافقتها غير المعلنة. قال حسن نصر الله في مُقابلة له مع قناة الميادين اللبنانية في ٢٠٢٠/١٢/٢٧م: «**إنّ قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني اجتمع مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لمناقشة التدخل الروسي العسكري في سوريا**»، وأضاف: «إنّ الرئيس الروسي اقتنع بالتدخل بعد اجتماع مع سليماني مدة ساعتين في موسكو بحضور عدد من المسؤولين الروس؛ إذ عرض سليماني خلال الاجتماع خرائط السيطرة في سوريا، وناقش معه آليات العمل، واستطاع أن يقدم إضافة أدت إلى اتخاذ روسيا قرار التدخل».

٤- في اليمن: نشرت مجلة (فورين بوليسي) تقريرًا يقول بأنه بعد الدعم العسكري الأمريكي للقوات الإيرانية في العراق وسوريا، فإن: «اليمن يمكن أن يكون ساحة المعركة القادمة، وأن: «الشراكة القلقة بين واشنطن وطهران تمتد الآن إلى اليمن» وختم التقرير بالقول: «إن الولايات المتحدة مستعدة للسماح لإيران بتوسيع نفوذها في المنطقة، وهذا في جزء منه للمساعدة في تأمين صفقة نووية». وهكذا كسبت أمريكا جماعة الحوثي، ذات الولاء الإيراني، وسلَّحتهم، فقاموا ضد نظام علي صالح عميل الإنجليز. وها هو الحوثي، يضرب السعودية والإمارات، فتسارعان إلى أمريكا من أجل صفقات أسلحة لا تنتهي، وخضوع ذليل للسيد الأمريكي، الذي يدير كل اللعبة والفرقاء، على حساب الأمة!!؟.

٥- في لبنان: أسست إيران في لبنان حزبًا لها من أتباع مذهبها، وسلَّحته فأصبح جيشًا

خاصًّا لها هناك، منفصلًا عن الجيش اللبناني. وقام حزب إيران في لبنان بدعم النظام السوري المرتبط بأمريكا كما فعلت إيران. ذكر حسن نصر الله زعيم حزب الله اللبناني الموالي لإيران، في لقاء تلفزيوني في ٢٠٠١م، أن الأمريكيين عرضوا عليه مرارًا التعاون في مواجهة عدو مشترك، وهو «الإرهاب السني»، وقال: «إن الأمريكيين قالوا إنهم يوافقون على أن يهاجمهم في الخطب والميكروفونات، وإنهم سيتفهَّمون ذلك»، وهو ما علَّق عليه الأمين العام السابق لحزب الله صبحي الطفيلي: «بأنها دليل عمالة صريحة»، و«أجرى المقارنات بين نقاط الصفقة وبين ما تم على أرض الواقع ليخرج بالنتيجة: وهي أن حزب الله بقيادة حسن نصر الله تحوَّل إلى أداة أمريكية للسيطرة في المنطقة وتوجيه الأحداث وحفظ أمن (إسرائيل)» (أ.د. سلمان لطيف الياسري، جريدة صوت العراق، ٢٠٢٠/١/٢٤م).

٦- في موضوع نووي إيران: لا شك أن نووي إيران هو أكبر قضية يحصل فيها التضليل السياسي حول علاقة إيران بأمريكا، وحول أن الأخيرة تعمل على منعها من امتلاكه، وقضية المحادثات والعقوبات التي لا تتوقف، والضربة العسكرية المحتملة في أي وقت، في مشهد من التضليل لإرباك الرأي العام بشكل يعيقه عن اكتشاف الحقيقة؛ لكن المدقِّق في هذه القضية يجد الأمور التالية:

١.هذا البرنامج هو برنامج سلمي للطاقة، وليس عسكريًّا، بشهادة الوكالة الدولية للطاقة الذرية. كما أن القيادة الإيرانية تحرم امتلاك السلاح النووي. فخامنئي يعلن بكل وضوح أن «لا داعي لننفق الأموال على إنتاج وتخزين سلاح يحرم استخدامه بتاتًا» (وكالة إي أر تي في ٢٠١٩/١٠/٩م)

٢. أمريكا لا تمانع أن تمضي إيران في برنامج سلمي للطاقة النووية. فقد قالت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة كلينتون لـ (بي بي سي) في ٢٠١٠/١٢/٤م: «إن إيران تستطيع في المستقبل أن تخصب اليورانيوم لأغراض مدنية، حينما تبرهن على أنها ستجري ذلك بصفة مسؤولة، ووفقًا لواجبات إيران الدولية»... على الأقل هذا ما يعلن عنه، ويذهب التفكير لدى المسلمين أن أمريكا قد تريد في النهاية أن تكون إيران جاهزة لامتلاك السلاح النووي في حال ما قام عمل إسلامي كبير يهددها.

٣. إن هدف أمريكا الرئيس من هذا الملف هو أنها تريد من إيران أن تستخدم مسألة النووي كرافعة لها، لتصير دولة إقليمية عظمى ومؤثرة في المنطقة، خدمة لسياسات أمريكا، التي تركز في الإعلام، كذبًا، أن إيران شريرة وتسعى لتقويض السلام في الشرق الأوسط، وأنها تتصدى لها كراعية للسلم!! وحتى لو امتلكت إيران القنبلة النووية الحقيقية، فهل تصبح دولة مستقلة أم تبقى عميلة ولكن بسلاح نووي؟! وماذا تنفعها كل قوتها العسكرية، إن كانت لا تنصر مسلمًا واحدًا في الأرض؟! بل وتستخدمها في مساعدة أمريكا في العراق واليمن وسوريا وغيرها ضد

المسلمين؟ ماذا استفادت الأمة من قنبلة باكستان النووية، وهي تحت إشراف ومراقبة المخابرات الأمريكية، خوفًا من أن تقع في أيدي أبناء الأمة المخلصين؟!!

إن موضوع نووي إيران من أهدافه صناعة فزَّاعة في المنطقة، وليس بناء قدرة عسكرية تخدم الأمة. فإيران غارقة في حروب قاتلة، هنا وهناك، وتصرفاتها السياسية العدائية مع **كل محيطها** يجعلها فزَّاعة مثالية، تعطي المبرر الأمثل والحجة الدائمة لتدخل أمريكا في المنطقة، بما ينسجم مع سياستها، سياسة الذرائع. إن أمريكا توظف ضجيج إيران الإعلامي، عن قوتها وعظمتها، في بسط نفوذها العسكري في منطقة الخليج، وجر دول المنطقة إلى شراء أسلحة بمليارات الدولارات، وتقديم نفطهم لها على طبق من ذهب. ولو أن إيران كانت صادقة في عدائها لأمريكا لتصدَّت لأساطيلها التي تصول وتجول قبالة شواطئها؟! إن إيران تنسِّق مع أمريكا جهودها ليس فقط في حرب المسلمين هنا وهناك، لكنها تعطي الأنظمة الجائرة في بلادنا الذريعة للاصطفاف مع أمريكا، بسبب تهديداتها المذهبية الطائفية، وقدرتها العسكرية التي لا تستخدم إلا ضد البلدان الإسلامية!!

٤. تستخدم أمريكا ما يجري في موضوع نووي إيران لحمايتها من أوروبا، التي تنافسها في منطقة الخليج، وتحاول خلق مشاكل لها هناك، من خلال زعزعة النظام في إيران، مدعية أن إيران خطر على المجتمع الدولي، وأنه يجب أن تعاقب من خلال حزم عقوبات، أو حتى ضربة عسكرية. ولأن الأوراق السياسية في إيران بيد أمريكا، فهي تعمل باستمرار على إنقاذ إيران من أية عقوبات محتملة، من خلال أمرين. **الأمر الأول:** تخفيف العقوبات، وجعلها غير منتجة، بالتنسيق مع الصين وروسيا، اللتين تنتفعان اقتصاديًّا وتجاريًّا من إيران، وتساعدانها في برنامجها النووي السلمي، وتدعمان تخفيف العقوبات عنها، وتساهمان (مع أمريكا) في منع أي مشروع عقوبات قاتل ضد إيران، حفاظًا على مصالحهما الكبرى هناك. ومثال ذلك ما حصل في حزيران/٢٠١٠م، حين نسَّقت الدولتان مع أمريكا في تخفيف مشروع قرار العقوبات رقم ١٩٢٩م ضد إيران، وأفرغوه من أي تأثير. وكان وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، قد قال بعيد قرار العقوبات هذا: «لقد وضع شركاؤنا الغربيون مشروع القرار الذي لم يكن في البداية من الممكن لروسيا والصين تأييده، وبعد مشاورات مكثفة في اللجنة السداسية تمكنَّا من شطب بعض البنود التي كانت تهدف لعقوبات مُشِلَّة»؟!!!.

أما الأمر الثاني، فهو الالتفاف على العقوبات التي تفرض على إيران. والناظر فيها يجد أن تأثيرها يكاد يكون معدومًا في أبرز ثلاثة جوانب تضمنتها القرارات، وهي الجانب التجاري والنفطي والمصرفي.

ففي الجانب التجاري صار الالتفاف من خلال فرض عقوبات على شركات ظاهرة، وإدخال شركات أخرى أمريكية، من تحت

الطاولة، تستمر في العمل في إيران، بدلًا عنها.

أما في قطاع النفط فقد تبيَّن أن العقوبات كان تأثيرها مقتصرًا على النفط المصدَّر إلى أوروبا، والذي التفَّت عليه إيران من خلال أمور متعددة مثل التعاقد مع مشترين جدد. فقد قالت الوكالة التي تنسِّق سياسات الطاقة لكبرى الدول المستهلكة: إنه من المتوقع أن تحافظ صادرات النفط الخام الإيرانية على زخمها، بل تتجاوز ١,٤ مليون برميل يوميًا في آذار (مارس)/٢٠١٣م مقارنة بـ١,٢٨مليون برميل في شباط (فبراير)٢٠١٢م. وكذلك استخدام إيران موانئ أخرى، غير مراقبة، مثل ميناء لابوان الماليزي؛ لإخفاء ملايين من براميل النفط بعيدًا عن العقوبات الغربية، ومن ثم بيعها لمشترين محتملين (نشرة رويترز «فريت فندمنتالز»، سبتمبر/٢٠١٢م). وأيضًا تعاقد إيران مع دول مختلفة لتسجيل ناقلاتها النفطية باسمها.

وفي القطاع المصرفي استطاعت إيران الالتفاف عليه باستخدام المصارف العراقية. فقد قدم ديفيد كوهين، وكيل وزارة الخزانة الأمريكية لشؤون الإرهاب والاستخبارات المالية بيانًا مكتوبًا، ردًّا على الأسئلة التي وجَّهتها له صحيفة (نيويورك تايمز) في عام ٢٠١٢م، أكد فيه أن إيران: «ربما تسعى للتهرب من العقوبات المالية القوية التي فرضناها عليها عن طريق المؤسسات المالية العراقية».

وهكذا بين كرٍّ وفرٍّ، في السنوات الأخيرة، أصبحت إيران، وبتنسيق كامل مع أمريكا، خبيرة في فن الالتفاف على العقوبات، والإفلات منها... وتهدأ موجة التهديدات والضغط عليها، من أوروبا، بعد كل جولة محادثات واتفاقات، ويزول إحراج أوروبا ودولة يهود لأمريكا للقيام بعمل عسكري، أو حتى بعقوبات مؤثرة فعليًا على إيران.

هذا فيما يتعلق بالالتفاف على العقوبات غير المؤثرة؛ لكن الحقيقة الصارخة في علاقة أمريكا وإيران التي (تعاديها) و(تقف) ضد مصالحها!! تؤكد أن إيران تفتح بلادها أمام استثمارات أمريكا «العدو الأكبر». فقد أفادت دائرة الإحصائيات للولايات المتحدة، خلال تقريرها الأخير، أن حجم التبادل التجاري مع إيران شهد ارتفاعًا ملحوظًا في العام ٢٠١٨م بمستوى ١٥٥٪ مقارنة مع العام ٢٠١٧م. ففي العام ٢٠١٧م وصل حجم التبادل التجاري بين البلدين إلى ١٩٩ مليون دولار في حين إنه تجاوز ٥٠٨ مليون دولار في العام التالي (لبنان الجديد ٢٠١٩/٣/٩م). وفي النفط، تتلاعب أمريكا على العالم في موضوع العقوبات على إيران، وتضغط بذلك على شركات عالمية، لتخرجها من العمل في إيران، وتسمح بعد ذلك لشركات أمريكية غيرها بالعمل. فقد كشفت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية، في آذار/٢٠١٠م، النقاب عن تمويل الحكومة الأمريكية لشركات أمريكية وأجنبية تعمل في إيران بعشرات المليارات من الدولارات. وقالت الصحيفة: «إن الحكومة الأمريكية أعطت ١٠٧ مليار دولار، خلال السنوات العشر الأخيرة لشركات أمريكية وأجنبية تقوم بأعمال في

إيران، كثير منها في قطاع الطاقة، وأوضحت أنه من بين ٧٤ شركة تتعامل مع كل من الحكومة الأمريكية وإيران، هناك ٤٩ شركة مازالت تزاول أنشطة في إيران».

٥. أما يهود وعلاقتهم بنووي إيران، فهم وإن كانوا حلفاء لأمريكا، إلا أنهم يشعلون النار في موضوع النووي الإيراني، ويعملون على تخويف العالم منها، داعين لضربها، ما يجعل مواقفهم تتجانس مع مواقف أوروبا في هذا الشأن. كما أنهم يحاولون ربط حل القضية الفلسطينية (أي تصفيتها) بموضوع إيران النووي، ودعمها لحماس وحزب الله!! حتى يتنصلوا من أية حلول، أو تنازلات سياسية يقدِّمونها، وهذا ديدنهم! لكن أمريكا بالمقابل لا تستمع إليهم، بل وتستخدم (قوة) إيران المزعومة في المنطقة في الضغط عليهم، حتى يقبلوا بالحلول التي تريدها هي في فلسطين!.

وأما عن علاقة إيران بيهود، وتهديدات قادة إيران المستمرة لكيان يهود، والقضاء عليه وإفنائه من الوجود، فلا يعدو أكثر من تهويشات إعلامية فارغة تضلِّل المسلمين، هدفها مجرد الضغط على يهود، بتوجيه من أمريكا. فقادة إيران يعلنون دائمًا أنهم ينتظرون أن تهاجمهم (إسرائيل) أولًا حتى يفنوها بضربة لا تبقي ولا تذر؟!! لكن الموقف الحقيقي لنظام إيران هو شيء مختلف، فهو لا يريد إزالة كيان يهود، ولا شطب (إسرائيل) من الخارطة. قال الرئيس أحمدي نجاد في ٢٠١٠/١٠/١٤م في بنت جبيل: «**إن المشروع الإيراني هو المشروع الفلسطيني، وإن ما تريده إيران لفلسطين هو ما يريده الفلسطينيون، وهو إقامة دولة فلسطينية**»، حتى إن نجاد لا يريد أن (يزيل) (إسرائيل) من الوجود بنفسه، بل يريد للمهدي أن يفعل هذا، فقال: «**المهدي المنتظر سيأتي إلى هنا، وبرفقة المسيح» من أجل تحرير فلسطين (٢٠١٠/١٠/١٤م)**!!! يهود يقتلون ويعتدون ليل نهار، ونجاد يطلب انتظار المهدي: أيُّ تخذيل وتثبيط هذا عن عمل أبناء الأمة وجيوشها وقادتها المخلصين؟؟

وفي المحصلة، فإن يهود وإيران في علاقة أكثر من طيبة، طالما أن إيران تلعب دورًا لا تتخطَّاه. ففي تصريح لإذاعة الجيش (الإسرائيلي) في ٢٠٠٦/٢/١٨م قال رئيس مجلس الأمن القومي عوزي دايان: «**إيران ليست عدوًا لإسرائيل، وإنه لا يجدر بنا تهديد إيران، من وجهة نظرنا إيران ليست عدوًا؛ ولكن علينا التأكد من عدم تمكُّن إيران من اقتناء أسلحة دمار شامل**». هذا من جانب إيران، أما من جانب أمريكا، فهي تعمل، من خلال سلوك إيران العدواني المفبرك، على فرض وصايتها على ابنها المدلل (إسرائيل)، بإشعارها أنه مستهدف في كل لحظة!!؟ وأنه بحاجة إلى الارتماء في حضن، والده وعدم مخالفة سياسته، كي يحظى بحمايته.

٦. والخلاصة في موضوع نووي إيران: إن سيناريو العقوبات الذي تقوده فرنسا وبريطانيا وألمانيا بات يتكرَّر منذ سنوات دون جدوى، ما يثبت أن كل لقاءات المجتمع الدولي مع قادة إيران حول برنامجها النووي ما هو إلا

تجاذب للقوى الاستعمارية حول إيران: أمريكا من جهة، والأوروبيون من جهة أخرى. فسياسة أمريكا الدائمة تقوم على استمرار الحوار والمحادثات، ودفع إيران لتقديم تنازلات طفيفة تُفقد الضغط الأوروبي اليهودي زخمه، باتجاه فرض عقوبات أو عمل عسكري، يثق حكام إيران أنه لن يحصل طالما أن أمريكا في ظهرهم، وتستفيد منهم سياسيًّا وعسكريًّا، في غير ملف ومكان في المنطقة. وهكذا، فإن إيران اليوم أصبحت تلعب دورًا يهدّد مصالح أوروبا في الخليج. فأمريكا كما ذكرنا تحب من إيران أن تستمر في إخافة دول الخليج، من خلال مناوراتها، ومدِّها (الشيعي)، حتى تدخل أمريكا إليها، عسكريًا وسياسيًا بشكل أكبر، وهذا ما يحصل بالفعل، إضافة إلى أنها تستخدم البعبع الإيراني في نشر منظومات أسلحتها حتى في أوروبا الحليفة!!!

لقد أصبحت سجالات المجتمع الدولي، كل بضعة أشهر، حول الملف النووي الإيراني، سيناريوًا ممجوجًا ومكشوفًا ومملًّا، كون حكام إيران أصبحوا حاذقين في دبلوماسية حافة الهاوية الآمنة التي ينتهجونها بتنسيق كامل مع أمريكا، وأن المحادثات (التي لا تنتهي) قد تثمر في حال رفعت العقوبات عن إيران! وهكذا دواليك، في حفلة ومسلسل لا ينتهيان؟!.

خاتمة: إن حالة العداء التي تروج لها وسائل الإعلام بين إيران وأمريكا هي حالة زائفة ومصطنعة، فإيران لم تخالف سياساتها الموالية والخادمة للأهداف الأمريكية، في السرِّ وإن كانت تظهر أنها مخالفة لها في العلن، منذ أيام الخميني، لا تخرج عنها، وكل ذلك بحجة المصلحة المشتركة مع الشيطان الأكبر!!!

وإيران المذهبية الطائفية المتعصبة تفتُّ في عضُد الأمة، وتفرق جماعتها خدمة للغرب الليبرالي المجرم، والذي ينظر للمسلمين نظرة واحدة، ويستهدفهم جميعًا، فلا ينظر إليهم نظرة (شيعة) أو (سنة)، بل نظرة العداوة والحقد والمكر. وعلى الأمة أن تواجه هذه الخطة الجهنمية، وأن لا تنخدع وتتورط في هذه الدعوة المقيتة، وأن تتواصى بالحق والوعي على فكرة المذهبية السياسية المَقيتة النتنة الغريبة عن ديننا، وأن تعلن تبرؤها منها ومن حكامها وممن يقف خلفهم.

ولتعلم الأمة أنها أمة واحدة موحدة من دون الناس، كما قال ربها: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢] لكن الحكام الأدوات فرَّقوا دينهم وأمتهم، وأجرموا في حق أمة الإسلام، بدعوى الطائفية المذهبية السياسية النتنة التي يحملونها. ولتعلم الأمة أن السبيل الوحيد لتعود خير أمة أخرجت للناس لا يكون إلا بالعمل من أجل وحدتها السياسية المتمثلة في دولة الخلافة، التي تعيد للمسلمين قرارهم وسيادتهم، فيعتصمون بحبل الله جميعًا، وعروته الوثقى التي تؤلف بين قلوبهم، ويصبحون بنعمته إخوانًا. قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦]. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن أمة تمرض؛ لكنها لا تموت

محمد عبد الله

لم يعد يخفى على أحد أنه بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ومبدئه الشيوعي، أصبح العدو المباشر للغرب الرأسمالي هو الإسلام السياسي، الإسلام الذي يطمح للوصول إلى الحكم. وكان الصراع بينهما صراعًا مبدئيًّا. والصراع بين المبادئ هو صراع جدي، ولا يمكن أن يتوقف إلا بموت أحد الخصمين. والغرب يأخذ الأمر في هذا الصراع بكل جدية؛ إلا أنه بدل أن يجعل الصراع فكريًّا ويقارع الحجة بالحجة، وهذا هو صعيد الصراع بين المبادئ، فإنه يسلك السبل الملتوية؛ لأنه يعلم علم اليقين أنه لا يمكنه أن يصمد أمام حجة الإسلام الواضحة البسيطة المقنعة للعقل والموافقة للفطرة، والدليل هو التنامي المطرد لأعداد الذين يدخلون في الإسلام من أبناء الغرب ومن كل الفئات المجتمعية، من عامة الناس ومن المفكرين والعلماء... رغم فارق التقدم الهائل بين المسلمين والغرب.

إذًا، فعجز الغرب الواضح عن الوقوف في وجه حجة الإسلام جعله يسلك سبلًا أخرى أكثر خبثًا ومكرًا. والفكرة الأساسية وراء هذه الخطة الخبيثة هي: إن كان خصمك قويًّا، وكنت عاجزًا عن مواجهته، فأضعفه، ثم أجهز عليه حين يضعف... وهكذا كان. ونحن هنا نتجاوز الحديث عن المواجهة العسكرية؛ لأن الغرب قد اقتنع منذ بدايات القرن الثامن عشر أن الأمة الإسلامية لا تهزم عسكريًّا، وأنها مهما ضعفت أو مُنيت بالهزائم العسكرية، فإنها سرعان ما تنهض من جديد، بمجرد أن يوجد فيها قادة مخلصون.

فكيف ارتأى الغرب إضعاف الأمة الإسلامية؟

لقد فهم الغرب جيدًا أن قوة الأمة تتجلَّى في قوة عقيدتها، وقوة تمسك أبنائها بعقيدتهم، وجدية التفافهم حولها. وهذه هي بالضبط الجبهات الفكرية التي فتحها أعداء الله على الإسلام، فعملوا على مجموعة من الأمور، أهمها:

- فرض العلمانية في واقع الناس وإجبارهم على التعامل بها والتحاكم إلى شرعة البشر، ودفعهم شيئًا فشيئًا إلى التطبيع مع الحكم بغير ما أنزل الله، ونزع كل ممانعة لديهم حتى يصبح المسلم غارقًا فيما يُغضب الله دون أن تهتزَّ منه شعرة.
- الدعاية المكثَّفة، وبأساليب متنوِّعة ومتجدِّدة، لأفكار العلمانية المتمثِّلة في الحريات ووجوب فصل الدين عن السياسة، وإدخالها في المناهج التعليمية للأطفال، ومحاولة إيجاد رأي عام جارف حولها؛ بحيث لا يعود يجرؤ أحد على مخالفتها، إلا على

استحياء.

● تشكيك المسلمين في عقيدتهم بطرح بعض الإشكالات الفكرية، مثل ما قد يظهر من مناقضة بعض الأحاديث للقرآن كالوصية للوالدين، أو تناقض بعض الأحاديث، أو تسليط الضوء على بعض الأحكام «الغريبة» مثل إرضاع الكبير أو التداوي بأبوال الإبل.

● الطعن في أئمة الحديث وكتبهم وكيفية جمع الأحاديث، والانطلاق من احتمال تسرب الوضع إلى بعض الأحاديث إلى الجزم بكذبها كلها، وفتح المجال للعلماء المضلِّين، أو من يسمُّون أنفسهم زورًا وبهتانًا «القرآنيين».

● دعم موجة العلماء «الشباب» الذين يحصرون علمهم في الرقائق والمواعظ أو ما أصبح يدخل في ميدان التنمية البشرية، ولا يقربون عالم السياسة.

● إبقاء مجال وسائل الإعلام مفتوحًا أمام طائفة علماء السلطان الذين يحصرون الفتيا في الأمور الشخصية، فإذا تعلق الأمر بشيء من السياسة أفتَوا على هوى الحكام ومقاسهم وبرَّروا لهم تجاوزاتهم، وألزموا الرعية بالسمع والطاعة لهم حتى لو بلغت تجاوزات الحكام عنان السماء.

● جعل الفكر الغربي حكمًا على صلاحية الأحكام الشرعية، فالجهاد يجب أن يتوقف لأنه يخالف حرية العقيدة. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يُلغى لأنه يخالف الحريات الشخصية. وتعدُّد الزوجات و«للذكر مثل حظ الأنثيين» يجب أن يُلغيا لأنهما يخالفان مفهوم المساواة بين الرجل والمرأة... والغاية من كل هذا هي قطع العلاقة بين الحكم الشرعي ودليله من الكتاب والسنة، ووضع «**فلتر**» إجباري قبل اعتماد الحكم، وهو موافقته للعلمانية، فما وافق العلمانية اعتُمد وما خالفها رُفض ولو كان مبنيًّا على نص قطعي الثبوت قطعي الدلالة.

● تغييب الأحكام الإسلامية والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي عن واقع الناس وعن مناهجهم التعليمية وعن وسائل الإعلام وكل ما يحيط بهم؛ حتى يصبح أبناء المسلمين شبه أميين في أحكام دينهم، ويصبح الفقه حكرًا على فئة قليلة نادرة من المتخصِّصين.

● إفراغ الساحة من أي كفاءة علمية وفكرية قادرة على مواجهة الفكر العلماني، ومنع تسليط أي نقطة ضوء عليهم إن وجدوا، وبالمقابل إغراق الساحة بأشباه العلماء الذين يبيحون العلمانية ويجدون لها المسوِّغات الشرعية.

● إغراق الساحة بالتفاهات كالفن والرياضة والغناء والرقص والطبخ والكوميديا، وإنشاء المسابقات والجوائز القيمة لهذه الأنشطة، وجعل من يفوز فيها رمزًا من رموز الأمة تتغنَّى به الركبان، ويُستدعى في المحافل ويستشار في عظائم الأمور، والهدف من كل هذا هو إشغال الناس وحرف بوصلتهم لإلهائهم عن العمل التغييري الجادِّ.

● فتح المجال للتافهين لتصدُّر المتابعات على وسائل التواصل الإلكتروني

والتحول إلى نجوم بمشاركات تفيض انحطاطًا وسفاهةً وفجورًا.

● تشجيع النعرات الطائفية والمذهبية والوطنية، بل والخلافات بين مشجعي الفرق الرياضية، واختلاق الأسباب لإشعال الأزمات حتى ينشغل الناس عن عدوهم الحقيقي وهو الغرب، وعن وكيل عدوهم وهم الحكام العملاء، ويصبح عدو أحدنا هو جاره الذي ليس من شيعته.

● إفقار المسلمين وإغراقهم في الأزمات الاقتصادية لجعلهم يدورون في دوامة لقمة العيش، ولا يبقى لهم وقت ولا جهد للتفكير في سبل التغيير وإنهاض المسلمين.

● التضييق الأمني على كل من يحمل فكرًا تغييريًا جادًّا، خصوصًا إن كان بنكهة إسلامية، والتنكيل بهم بشكل يجعل كل شخص يحلم بالتغيير يفكر مرات ومرات قبل أن يقدم على القيام بأي عمل.

● الالتفاف على الثورات الشعبية وتغذية الثورات المضادة وإدخال الشعوب في فتن الحروب الأهلية القاتلة؛ لجعل الناس تخنع لظلم الحكام وتندم على اليوم الذي فكَّرت فيه في الثورة على حكامها.

قد يبدو هذا المكر بالفعل محكمًا، وهو بدون شكٍّ مكرٌ تكاد تزول منه الجبال، ولا شك أن هذه الأعمال قد أضعفت كيان الأمة وأوجدت بيننا جيوشًا من المضلَّلين والمضلِّلين، ومن العملاء الفكريين، ومن الجهَّال والتافهين... ولكن هذه الأمة قد حباها الله بميزة لا توجد فيمن سواها، **وهي مناعتُها المرتفعة**، أي أنها قد تمرض وتتعب ولكنها لا تموت، تضعف ولكنها لا تستسلم أبدًا، تنحني مؤقتًا ولكنها لا تركع إلا لربها، وأنَّى تهزم أمة تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؟!

هذا ليس كلامًا تنظيريًّا أو حماسيًّا إنشائيًّا، ولكنه كلام واقعي عملي، وتاريخ الأمة خير شاهد عليه، فكلما ألمّ بالأمة بلاءٌ يكاد يستأصلها، لا تلبث أن تنهض فتعود أقوى مما كانت. واليوم، ورغم كل ما يُكاد لها، فصحوة أبنائها تملأ الآفاق، وثباتهم، رغم كل ما يلاقون ومما لا يعدُّ، لا يخفى على أحد، فرغم القتل الجماعي ورغم التفنُّن والإبداع القذر في التعذيب والتنكيل والمجازر، لا يزال المسلم البسيط رافعًا رأسه متحديًا، ولا يزال يتقدَّم وعدوه يتأخَّر في ساحات الفكر كما في ساحات القتال، وقد رأينا كيف انسحبت أمريكا من أفغانستان تجرُّ أذيال الخيبة أمام حفنة مقاتلين لا يملكون عشر معشار ما تملكه هي من أسلحة ودمار.

إن قوة العقيدة لا تعدلها قوة في الأرض، وإن مكر أعداء الله مهما علا فإنه لا بقاء له ولا قرار، وذلك ليس رجمًا بالغيب، ولا تمنيات وأحلامًا، ولكن تصديقًا لوعد ربنا سبحانه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠]. ■

المحور الرابع

الحضارة الغربية : إضلال واستعمار وانهزام وتوقُّع انهيار... والإسلام هو الخلاص

- أدوات الرأسمالية لاستعمار بلاد المسلمين
- الحروب السياسية وهيمنتها على الصراع بين الدول الكبرى!
- المديونيات الخارجية:

  حبل الاستعمار الذي يطوِّق به الحكام رقاب الشعوب
- بلايا النظام الرأسمالي من ناحية واقعية
- مآزق استراتيجية تؤدي إلى تراخي قبضة أمريكا عن بلاد المسلمين...

  فهل تؤدي إلى انهيار حضارتها وقيام حضارة الإسلام بإقامة الخلافة؟
- انهزام الحضارة الغربية الرأسمالية والعلمانية
- «الانهيار» هو مصير الحضارة الغربية في عيون مفكِّرين غربيين
- ماذا يعني إقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

أدوات الرأسمالية لاستعمار بلاد المسلمين

الأستاذ محمد إسحق

إن جميع دول العالم تقريبًا تتبنى اليوم الرأسمالية كنظام اقتصادي لها. فمن خلال الاعتماد على مفهوم حرية الملكية الذي يعطي مساحة كبيرة للشركات الخاصة ويجعل السوق الحرة وسيلة لتجميع ثرواتهم، أدَّى تطبيق النظام الرأسمالي إلى هيمنة قلة من الناس على القوة الاقتصادية في العالم؛ وهذا ما مكَّنهم من التأثير على سياسات البلد. ثم بعد ذلك، وفَّر النظام الرأسمالي الفرص للدول القوية لاستغلال واستعمار الدول الضعيفة إما بشكل مباشر أو من خلال الأدوات والمؤسسات الدولية... فهناك العديد من الأدوات والآليات في النظام الرأسمالي التي تدعم هيمنة البلدان الرأسمالية في تنفيذ استعمارها على بلدان أخرى، منها: توفير الديون الخارجية، وتطبيق العملة الورقية، وحرية الاستثمار مباشرًا كان أو محافظًا، والحرية في التجارة العالمية.

1 .الديون الخارجية

من أقوى الآليات التي تستخدمها الدول الرأسمالية للسيطرة على الدول الضعيفة واستغلالها تقديم الديون الربوية. فبالإضافة إلى حصول المنفعة أو الفائدة، وفَّرت الدول الرأسمالية أيضًا شروطًا متنوعة لمصلحتها، كاشتراط أخذ المقاولين والمواد من الدول الدائنة، والحصول على تنازلات اقتصادية من البلدان المَدينة، واستحقاق إدارة الموارد الطبيعية. والحاصل، يضحى الإنفاق الحكومي على البنية الأساسية والخدمات الاجتماعية لسد الديون، حتى إن الحكومة تقترض أموالًا إضافية فقط لتلبية احتياجات سداد الديون.

ولقد استغلت الدول الغربية، وخاصة الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، المؤسسات متعددة الأطراف، وخاصة صندوق النقد الدولي/IMF والبنك الدولي، لتحقيق مصالحها المختلفة تجاه الدول المَدينة. على سبيل المثال، ورد في أحد التقارير أن هناك ٢٦ برنامجًا من برامج قروض صندوق النقد الدولي، والتي تمت الموافقة عليها في عامي ٢٠١٦م و ٢٠١٧م، سببت هذه البرامج التظاهرات الشعبية في ٢٠ دولة، والتي ترفض متطلبات ديون صندوق النقد الدولي مثل التخفيضات في الميزانية الحكومية، وارتفاع تكاليف الحياة، وإعادة هيكلة الضرائب، وإصلاح فاتورة الأجور. وفي نهاية المطاف، أدت الإصلاحات التي فرضها صندوق النقد الدولي من خلال متطلبات البرنامج إلى الحد من قدرة الحكومات على توفير الخدمات العامة والوفاء بالتزاماتها

تجاه المواطنين في مجال حقوق الإنسان[1].

بالإضافة إلى الدول الغربية، هناك الصين التي شهدت في العقود الأخيرة تقدمًا اقتصاديًا بسرعة فائقة، فقد اتَّبعت خطوات الدول الرأسمالية المتقدمة لتوسيع نفوذها السياسي والاقتصادي من خلال إعطاء القروض للدول المستعيرة، حتى إن الصين أصبحت اليوم أكبر دائن متجاوزة بذلك البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، أو جميع الحكومات الدائنة في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية مجتمعة/ OECD؛ حيث بلغت قيمة ديون بعض البلدان كجيبوتي، تونغا، وجزر المالديف، وجمهورية الكونغو، وقيرغيزستان، وكمبوديا، والنيجر، ولاوس، وزامبيا، وساموا، وفانواتو، ومنغوليا، أكثر من ٢٠ في المائة من ناتجها المحلي الإجمالي[2]. وهذه الديون لها متطلبات متنوعة أيضًا، كحقوق التنازل لإدارة الموارد الطبيعية، مثل ما جرى في اتفاق الصين مع غانا؛ حيث يفرض هذه الاتفاق أن الصين ستنفق على بناء

شبكة سكك حديدية، وطرق، وجسور، بقيمة ٢ مليار دولار مع التعويضات مقابل منح الصين الوصول إلى ٥٪ من احتياطيات البوكسيت في غانا.[3]

1 .الاستثمار

من الاستراتيجيات الأخرى التي استخدمتها الدول المتقدمة ترغيب تحرير القطاع المالي في البلدان النامية. وذلك أن المستثمرين الدوليين، لا سيما من سوق المستثمرين على نطاق واسع، مستعدون لإقراض أموالهم بشكل شراء سندات حكومية وأسهم الشركات التي تحتاج إلى رأس مال؛ ولكن هذه الظروف إنما تحصل عندما تكون الظروف جيدة، بينما هم يميلون إلى التراجع في الأوقات العصيبة، مما يؤدي إلى تضخيم التقلبات في الاقتصاد المحلي. حينذاك تتم تدفقات رأس المال الأجنبي الوافدة بشكل كبير، ولكن عندما تزداد إمكانات الدخل في البلدان الأخرى أو تزداد المخاطر في أسواق رأس المال، فإنهم يسحبون أموالهم، حتى يتسبب في تقلُّب العملة المحلية بشكل حادٍّ، وحتى يؤثر على الدخل والاستهلاك العام. وهذا يشبه ما حدث مؤخرًا في تركيا حيث فقدت الليرة التركية ٤٤٪ من قيمتها في عام ٢٠٢١م بسبب المستثمرين، الذين لديهم حيازات كبيرة من الأسهم والأوراق المالية في تركيا، غادروها بسبب الأزمة العالية، وبسبب امتناع البنك المركزي عن التغلب على ذلك

---

١ جينو برونزويجك ، شرط غير آمن: قرض صندوق النقد الدولي المشروط وأثره على التمويل الصحي ، الشبكة الأوروبية للديون والتنمية ، نوفمبر ٢٠١٨. https://www.eurodad.org/unhealthy-conditions.

٢ سيباستيان هورن ، كارمن إم راينهارت ، وكريستوف تريبيش ، ما مقدار الأموال التي يدين بها العالم للصين؟ هارفارد بيزنس ريفيو ، ٢٦ فبراير ٢٠٢٠. https://hbr.org/2020/02/how-much-money-does-the-world-owe-china

٣ «صفقة الصين بقيمة ٢ مليار دولار مع غانا تثير مخاوف بشأن الديون والتأثير والبيئة ،» سي إن بي سي ، ٢١ نوفمبر ٢٠١٩. https://www.cnbc.com/2019/11/21/chinas-2-billion-ghana-deal-fears-over-Debt-effect-environment.html

برفع أسعار الفائدة[٤].

وفي هذه الأوقات العصيبة، تقوم حكومات الدول النامية بزيادة أسعار فوائدهم لجذب الاستثمار من الشركات الأجنبية. ونتيجة ذلك، يزداد إنفاق الدولة على استيفاء الدين الحكومي، وبينما الفوائد التي تحصل عليها الشركات الرأسمالية تزداد أيضًا. في إندونيسيا مثلًا، فقد أدت مدفوعات الفائدة المرتفعة على الديون التي معظمها بشكل سندات يحتفظ بها المستثمرون، أدت إلى زيادة مدفوعات الفائدة أكثر من ضعفي ميزانية الدعم وثلاث أضعاف الإنفاق على المساعدة الاجتماعية.

بالإضافة إلى ذلك، ترغب الدول الغربية في تحرير الاستثمار المباشر في الدول النامية. وبالتالي، يمكن للمستثمرين الأجانب السيطرة على مختلف الموارد الطبيعية والأصول الاستراتيجية المختلفة في البلاد. في إندونيسيا مثلًا، يتنافس المستثمرون من مختلف البلدان للحصول على امتيازات التعدين، مثل النفط والغاز الطبيعي والفحم والذهب والنيكل. وفي الوقت نفسه، تحصل الحكومة فقط على إتاوات منخفضة للغاية، حوالى ٥٪ بالإضافة إلى ضريبة الدخل، بينما يتم تحويل أرباح هذه الشركات الأجنبية إلى بلدانهم.

٤ «أردوغان يلقي باللوم في مشاكل العملة التركية على «الأدوات المالية الأجنبية» مع انخفاض احتياطيات البنك المركزي «سي إن بي سي ، ١٣ يناير ٢٠٢٢. https://www.cnbc.com/2022/01/13/erdogan-blames-turkeys-currency-woes-on-foreign-financial-tools-as-central-bank-reserves-fall.html

2 .العملة

لقد أصبحت العملة الورقية إحدى الوسائل التي تستخدمها الدول المتقدمة، خاصة الولايات المتحدة للحفاظ على وجودها كدولة كبيرة فضلًا عن كونها سببًا للعديد من الأزمات في مختلف البلدان بما في ذلك الدول الإسلامية. فمن خلال السيطرة على الدولار، يمكن للولايات المتحدة زيادة الإنفاق الحكومي على الرغم من أن ذلك يؤدي إلى عجز أكبر في الميزانية. ونفس الشيء الذي ينطبق على الأسر والشركات التي تستهلك أكثر من دخلهم، كما يتضح في عجز كفة العملية الجارية للولايات المتحدة.

ثم بعد ذلك يتم تمويل عدم التوازن عن طريق إصدار سندات دين، إما صادرة عن الحكومة أو الشركات التي يتم شراؤها فيما بعد من قبل البلدان الأخرى التي لديها احتياطيات بسبب فائض الحساب الجاري. ففي عام ٢٠٢٠م، بلغ إجمالي الدين الأمريكي الحكومي والتجاري والأسري ٢٨٤ في االمائة من إجمالي الناتج المحلي، حتى أصبح المجموع ٦٢ تريليون دولار أمريكي[٥]. وقد تم شراء سندات الدين الأمريكية؛ ذلك لأنهم ما زالوا يؤمنون بالدولار الأمريكي ولم يكن هناك بديل لعملة أقوى كانت مستخدمة على نطاق واسع دوليًا.

٥ نظام الاحتياطي الفيدرالي ، الحسابات المالية للولايات المتحدة. https://www.federalreserve.gov/releases/z1/20210610/html/recent_developments.htm

ومع ذلك، استمرت قيمة الدولار في الانخفاض تماشيًا مع زيادة المعروض من الدولارات التي قام بها الاحتياطي الفيدرالي من خلال سياسة نقدية فضفاضة (التيسير الكمي) لتعزيز اقتصاد البلاد بسبب الأزمات المختلفة التي عانت منها كل من الأزمة المالية والأزمة الوبائية التي حدثت في عام ٢٠٢٠م. وفي نوفمبر ٢٠٢١م، بلغ إجمالي القاعدة النقدية للولايات المتحدة ٦,٤ تريليون دولار أمريكي تطورًا من ٠,٨ تريليون دولار أمريكي في عام ٢٠٠٧,[٦] وترجع سهولة البنك الاحتياطي الفيدرالي في طبع الدولار وشراء السندات في سوق رأس المال إلى أنه لا توجد عوائق تقريبًا تمنع الاحتياطي الفيدرالي بالقيام على ذلك، كما حدث عندما اعتمدت الدولة على معيار الذهب بحيث يجب دعم المعروض النقدي باحتياطيات الذهب. فالثمن لإنتاج الدولار كعملة ورقية منخفض للغاية، كتكلفة طباعة عملة ١٠٠ دولار أمريكي هي ١,٤ سنت فقط[٧].

بالتالي، تكاد جميع البلدان تعتمد على الدولار الأمريكي، فكلما تقوم هذه البلدان بإجراء تعديلات في السياسة النقدية، إما أن تكون سياسته النقدية مخففة أو مشددة، فعملات البلدان الأخرى خاصة في البلدان النامية تشهد تقلبات في أسعار صرف عملاتها. وبالتالي أجرت هذه الدول التي اعتمدت أيضًا عملات ورقية غير مرتبطة بالذهب والفضة، تعديلات في السياسة النقدية لتحقيق الاستقرار في عملاتها، وذلك من خلال الترغيب في رفع أسعار الفائدة المصرفية، على الرغم من أن هذا تسبب في ضغوط على الاقتصاد المحلي خاصة على المدينين. فإذا كان الدين مقوَّمًا بالعملة المحلية، فسوف يزداد العبء بسبب زيادة الفائدة، أما إذا كان الدين بعملة أجنبية، فسوف يزداد بسبب ضعف سعر صرف عملتهم. ثم إن المجتمع الأوسع يواجه تضخُّمًا بسبب ارتفاع تكاليف الاستثمار، وتكلفة استيراد السلع من الخارج تزداد غلاء؛ لأجل ذلك أصبح تخطيط الأعمال على المدى الطويل مليئًا بعدم اليقين.

والحاصل، فشلت العملة الورقية في أداء وظيفتها كعملة، فقد أدَّى التضخم الناتج عن نموِّ الأموال التي ينتجها البنك المركزي بحرية إلى انخفاض قيمة النقود بحيث تصبح وظيفتها كمخزن للقيمة ضعيفة. وفي الوقت نفسه، إن قدرتها كوسيلة لتبادل المعاملات الأجنبية ضعيفة للغاية؛ لأن سعر الصرف بين العملات غير مستقر للغاية.

بناءً على ذلك، وُلدت Bitcoin في عام ٢٠٠٩م كحلٍّ لإنشاء عملة خالية من تدخل الدولة بحيث يُتوقع أن تكون قيمتها مستقرة مقابل تنويع النقود الورقية أو السلعية. تلك العملة أيضًا تعتبر أكثر وقاية بالخصوصية؛ لذا لا يستطيع أي شخص تتبع مقدار الأموال التي

[٦] البيانات الاقتصادية للاحتياطي الفيدرالي (FRED) سانت لويس الفيدرالي ، القاعدة النقدية ؛ مجموع. https://fred.stlouisfed.org/series/BOGMBASE

[٧] نظام الاحتياطي الفيدرالي ، ما هي تكلفة إنتاج العملة والعملات المعدنية؟ https://www.federalreserve.gov/faqs/currency_12771.htm

يمتلكها الشخص، على عكس أنظمة العملات التقليدية؛ حيث يمكن للأطراف الثالثة كالبنوك، الوصول إلى البيانات المالية الشخصية.

والحاصل، لا يمكن للعملة أن تفي بالوظائف الرئيسية للنقود، مثل عدم وجود قيمة جوهرية دائمة، وعدم وجود مخزن للقيمة نظرًا لتقلبها الشديد للغاية بحيث تصبح وسيلة للمضاربة أكثر من العملة، وليس لديها القدرة كأداة التبادل المقبولة بشكل عام، حتى لو كان له وظيفة كوسيلة للتبادل، فإنه مقبول فقط من قبل حفنة من الأطراف. علاوة على ذلك، فعلى الرغم من أن الإنتاج يمكن أن يقوم به أي طرف، إلا أنه في الواقع يتركز في الشركات الرأسمالية التي لديها معدَّات تعدين كبيرة. وفوق ذلك، فقد تسبَّب انتشار عدد الكثير من أنواع العملات المشفَّرة التي وصلت الآن إلى أكثر من ٩٠٠٠ نوع - نتيجة لإدراك المطوِّرين أنه يمكنهم أيضًا استخدام نفس التقنية لتطوير «إصدارات» أفضل من الأصول، فقد تسبَّب في زيادة كمية هذه العملات زيادة سريعة مقارنة بالتكوين الأولي لهذه العملات.

1 .السوق الحرة

شجعت الدول الغربية من خلال منظمة التجارة العالمية (WTO) التحرير في قطاع التجارة الدولية مع وعد بأن هذه السياسة ستشجع على زيادة التدفق الفعال للسلع والخدمات إلى البلاد، واتبع بعض البلدان مثل إندونيسيا آلية السوق الحرة كنتيجة لكونها عضوًا في منظمة التجارة العالمية. بالإضافة إلى ذلك، فتحت الحكومة على عجل دون إجراء دراسة معمَّقة أسواقها من البضائع المستوردة. فالحاصل، في ظل الظروف الاقتصادية المختلفة، يمكن للدول الغربية والدول الأكثر تقدمًا تصدير سلعها المصنوعة إلى دول نامية أخرى أكثر بكثير من صادراتها إلى هذه البلدان المتقدمة. حتى لو حصلوا على فائض، فإن هذا مدعوم ببيع الموارد الطبيعية وسلع المزارع في شكل خام أو بمستويات معالجة منخفضة.

وإذا رفضوا تنفيذ سياسة التحرير، فسيتلقَّون تهديدات من الدول المصدرة ليتم الإبلاغ عنها في منظمة التجارة العالمية، وبالتالي من المحتمل أن يفرضوا عقوبات على شكل دفع غرامات. وقد حدث هذا في إندونيسيا، عندما زادت الحواجز أمام دخول المنتجات الزراعية والحيوانية من الولايات المتحدة وأستراليا ونيوزيلندا؛ حيث طلبت الولايات المتحدة من منظمة التجارة العالمية أن تدفع إندونيسيا غرامة قدرها ٣٥٠ مليار دولار لمنع استيراد منتجات البستنة والمنتجات الحيوانية من الولايات المتحدة إلى تلك البلاد[٨].

لقد أدى تحرير التجارة إلى استخارج

٨ «نحن. يطلب عقوبات سنوية بقيمة ٣٥٠ مليون دولار في النزاع التجاري في إندونيسيا «، رويترز ، ٧ أغسطس / آب ٢٠١٨. https://www.reuters.com/article/us-indone-sia-usa-wto-idUSKBN1KS0HQ؛ «نحن. يفوز في نزاع منظمة التجارة العالمية بشأن القيود الزراعية في إندونيسيا «، ٠٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٧ ، مكتب الممثل التجاري للولايات المتحدة. https://ustr.gov/about-us/policy-offices/press-office/press-releases/2017/november/us-wins-wto-dispute-indo-nesia%E2%80%99s.

موارد طبيعية مهمة لبلد ما، والتي سيكون لها قيمة زائداة عالية إذا تمَّت معالجتها محليًا. ومن ناحية أخرى، ستغرق البلاد بالمنتجات المستوردة بأسعار تنافسية؛ لأنها تحصل على دعم متنوع من حكومتها. ونتيجة ذلك، فإن المنتجين المحليين غير قادرين على المنافسة مما يؤدي إلى انخفاض سوقهم بل وحتى خسارة السوق؛ لذا يتعيَّن إغلاقهم وترك موظفيهم عاطلين عن العمل. كما تم استنفاد احتياطيات النقد الأجنبي لتمويل هذه الواردات، مما قلَّل من القدرة على التدخل في سوق النقد بسبب التقلبات في أسعار صرف العملات.

تأثير الرأسمالية

كان تطبيق النظام الرأسمالي في العالم السبب الرئيسي لمختلف الأزمات الاقتصادية والمالية. وقد نشأت هذه الأزمات منها: نظام مالي ونقدي هش للغاية، ولم يقتصر تأثير الأزمة على البلدان المتقدمة فحسب، بل أثر أيضًا على البلدان النامية والبلدان الفقيرة التي تعتمد بشدة على اقتصادات البلدان المتقدمة. بالإضافة إلى ذلك، تسببت السياسات المختلفة للبلدان الرأسمالية لاستغلال البلدان النامية والفقيرة، كالديون الخارجية وسياسات الاستثمار والتجارة، في معاناة مختلفة في هذه البلدان.

نعم، لقد أدى تأثير تنفيذ النظام الرأسمالي إلى مستويات حادة بشكل متزايد من عدم المساواة والفقر في العديد من البلدان؛ حيث إن زيادة الدين الخارجي وتطوير البنية التحتية في البلدان الأفريقية لم يكونا مرتبطين بتحسين رفاهية سكانها، بينما يظهر الفقر على مستوى العالم اتجاهًا تنازليًا. ومع ذلك، لا يزال الناس في البلدان الأفريقية يواجهون معدلات فقر عالية للغاية. فمن عام ١٩٩٠م إلى عام ٢٠١٧م ، ارتفع معدل الفقر المدقع (أقل من ١,٩ دولارًا أمريكيًا في اليوم) في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بمقدار ٩ ملايين شخص إلى ٢٤ مليون شخص. وفي نفس الوقت، زاد الفقر في أفريقيا جنوب الصحراء بمقدار ١٥١ مليون شخص، ليصل الرقم إلى ٤٣٢ مليون شخص[٩].على وجه التحديد في البلدان التي يسكنها معظم المسلمين، يصل معدل الفقر إلى ٥٠ في المائة وما فوق، مثل غينيا وموزمبيق ونيجيريا وسيراليون ومالي وبنين[١٠].

ومن ثم يؤثر الفقر على عدم قدرتهم على تلبية الاحتياجات الأساسية وخاصة

٩ ماكس روزر وإستيبان أورتيز أوسبينا ، الفقر المدقع العالمي ، عالمنا في البيانات ، نُشر لأول مرة في ٢٠١٣ ؛ والمراجعات الأصغر في عام ٢٠١٩. https://ourworldindata.org/extreme-poverty

١٠ لجنة التعاون الاقتصادي والتجاري لمنظمة التعاون الإسلامي ، توقعات الكومسيك للفقر ٢٠١٩. https://sbb.gov.tr/wp-content/uploads/٢٠١٩/١١/COMCEC-POVERTY-OUTLOOK_October-٢٠١٩.

الغـذاء، فوفقًـا لتقريـر منظمـة الأغذيـة والزراعـة (FAO)، بلـغ عـدد سـكان العالـم الذيـن يعانـون مـن نقـص الغـذاء فـي عـام ٢٠٢٠م: ٧٦٨ مليـون شـخص أو ١٠٪. ومـن بيـن هـؤلاء، معظمهـا يوجـد فـي أفريقيـا؛ حيـث بلـغ عـدد سـكانها ٢٨٢ مليـون شـخص أو ٢١٪ مـن السـكان؛ حيـث ارتفـع مـن ١٧٪ فـي عـام ٢٠١٥م [١١].

في النهاية، مع تركز الثروة في أيدي البلدان المتقدمة والشركات الكبرى، واستغلال الفقراء والبلدان النامية، يزداد مستوى التفاوت في الثروة. بحلول عام ٢٠٢٠م سيكون لدى أفقر الناس الذين يشكلون نصف سكان العالم ٢٪ فقط من إجماليِّ الثروة. وفي المقابل، يمتلك أغنى ١٠٪ من سكان العالم ٧٦٪ من إجمالي الثروة. وفي المتوسط ، يمتلك النصف الأفقر من السكان ثروة تبلغ ٤١٠٠ دولار أمريكي ويمتلك أعلى ١٠ في المائة ٧٧١,٣٠٠ دولار أمريكي أو ١٨٨ ضعف ثروة الفقراء. بعد ذلك، تمثل ثروة الأسر في أمريكا الشمالية وأوروبا ٣٩٠٪ و٢٣٠٪ من متوسط الدخل العالمي؛ في حين تمثل أفريقيا جنوب

الصحراء الكبرى ١٧٪ فقط، وجنوب شرق آسيا ٤٠٪ [١٢].

لقد أدى صراع الدول الرأسمالية في البلدان الإسلامية من أجل القوة السياسية والاقتصادية إلى صراعات وحروب لا سيما بين عملاء الدول الرأسمالية، أو الصراعات الطائفية التي أشعلتها الدول الرأسمالية الغربية. فالحاصل، أصبح الأشخاص الذين يعانون من الفقر بائسين بشكل متزايد نتيجة لهذه الحروب والصراعات. وكان الفقر والنزاعات الطويلة هي أحد أسباب ارتفاع عدد اللاجئين من الدول الإسلامية، من بين ٢٠ مليون لاجئ في عام ٢٠٢٠م، كان معظمهم في أوروبا ٦,٧ مليون شخص، تليها أفريقيا ٦,٦ مليون، والشرق الأوسط وشمال أفريقيا ٢,٥ مليون.[١٣] ووفقًا للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، فإن معظم اللاجئين في أوروبا هم من بلدان منخفضة الدخل. ومنذ عام ٢٠١٤م، جاء معظمهم من دول مزقتها الحرب، وهي سوريا والعراق وأفغانستان.

ونتيجة ذلك، فإن سياسات الدول الرأسمالية في الدول الفقيرة والنامية أدت إلى ضياع فرصها في التنمية وتحسين نوعية الموارد البشرية، وفي الوقت نفسه، تتمتع

١١ منظمة الأغذية والزراعة والصندوق الدولي للتنمية الزراعية واليونيسيف وبرنامج الأغذية العالمي ومنظمة الصحة العالمية. ٢٠٢١. حالة الأمن الغذائي والتغذية في العالم ٢٠٢١.تحويل النظم الغذائية لتحقيق الأمن الغذائي والتغذية المحسّنة والأنظمة الغذائية الصحية الميسورة التكلفة للجميع. روما ، الفاو./https:// cb٤٤٧٤en/١٠,٤٠٦٠/doi.org

١٢ Chancel، L.، Piketty، T.، Saez، E.، Zucman، G. et al. التقرير العالمي لعدم المساواة ٢٠٢٢ ، مختبر اللامساواة العالمي. ٢٠٢٢wir.https://wid.world/www-site/uploads/٢٠٢١/١٢/٢٠٢٢Full_Report._WorldInequalityReport.pdf

١٣ المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين ، التقرير العالمي ٢٠٢٠، https://reporting.unhcr.org/sites/default/files/gr2020/pdf/GR2020_English_Full_lowres.pdf#_ga=2.149695920.784514037.1642918837-376537889.1642918837

الدول الرأسمالية الدائنة بفوائد مختلفة من سياساتها في شكل تحويل الدخل والأرباح والموارد الطبيعية للدول الدائنة. وفي الوقت نفسه أيضًا، تشهد هذه البلدان المدينة اعتمادًا سياسيًّا واقتصاديًّا كبيرًا جدًا على الدول الدائنة؛ بحيث يضعف استقلالية الحكومات ودورها.

العالم بحاجة إلى خلافة الإسلامية

سوف تستمر السياسات الاستعمارية المختلفة للدول الرأسمالية للدول النامية والفقيرة، وكثير منها دول بلاد إسلامية، ما لم توجد دولة قوية تعارض هذه السياسات وتقدم سياسات وأنظمة بديلة من النظام الرأسمالية العالمية. والشيء الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه في صدِّ جشع هذه الدول الرأسمالية هو **دولة الخلافة الإسلامية**، التي ستطبق الإسلام الذي هو وحي الله العادل والحكيم في البلاد وتنشر الإسلام في جميع أنحاء العالم من خلال الدعوة والجهاد.

فعلى سبيل المثال، وفي نظام الخلافة كانت العملات المستخدمة هي الذهب والفضة. وفي هذا النظام النقدي، لا تتدخل الدولة في تحديد المعروض النقدي، ناهيك عن استخدام السياسة النقدية التي تستخدم آلية سعر الفائدة. ومع ذلك، يتم تحديد قيمة العملة فقط من خلال المعروض من الذهب والفضة في الدولة. وبالتالي، ستكون قيمة العملة مستقرة على المدى الطويل، كما أن التبادل بين العملات بين الدول التي تستخدم الذهب والفضة سيكون مستقرًا أيضًا. كما سيتم الحفاظ على قيمة ثروات الناس والالتزامات المادية؛ لأن التضخم سيظلُّ منخفضًا. بالتالي، سيؤدي هذا الشرط إلى نمو تدفق التجارة الدولية في السلع والخدمات بشكل أفضل ولا يمكن لأي دولة بمفردها احتكار عملة عالمية واحدة.

ستؤسس دولة الخلافة أيضًا سياستها المالية على أساس الشريعة الإسلامية؛ حيث يعتمد الدخل والنفقات على الوظائف التي تحددها الشريعة الإسلامية. وعليه، فإن استخدام الدين الربوي في تمويل الإنفاق الحكومي هو سياسة لن تنفذها الخلافة أبدًا، بما في ذلك الدين المصحوب بشروط تضر دولة الخلافة. وسيكون دخل الدولة كبيرًا جدًا من خلال زراعة الثروات الطبيعية الوفيرة بحيث تكون ذات قيمة عالية وبيئة أعمال مواتية؛ بحيث يمكن أن تكون مستقلة عن ديون البلدان الأخرى.

كما ستنظم دولة الخلافة الملكية والاستثمار حتى يعود بالنفع على الناس؛ حيث تتحكم الدولة بشكل كامل في الملكية العامة ويتم استخدام إيراداتها قدر الإمكان للناس. وفي الوقت نفسه، يمكن أن تستعين الدولة بالقطاع الخاص لتقديم الخدمات التي تحتاجها الدولة في إدارة هذه الثروة.

بالإضافة إلى ذلك، سيتمتع القطاع الخاص بمرافق استثمارية متنوعة، وسيكون من السهل الحصول على رأس المال؛ لأنه لم يعد هناك فائدة على القروض التي تمنع الناس، ولا سيما ذوي الدخل المتوسط الأدنى من الاستثمار، وستحظر الدولة أيضًا أنشطة التخزين بحيث تكون سرعة المال عالية جدًا. وفوق ذلك، فإن الضرائب على الدخل، التي يمكن أن تصل نسبتها في البلدان الرأسمالية الغربية إلى أكثر من ٥٠٪، غير موجودة أيضًا، وعلى الرغم من وجود التزام دفع زكاة؛ إلا أنه يتم تطبيقه على الأصول المتراكمة على مدار عام والتي تبلغ قيمتها ٢,٥ في المائة، وليس على الدخل. أما الضرائب فإنها تُفرض على المسلمين فقط عندما يكون مصدر دخل الدولة غير كافٍ لتمويل النفقات اللازمة، كدفع تعويضات لموظفي الدولة، وتعويضات الفقراء والمحتاجين، وتطوير البنية التحتية التي يحتاجها الجمهور، وإدارة الكوارث، وتنفيذ فريضة الجهاد.

إن وجود بيت المال كمقدم للمساعدات والقروض للمقيمين الذين يحتاجون إلى رأس مال دون أي تعويض، بما في ذلك الفوائد، يجعل دور المؤسسات المالية التي تزدهر في النظام الرأسمالي ليس لها أي أهمية. فضلًا عن ذلك، ستحظر الخلافة أي مؤسسة مالية تطبق ممارسات الأعمال الرأسمالية كمثل البنوك الربوية، والتأمين، والشركات في شكل شركات ذات مسؤولية محدودة والتي تتاجر في أسهمها في سوق رأس المال.لن تشجع هذه السياسات ظهور روَّاد الأعمال المحليين فحسب، بل إنها أيضًا جذابة للغاية لأصحاب المشاريع في العالم الذين يتعرَّضون لضغوط من السياسات الرأسمالية المختلفة التي ينفذها حكامهم.

وفي الوقت نفسه تضمن دولة الخلافة تلبية الاحتياجات الأساسية لكل مواطن بغض النظر عن الدين والقبيلة والعشيرة. وفوق ذلك سيتم دعم المواطنين المسنِّين غير القادرين على العمل أو الأشخاص ذوي الإعاقة الذين لا يستطيعون تحمل التكاليف من قبل الدولة بشكل مستمر إذا لم يكن لديهم عائلة يمكنها تلبية احتياجاتهم اليومية، كما ستتم أيضًا مساعدة السكان العاطلين عن العمل والقادرين على العمل من قبل الدولة من خلال بيت المال لتزويدهم بالمرافق التي يمكن أن تدعمهم في العثور على عمل.

هذه بعض الأمثلة لسياسات دولة الخلافة، وكلها مستمدة من وحي الله سبحانه وتعالى، وليس الأمر كما في النظام الرأسمالي؛ حيث تستمَدُّ الأنظمة من القواعد البشرية المحملة بمصالح أصحاب رأس المال؛ فتؤذي البشر في أجزاء مختلفة من العالم. هذا والله أعلم بالصواب. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

الحروب السياسية وهيمنتها على الصراع بين الدول الكبرى!

الدكتور إبراهيم التميمي

عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير

في الأرض المباركة (فلسطين)

منذ فجر التاريخ، كانت الأعمال العسكرية بالغزوات والحروب هي الطريقة للتوسع والتنافس بين الدول وللانتقاص من أطراف بعضها بعضًا وللمزاحمة فيما بينها؛ ولكن مع منتصف القرن الثامن عشر ومع نشوء ما يعرف بالقانون الدولي على شكل قانون وتشريع، بدأت الأعمال السياسية تأخذ جانبًا مهمًّا في العلاقات الدولية وفي التنافس بين الدول والمزاحمة فيما بينها، وتركَّزَ ذلك بشكل واضح بعد عام ١٩١٩م حين أنشئت عصبة الأمم المتحدة؛ حيث أصبحت الأعمال السياسية شيئًا فشيئًا تحلُّ محلَّ الأعمال العسكرية، مع بقاء الحروب العسكرية وسيلة لا يمكن الاستغناء عنها؛ ولكنها لم تَعد الأصل في الصراع والتنافس بين الدول، وقد تعزَّز ذلك التوجه للأعمال السياسية أكثر وأكثر مع نهاية الحرب العالمية الثانية وإنشاء هيئة الأمم المتحدة حتى تطوِّر الأمر إلى أن تصبح حتى الأعمال العسكرية ليست بهدف التوسع والردع والمزاحمة والتنافس والاستعمار العسكري بشكل مباشر، وإنما لتكون في حال اللجوء لها عاملًا مساعدًا ومساندًا للأعمال السياسية لكسب حروب أطلق عليها الحروب السياسية، وهي التي سوف نتحدث عنها في هذا المقال.

لقد تبلور مصطلح الحروب السياسية في العقود الأخيرة بشكل أكبر وتعزَّز هذا التوجه خاصة بعد فشل أمريكا في حروبها العسكرية الأخيرة في العراق وأفغانستان وتكبُّدها خسائر مادية ضخمة بلغت ٦,٤ تريليونات دولار منذ هجمات ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١م وحتى نهاية العام المالي ٢٠٢٠م، وذلك وَفق دراسة صدرت عن مبادرة «تكلفة الحرب» وهي مشروع بحثي مشترك بين جامعتي براون وبوسطن الأمريكيتين، إضافة إلى خسائر بشرية كبيرة شملت آلاف الجنود، وقد أثَّرت تلك الحروب العسكرية وما صاحبها سلبًا على موقع أمريكا الدولي؛ ومع تلك الفاتورة الكبيرة للحروب العسكرية ودون تحقيق الأهداف المطلوبة في الشرق الأوسط وأفغانستان رغم الإمكانيات العسكرية المتواضعة في تلك البلاد. وفي ظل ما يُسمَّى بالقانون الدولي الذي يمنع الاعتداء العسكري على أراضي الدول دون مسوِّغ «قانوني»، أصبح للحروب السياسية مُنظِّرون ومدارس تعتمدها كبديل عن الحروب

العسكرية خاصة مع الدول الكبرى التي تمتلك قدرات عسكرية ونووية تمكنها من إلحاق الأذى ببعضها إن حصل صدام مباشر، وتتميز الحروب السياسيَّة بتنوُّع الأدوات الفعَّالة التي تندرج تحتها وتستخدمها في التأثير على الدول وفي تحقيق الأهداف والسيطرة، ومن تلك الأدوات **الذكاء الاصطناعي، والطاقة، والتبادل التجاري، وقضايا المناخ، وحقوق الإنسان، والثقافة الغربية مثل الديمقراطية، والليبرالية، وصناعة الأوساط السياسية، والاتفاقيات، والمعاهدات السياسية،** وكل ما هو خارج السلاح والصواريخ والدبابات التي أصبحت أيضًا تُستخدَم في الحروب السياسية لتحقيق أهداف سياسية دون القصف والغزو والمعارك التقليدية، بل من خلال نشرها وتطويرها ومحاصرة الدولة المستهدفة بها.

وقد أشار كتاب «الحروب السياسية الحديثة: الممارسات الحالية والاستجابات المحتملة» تأليف ليندا روبنسون والصادر عن مؤسسة راند للأبحاث، والذي اشترك في تأليفه مجموعة من الباحثين، إلى مفهوم **الحروب السياسية، وأنه يعني استخدام كافة الأصعدة الاقتصاديَّة والتكنولوجيَّة والعسكريَّة والثقافيَّة لمواجهة الخصوم دون اللجوء للحروب التقليديَّة،** وهو ما سوف نأتي على تفصيله حتى يتَّضح الأمر أكثر مع ضرب بعض الأمثلة الحديثة على هذا النوع من الحروب، وذلك بعد التعريج على فترة مهمة ساهمت في الإعجاب والانجذاب إلى هذا النوع من الحروب في تحقيق الأهداف والتنافس، وهي فترة الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفياتي.

لقد برعت أمريكا في الأعمال السياسية مع الاتحاد السوفياتي خلال الحرب الباردة، ومنها «مبادرة الدفاع الاستراتيجي» أو ما أطلق عليه حرب النجوم في عهد الرئيس الأمريكي رونالد ريغان، والتي أنهكت الاتحاد السوفياتي اقتصاديًّا وفاقمت أزماته الناتجة عن سوء مبدئه الاشتراكي ونظامه الاقتصادي. ومن قبل ذلك كان سباق التسلُّح الخبيث والمقصود بعد اتفاق خروتشوف وكينيدي عام ١٩٦٢م، إضافة إلى نشر قيم الليبرالية والديمقراطية والحرية في مناطق نفوذ الاتحاد السوفياتي، وقد عجَّلت تلك الأعمال السياسية بسقوط الاتحاد السوفياتي وتفكُّكه دون وقوع مواجهة عسكرية مباشرة مع المعسكر الغربي، ودون إطلاق صاروخ باليستي واحد رغم حجم الأسلحة التي كان يمتلكها الاتحاد السوفياتي وعدد الرؤوس النووية والغوَّاصات والقواعد العسكرية. وقد اعتُبرت تلك الحقبة مرجعية لإعادة تفعيل الأعمال السياسيَّة حديثًا ولكن على شكل أوسع ضمن ما أطلق عليه الحروب

السياسية، والفرق بينهما أن الأعمال السياسية لا يبرز فيها الاستهداف المباشر للخصم، وقد يغلَّف الهدف أحيانًا بخدع ومناورات ودسائس تسهم في نجاح العمل السياسي وابتلاع الطعم، فلم يكن الهدف من سباق التسلح وحرب النجوم الاستعداد لشن الحرب كما توهَّم الاتحاد السوفياتي، وإنما إنهاكه اقتصاديًّا، وهذا على عكس الحروب السياسيَّة التي يبرز فيها ذلك بشكل واضح للعدو حيث تتزامن الأعمال السياسية وتتزاحم وتجتمع لتشكل حربًا واضحة وصريحة كما يحصل حاليًا مع الصين، وإن كان الهدف غير مصرَّح به في بعض الأحيان؛ ولكنه واضح للدولة المستهدَفة بأنها تتعرض لحرب سياسيَّة موجَّهة ضدَّها.

ومن الأمثلة الحديثة البارزة على الحروب السياسية بين الدول الكبرى:

- الحرب السياسية الأمريكية مع الصين

تعتبر الحرب السياسية التي تشنُّها أمريكا على الصين؛ لمنعها من الظهور كقوة إقليمية ومنعها من تغيير أي جانب من جوانب النظام الدولي هي إحدى الحروب السياسيَّة الشرسة؛ حيث استخدمت فيها أمريكا أدوات فعَّالة تنوَّعت بين القيام بأعمال عسكريَّة وسياسيَّة لمحاصرة الصين، وتمثلت في:

• نشر **القواعد العسكريَّة** ومنظومات الدفاع الجوي في الدول المحيطة بالصين مثل اليابان وكوريا الجنوبية، وعسكرة المحيط الهادئ والهندي والبحار المحيطة بالصين بإرسال ونشر القطع والأساطيل الحربيَّة.

• عقد **تحالفات سياسيَّة وعسكريَّة** مع الدول المناهضة للصين والعمل على تقويتها وليس آخرها تحالف أوكوس الذي يهدف لتزويد أستراليا بغواصات نوويَّة، والعمل على تقوية كل من الهند وأستراليا واليابان وكوريا الجنوبية، إضافة إلى إشغال الصين بالملف الكوري النووي والنزاعات الإقليمية في بحر الصين الجنوبي.

• إثارة **ملفات حقوق الإنسان** والانتهاكات التي تحصل في التيبت وتركستان الشرقية وفي هونغ كونغ وخاصة الجرائم الوحشية وعملية التطهير العرقي التي ترتكب بحق مسلمي الإيغور.

• توجيه **ضربات اقتصاديَّة** تمثَّلت بالحروب التجاريَّة التي شنَّها ترامب بشكل واسع، والتي تمثَّلت في فرض ضرائب وجمارك بمئات المليارات على المنتجات الصينيَّة التي تدخل أمريكا، علمًا أن الواردات الصينيَّة السنويَّة لأمريكا تقارب الـ٥٠٠ مليار دولار؛ ما تسبب لها بآثار اقتصاديَّة موجِعة، وذلك بالتزامن مع إجبار الصين على رفع وارداتها من المنتجات الأمريكيَّة لتصل إلى ٢٠٠ مليار دولار سنويًا،

• استغلال **ملف التغير المناخي** والحد

من التلوث الكربوني وتخفيض الانبعاثات الكربونيَّة في الضغط على الصين؛ وذلك بمساعدة أوروبا لإجبار الصين على تقليل الانبعاثات الكربونيَّة والحدِّ من توليد الكهرباء من الفحم الحجري الذي تعتمد عليه الصين بنسبة ٥٠٪ في إنتاج الكهرباء والمتوفر بوفرة على أرضها شبه الخالية من النفط؛ حيث يبلغ استهلاكها اليومي من الفحم الحجري ١١ مليون طن وهو ما تسبب لها في اضطراب عجلة الإنتاج،

• عرقلة **تقدمها في مجال الذكاء الاصطناعي** وشبكات الجيل الخامس وحرمانها من أرباح هائلة في حال هيمنتها على هذا المجال، وشملت العرقلة الأمريكية الضغط على الكثير من الدول الغربية لاستبعاد شركة هواوي من تفعيل شبكة الجيل الخامس في بلدانهم ومطالبة كندا باعتقال مدير الشركة المالي منغ وانزهو بحجة انتهاك العقوبات الأمريكية ضد إيران، ومنع مبيعات شرائح السيليكون للصين ووضع خطة للاستغناء عن الصين في إنتاج المعادن النادرة والثمينة المستخدمة في صناعة السيارات والغوَّاصات والطائرات والصناعات الدفاعيَّة، وكذلك الاستغناء عنها في تصنيع أشباه الموصلات التي تستخدم في الصناعات الإلكترونية والرقائق؛ حيث تبنَّى مجلس الشيوخ الأمريكي في شهر حزيران/يونيو من العام الماضي خطة تقضي بتخصيص ١٧٠ مليار دولار لأغراض البحث والتطوير في مجال الذكاء الاصطناعي، ومنها تشجيع الشركات على إنتاج أشباه الموصلات في الأراضي الأمريكية، وعلَّق تشاك شومر زعيم الأغلبية الديمقراطية في مجلس الشيوخ على التصويت قائلًا: «إن هذا القرار هو من أعظم النجاحات بين الديمقراطيين والجمهوريين في العصر الحديث، وأنه من سوف يفوز في السباق على تقنيات المستقبل مثل الذكاء الاصطناعي سيكون القائد الاقتصادي العالمي»...

وهكذا حرَّكت أمريكا كل الأدوات السياسية الفعالة والممكنة بشكلٍ متتالٍ أو متزامن لمحاصرة الصين وضبطها وكبح جماحها وإعادتها إلى حجمها الطبيعي، وهي حرب سياسية بكل ما تحمل الكلمة من معنى، وعنوانها واضح دون مواربة أو مناورة، والصين تدرك ذلك وتحاول الردَّ على تلك الحرب والدفاع عن نفسها.

- **الحرب السياسيَّة الأمريكيَّة مع روسيا:**

من الأمثلة الواضحة على الحروب السياسية الحديثة التحرك الأمريكي في الملف الروسي المتداخل مع الملف الأوروبي والصيني؛ حيث تشنُّ أمريكا حربًا سياسية قوية على روسيا لتحقيق أهداف على مستوى روسيا ودول أوروبا وخاصة الغربية وكذلك الصين، وتستخدم في حربها التي اشتدَّت في الآونة

الأخيرة بذريعة الملف الأوكراني أدوات فعالة:

على رأسها **الأعمال العسكرية** من خلال حلف الناتو، ونشر منصات الصواريخ البالستية في الدول التابعة للحلف وخاصة القريبة من روسيا، وتعزيز وجوده في دول أوروبا الشرقية، وكذلك دعم القواعد العسكرية التابعة لها خارج إطار الحلف والموجودة في ألمانيا وإيطاليا وبلجيكا وغيرها من دول أوروبا، وهي بذلك تعزِّز هيمنتها في أوروبا بحجة حمايتها وتحاصر روسيا بذريعة تعزيز وجود حلف الناتو في القارة العجوز، وفي هذا السياق جاء الخبث الأمريكي في استغلال تخوُّف روسيا من الناتو وتوسُّعه ومناوراته على حدودها الغربية ومقابلته بالحشودات العسكريَّة الروسيَّة على حدود أوكرانيا أملًا في ترسيخ قواعد وتفاهمات واتفاقيات تحفظ أمنها وتحدُّ من توسع حلف الناتو، فتحركَّت أمريكا سريعًا لاستغلال الموقف بتسخين الساحة بدلًا من إعطاء روسيا ما تريد، وشرعت بإرسال أسلحة إلى أوكرانيا وإرسال جنود إلى أوروبا وتحريك حلف الناتو على حدود روسيا، وهي لا تريد من ذلك القيام بحرب عسكرية مباشرة مع روسيا «حرب أمريكية-روسية» وإنما تريد إشعال حرب بين روسيا وأوروبا تستغلها في الضغط على الصين لتبتعد عن روسيا وتهديدها بالعقوبات إن لم تفعل بحجة انتهاك روسيا للقانون الدولي والاعتداء على دولة أخرى، وكذلك جعل أوروبا تحت مظلة الحماية الأمريكيَّة.

وملف الطاقة، وبالتحديد الاعتماد الأوروبي بشكل كبير على الغاز الروسي؛ حوالى ٤٠٪ من ٩٠٪ من الغاز الوارد إلى أوروبا مصدره روسيا ومحاولة تغيير هذه المعادلة، وقد برز تفعيل هذه الأداة بشكل واضح بالضغط الأمريكي على دول أوروبا وخاصة ألمانيا - التي تستهلك حصة الأسد من الغاز الروسي المصدَّر لأوروبا - لعدم الاعتماد عليه ومحاولة دفعها لوقف خط نورد ستريم ٢ الذي يمر عبر بحر البلطيق ويتجاوز دول أوروبا الشرقية وينقل مجتمِعًا مع الخط الأول ما يقارب ٥٥ مليار متر مكعب من الغاز سنويًا، وقد ازداد هذا الضغط بذريعة الحشد الروسي على حدود أوكرانيا، وقد أزعج ذلك ألمانيا التي عانت من ضغوطات أمريكية سابقة لوقف المشروع خاصة بعد حادثة تسميم المعارض أليكسي نافالني، وطالبت ألمانيا في تصريحات كثيرة سابقًا وحديثًا وبشكل علني بعدم تسييس ملف الطاقة وفصله عن الملفات السياسية ومنها الأزمة الأوكرانية، ويشكل ملف الطاقة والاعتماد الأوروبي على الغاز الروسي بنسبة ٤٠٪ وهو ما يقدر بـ١٩٤ مليار متر مكعب من الغاز سنويًا مصدر إزعاج لأمريكا التي تريد فصل أوروبا عن الغاز الروسي واستبدال الغاز الأمريكي والقطري -الذي يشكل ٣٠٪ من الغاز المسال عالميًا - به، والهدف هو تحرير أوروبا

من الحاجة لروسيا وإبقاء حالة عدم الثقة والتعاون بين روسيا وأوروبا حاضرة لتبقى أوروبا في أحضان أمريكا تطلب الحماية منها وتشتري غازها - أعلنت إدارة بايدن في آب/ أغسطس عام ٢٠٢١م عن اعتزامها فتح ٣٢٠ كلم٢ في خليج المكسيك للتنقيب على الغاز،

وملف **العقوبات الاقتصادية الكبيرة** والموجعة والمؤذية للاقتصاد الروسي كما حصل بعد ضم شبه جزيرة القرم وما يحصل حاليًا في ظل الأزمة الأوكرانية.

وإثارة ملف **الحريات وحقوق الإنسان** في روسيا والدول الموالية لها مثل بيلاروسيا ودول آسيا الوسطى.

وإثارة **ملف قمع الحريَّات والمعارضة** كما حصل في استثمار ملف تسميم المعارض الروسي أليكسي نافالني وفرض عقوبات على روسيا والضغط عليها لإطلاق سراح المعارضين السياسيين لبوتين.

وتحريك ملف **الهجمات السيبرانية** وما يتبعه من ردات فعل.

وغيرها من الأدوات السياسية الفعالة التي لا يتَّسع المقام لذكرها...

وهكذا تدير أمريكا حربها السياسية مع روسيا بكل وضوح وتبجُّح، وتحقق الكثير من أهدافها دون أن ترسل جيشها وتتدخل بشكل مباشر وتخوض حربًا عسكرية بمعنى الحرب، **وهي إن نجحت في إشعال حرب بمعنى الحرب بين روسيا وأوروبا فهي حرب عسكرية لأوروبا وروسيا وحرب سياسية لأمريكا.**

وهكذا تتصارع الدول الكبرى فيما بينها للهيمنة على العالم، حيث تعمل أمريكا على أن تبقى هي القوة المهيمنة في أوروبا وآسيا وأفريقيا، وتعمل جاهدة ليبقى العالم تحت سطوتها ونفوذها السياسي والاقتصادي، وأن تبقى البشرية وثرواتها مسخَّرة لخدمتها وخدمة الرأسماليين فيها والدول الأخرى، وفي المقابل تريد أن يكون لها نصيب من النفوذ السياسي والهيمنة على الشعوب وحصة من الثروات البشرية المنهوبة. وفي هذا الصراع السياسي كل شيء مباح، ولا قيمة للناس وحياتهم ومصالحهم، ولا قيمة للبشرية جمعاء ولا حتى لشعوب تلك الدول المتصارعة، وكلما اشتدَّ هذا الصراع كانت الفاتورة أكبر على الشعوب، ولن يوقف هذا الصراع إلا دولة مبدئية تصارع الدول الكبرى وتصرعها، لا لتنهب الثروات وتستعبد الناس بل لتخلصهم من ظلم الرأسمالية وجشعها، ولتحمل لهم رسالة الإسلام التي تنجيهم من عذاب الآخرة وتجعلهم يعيشون بطمأنينة وسعادة في الحياة الدنيا يتنعَّمون بخيراتها وثرواتها وعدلها وعدل أنظمتها التي أنزلها الخالق سبحانه وتعالى، العالِم بما يُصلح حالهم وينظم عيشهم، ألا وهي دولة **الخلافة الراشدة على منهاج النبوَّة**، فاللهم عجِّل بها. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

المديونيات الخارجية: حبل الاستعمار الذي يطوق به الحكام رقاب الشعوب

د. يوسف أبو زر

عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير

في الأرض المباركة (فلسطين)

إن الربا كبيرة من الكبائر، وفعل قبيح إن كانت من الأفراد، ولكنها تكون جريمة بل خيانة عندما تقوم بها الدولة فتضيف إلى الفعل المحرم تشويه الاقتصاد، ورهن البلاد للأجنبي، وتحميل المجتمع عبئًا ترزح تحته الأجيال وتدفع ثمن ذلك بؤسًا وشقاءً وضنكًا في العيش كما هو الواقع في المديونيات الخارجية للبلاد الإسلامية، فهو إذًا جريمة مركَّبة، وليس من المبالغة القول إن الاستمرار في الوقوع في فخاخ المديونية هو جريمة تصل إلى درجة الخيانة العظمى؛ خصوصًا بعد عقود من التجارب عبر دول كثيرة من العالم، ومن سياسات الدول الدائنة والمؤسسات الدائنة بنتائجها المحسوسة الملموسة، بل وبنتائجها في بلادنا المستدينة ذاتها؛ إذ صارت مسألة مصيدة المديونيات الخارجية من بديهيات السياسة والاقتصاد، وصارت لعبة الدول الرأسمالية والدول الكبرى فيها لعبة مكشوفة؛ حتى صارت قضية المديونيات لا تُطرح على أنها وسيلة تمويل «تنموية» إلا عند الحكومات، بينما يجمع الكل من البقية على طرحها في سياق كونها من معيقات التنمية للبلدان المتخلِّفة اقتصاديًّا وتشويهًا لهياكل الاقتصادات فيها.

إن الناظر في طبيعة العلاقة بين الدول الضعيفة الـمَدينة والدول القوية الدائنة بمؤسساتها المالية يرى أنها علاقة غير متكافئة من باب أنها نهب وتسلُّط واستعمار من جهة الدول القوية، وهي تخلُّف وذل وتبعية من جهة الدول الـمَدينة؛ ولذلك كان استمرار تلك العلاقة وتفاقمها عوضًا عن السعي للتحرُّر منها هو ترسيخًا للتبعية، وهو ما تمارسه الأنظمة العميلة التابعة التي تمثِّل مصالح الاستعمار بدل العمل على تحصيل مصالح شعوبها.

لم تساهم الديون الخارجية التي قام بها حكام المسلمين في زيادة نسب النمو ولا في مؤشرات التنمية، ولم ترتقِ بالإنتاج، وعند التدقيق لم تزد تلك المديونيات إلا العبء والتخلُّف. ومن حيث إن اللجوء إليها ابتداءً إنما هو نتيجة للفشل أو لحلِّ مشكلات أساسها فشل الأنظمة وعقم السياسات، مرورًا بآثارها الفظيعة في الاقتصاد وانتهاءً برهن البلد للأجنبي وفقدان القرار السياسي.

أسباب المديونيات:

إن حاجة الاقتصاد في بلد ما للديون إنما تعبِّر عن مشكلة مسبَقة وتكشف عن أداء سيئ

للاقتصاد؛ إذ إن ذلك يعني أن المصادر والموارد الداخلية لا تكفي لتمويل بعض الاحتياجات ما يدفع البلد إلى الاستدانة، ويصبح وجود المشكلة أكثر تأكيدًا إن كانت تلك البلاد هي من البلاد التي تتربع على عرش الثروات الهائلة فوق الأرض وتحتها وتملك كل العناصر اللازمة للإنتاج، كما هو الحاصل في بلادنا الإسلامية، ويصير الأمر مزيجًا من الفساد والخيانة عند النظر بالمقابل إلى أموال الطبقة السياسية الحاكمة واستثماراتها الموجودة في الخارج.

ومن هنا فإن اللجوء إلى الاقتراض الخارجي ليس هو بداية المشكلة، وإنما هو حلقة فيها، وهو أمر ناتج عن مشاكل متسلسلة آخذ بعضها برقاب بعض، وهو بشكل أساسي ناتج عن تطبيق النظام الرأسمالي الفاسد بأيدي أنظمة فاسدة تعمل لصالح التسلُّط الغربي؛ حيث إن هذا النظام الرأسمالي المطبَّق في بلادنا يقوم على تسلُّط أصحاب رؤوس الأموال وسيطرتهم على موارد المجتمع وثروات البلد وملكياته العامة، ولا إشكال لديه في كون السيطرة للشركات الأجنبية والدول الاستعمارية؛ ما يترك فصول الميزانيات وأبوابها في ماليات البلد مكشوفة وفارغة من الإيرادات إلا من الفتات الذي تعمد الحكومات إلى تعويض النقص فيه من عرق الشعب وثمار جهده.

وإذا أضفنا إلى ذلك عقم السياسات واستفحال الفساد والسرقة، وغياب الرؤية الاقتصادية وتعطيل المتبقي من ثروات البلاد؛ ما يوجِد بمجموعه بيئة طاردة للاستثمار، فإنه من الطبيعي ألا نرى سوى حكومات عاجزة لا تملك المال وتعاني العجز في ميزانياتها فتموِّله بالديون الخارجية وبالقروض الربوية الماحقة، وتضيف إلى سفه تضييع الثروات ابتداء سفه الغرق في مستنقع القروض الأجنبية الربوية.

إن التخلُّف الاقتصادي في البلاد الإسلامية عمومًا أدى إلى العجز الدائم في الميزان التجاري وفي ميزان المدفوعات بينها وبين البلدان الصناعية؛ وذلك لضعف الناحية الإنتاجية لديها وكثرة وارداتها مقابل الصادرات البسيطة من الخامات الأوَّلية، كذلك أدى ضعف الناحية الإنتاجية إلى فقر تلك البلاد في التحصيل الضريبي، ومن ثم زيادة الشراسة فيه ما استجلب المزيد من الضعف؛ وهو الأمر الذي انعكس على عجز الميزانيات ونقص السيولة، وبالتالي الاستدانة من الداخل والخارج.

هندسة الديون وجدولة الديون:

لقد صيغت علاقة الديون الخارجية بين الدول والمؤسسات الدائنة على أساس أن تستمر تلك الديون وتتزايد، ولتكون حلقة من حلقات الربط الاستعماري وضمان تبعية الدول المدينة للدول الدائنة، كما صيغت لتكون سوقًا رابحة، والأهم أن تكون أداة للنفوذ السياسي والتبعية، وإن نظرة إلى طبيعة الحاجات والمشاريع التي تموِّلها تلك القروض الأجنبية تُري أنها تموِّل في العادة:

١- إما عجزًا في ميزانيات الحكومات.

٢- وإما مشاريع غير إنتاجية، أو مشتريات لا تدخل في نواحٍ إنتاجية، أو قطاعات ليست لها علاقة بالإنتاج المباشر، أو تمويلًا لبنى تحتية لا تبنى عليها نشاطات إنتاجية لضعف الإنتاج وبيئته أصلًا.

وهكذا تكون الديون في سبل لا تضمن السداد، بل لا تنتج إمكانيات السداد ولا تتضمن خططًا له أصلًا، وإن السداد وإن كان يتم فعلًا؛ ولكنه يجري على حساب المكوِّنات الاقتصادية الأخرى، بل صار يتمُّ السداد باقتراض جديد، أي سداد الدين الحالي بديون مستقبلية متزايدة، كما كان الحال في لبنان مثلًا، أما إنْ تعثَّرَ السداد أو تعذَّر فإن الدولة غالبًا ما تلجأ إلى الجدولة وهي إعادة الاتفاق على تسديد الديون بأسس جديدة، وهنا تبدأ فصول أخرى من المأساة.

وإذا كانت الديون سرطانًا في جسم الاقتصادات في البلاد الإسلامية، فإن الجدولة هي استفحاله، ذلك أن عدم القدرة على السداد مع الهندسة السابق ذكرها هي نتيجة طبيعية تمامًا تلي أزمة المديونية، وبالتالي الحاجة لما يسمى بالجدولة، وهنا تزيد الأمور سوءًا؛ حيث إن الجدولة هي طرق باب صندوق النقد والبنك الدوليين للقيام بدور الوسيط بين الدول المَدينة والدول الدائنة في نادي باريس عندما تعجز الأولى عن السداد، وهنا تبدأ رحلة شروط جديدة تختلف تمامًا عن الشروط الأصلية للديون (قروض البنك وصندوق النقد الدوليين لا تخضع للجدولة) حيث تتم عمليات الجدولة بخطوتين:

١- برنامج ما يسمى الإصلاح الاقتصادي والتصحيح الهيكلي، ويفرضها صندوق النقد، وهي إجراءات تقوم بها الدولة المَدينة، وغرضها ضمان قدرة الدولة المدينة على السداد، ويكون ذلك بغض النظر عن آثار تلك الإجراءات على مستقبل اقتصاد الدولة الـمَدينة ومعيشة مواطنيها.

٢- والخطوة الثانية هي موافقة دول نادي باريس (نادي الدول الدائنة) بعد تزكية صندوق النقد للدولة الـمَدينة لالتزامها بإجراءات البنك للإصلاح والتي تتمثل عادة بالتالي:

أ) تحرير الأسعار: حيث تُلزم الدولة الـمَدينة بتحرير أسعار السلع والخدمات، وأسعار الصرف والربا، وإلغاء الحد الأدنى للأجور. وغير خفي آثار ذلك على ارتفاع الأسعار والإضرار بعامة الناس.

ب) سياسة الخصخصة: ومعناه السعي لزيادة دور القطاع الخاص على حساب تراجع دور الدولة؛ وذلك عن طريق تصفية المشروعات العامة وبيعها للقطاع الخاص ليتولَّاها على أساس تجاري بهدف الربح، وهنا يكون الأمر على حساب تسريح العمالة ورفع أسعار السلع والخدمات من القطاع الخاص لرفع الأرباح بعد أن كانت بيد القطاع العام.

ج) تحرير التجارة الخارجية: حيث يطلب البنك الدولي تخفيض سعر صرف العملة

المحلية، وإلغاء القيود على المدفوعات الخارجية، وإلغاء اتفاقيات التجارة، والسماح بعمل الوكالات التجارية الأجنبية، وباختصار فتح البلاد أمام التجارة الأجنبية.

ومن ملخص الآليات السابقة يلاحظ أن المقصود هو الانفتاح وإعمال آليات السوق لدمج تلك الاقتصادات في الاقتصاد الرأسمالي العالمي أكثر فأكثر، دون أن تملك هذه الاقتصادات شيئًا ولو قليلًا من إمكانات المنافسة والاستفادة.

ويضاف لذلك أن برامج الإصلاح تتناول أدوات أخرى في السياسة المالية للبلد المَدين مثل:

- النفقات العامة والحد منها كرفع الدعم عن السلع الاستهلاكية.

- الضرائب المباشرة وغير المباشرة؛ وذلك لتحسين مدخولات الدولة المدينة وبالتالي قدرتها على السداد بزيادة تلك الضرائب.

- قوانين الاستثمارات والتي تمكن دخول الأجانب ورؤوس الأموال الأجنبية والتملُّك للأصول الثابتة في البلد بحجه الاستثمار.

وحسب الدراسات لم تقُدْ برامج الصندوق إلى تخفيف حدة المديونية بل أدت إلى العكس تمامًا، ففي دراسة أجريت في عام ١٩٩٨م، فإن ٣٦ دولة نامية طُبِّقت فيها هذه البرامج انتقل ثقل مديونيتها الخارجية قياسًا بالناتج المحلي الإجمالي من ٨٢٪ في منتصف الثمانينات إلى ١٥٤٪ في منتصف التسعينات. أما في الدول النامية المَدينة التي لم تطبق هذه البرامج فقد انتقل ثقل المديونية من ٥٦٪ إلى ٧٦٪ فقط في الفترة نفسها. بل إن إعادة الجدولة تقود إلى ارتفاع كلفة الدين، فعندما يؤجَّل مبلغ معين لمدة محددة، على الدولة أن تدفع فوائد إضافية عند حلول مواعيد استحقاق الديون المؤجلة إذ تسري الفوائد طوال فترة التأجيل. ودون الدخول في التفاصيل الفنيَّة فإن إعادة جدولة مبلغ معيَّن لمدة ١٥ سنة تقود إلى دفع ضعف هذا المبلغ على الأقل في نهاية هذه المدة، ناهيك عن أن الدولة المَدينة لا تستطيع أن تقدر بدقة المبلغ الذي ستدفعه فعلًا في فترة التأجيل؛ لأن أسعار الفائدة قد تكون معوَّمة، أي غير محدَّدة مقدَّمًا لارتباطها بأحوال السوق.

الديون تسير بشكل متزايد:

سارت المديونية في البلاد الإسلامية بشكل متزايد وذلك من خلال الأرقام عبر عقود من تاريخ المديونية في البلاد الإسلامية ولم تتناقص، وتكفي الإشارة إلى العقد الأخير وحده حيث ورد في دراسة للجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا) بعنوان «نقص السيولة وارتفاع الدين: عقبات على مسار التعافي في المنطقة العربية» أن العقد الماضي شهد زيادة غير مسبوقة في الدين العام في المنطقة العربية، وأن الدين العام في دول مجلس التعاون الخليجي تضاعف ٥ مرات تقريبًا من نحو ١١٧ مليار دولار في عام

٢٠٠٨م إلى ٥٧٦ مليار دولار في عام ٢٠٢٠م. كما استدان كل من الأردن وتونس ومصر في عام ٢٠٢٠م ما مجموعه ١٠ مليارات دولار في إطار آليات صندوق النقد الدولي للاقتراض قصير الأجل ومتوسط الأجل لسد حاجاتها الملحة للسيولة. وتكفي الإشارة في الطبيعة المتزايدة للمديونيات الخارجية إلى أن ديون مصر الخارجية ازدادت مثلًا من ٣٤,٩ مليار في عام ٢٠١٠م إلى ما يقارب ١٤٠ مليار دولار في نهاية ٢٠٢١م، وأن ديون مصر تضاعفت ثلاثة أضعاف مديونيتها منذ تسلم السيسي للسلطة عما كانت عليه قبل ذلك. ومثله لبنان إذ كانت قيمة الدين الخارجي للبنان عام ٢٠٠٥م بحدود ٢٢,٧ مليار دولار وذلك وفق أرقام قاعدة بيانات البنك الدولي، ووصلت إلى ما يقرب من ٩٤ مليار دولار في نهاية عام ٢٠٢١م، ومثل ذلك يقال عن مديونيات الأردن والسودان والمغرب والبحرين وتونس والعراق وتركيا وباكستان وغيرها من البلدان الإسلامية، ولقد وصل الحال إلى أن تكون الاستدانة الجديدة هي لأجل سداد الديون كما فعلت لبنان ومصر عندما طرحت سندات ديون لتمويل مدفوعات مستحقة.

وسواء أكانت أسباب الزيادة تتمثل في طبيعة المديونيات الخارجية التي من شأنها التزايد نظرًا لتكلفة الديون من حيث خدمة الدين بالأقساط والفوائد، أو اتفاقيات الجدولة، أم في طبيعة المشاريع غير الإنتاجية، أو من حيث ضعف الأداء الاقتصادي وضعف البنية الإنتاجية وقلَّة الصادرات وقلَّة نسب النمو، فإن مردَّ ذلك كله ووزر ذلك كله إنما يعود إلى الأنظمة الحاكمة وسياساتها.

الآثار الاقتصادية للديون على اقتصاد المجتمعات وعيش الناس:

إن أول ما تعنيه المديونية عندما يحين موعد السداد وتبدأ السنوات الطويلة العجاف هو أن اقتطاعًا هائلًا من الإنفاق الذي كان ينبغي توجيهه لرعاية الناس سيكون لسداد الديون وفوائدها، وهذا الاقتطاع إنما اقتطع من نفقات التعليم والرعاية الصحية وكافة أوجه الإنفاق، وثاني ما تعنيه المديونية أن تحصيل مبالغ السداد سيكون مقتطعًا من جهد الناس على شكل ضرائب، وهذا الأمر يدور في حلقة مفرغة؛ إذ إن المزيد من الضرائب اللازمة لسداد الديون تضعف الاقتصاد، والذي بدوره يضعف التحصيل الضريبي وهكذا، أو هو يمتص الزيادة في الإنتاج على افتراض حصولها. وعلى سبيل المثال، ولإدراك حجم الاقتطاعات من الديون، ذكر وزير المالية المصري في مقابلة له على إحدى المحطات في عام ٢٠١٩م أن خدمة الدين المطلوب للتسديد لذلك العام هو ٥٤١ مليار جنيه فوائد للدين، و٢٧٦ مليار هي الأقساط، بمجموع ٨١٧ مليار جنيه بينما مجموع إيرادات وزارة المالية كلها هو ٩٨٩ مليار

جنيه، وهو يشمل خدمة الديون الخارجية بحصتها الكبيرة، ومن الجدير بالذكر أن مصر سدَّدت في العام المالي (٢٠١٥-٢٠١٦)م قرابة الـ٩ مليار دولار، بما يعادل ٧٠ مليار جنيه مصري آنذاك، وهو المبلغ الذي يفوق الحد الأدنى اللازم للالتزام بنسب الإنفاق الحكومي على التعليم والصحة والبحث العلمي، والتي أقرها الدستور وتجاهلتها الحكومة. ومثلًا كان على تركيا أن تسدِّد نحو ١٦٨ مليار دولار في العام الماضي بالعملة الصعبة، وهو الأمر الذي أدى إلى انهيار الليرة التركية وارتفاع الأسعار.

إن هذه الديون السابق ذكرها والناتجة عن سوء في الرعاية والسياسة أوجد للجيل الحالي كما للأجيال التي تليه أعباء يدفعون أثمانها من حياتهم ونمط عيشهم وفقرهم وبؤسهم اليومي، فالأنظمة قد استدانت وأغرقت البلاد في الديون؛ ولكن السداد هو على حساب أقوات الناس واقتصاد البلد، ولولا النهب والفساد وسوء الرعاية والحكم بالنظام الرأسمالي لما احتاجت البلد إلى تمويل خارجي.

إن هذه الحالة أوجدت اقتصادات تتحكم في مفاصلها الدول الدائنة ومؤسساتها المالية العالمية، وأوجدت في ماليات الدول المستدينة التزامًا أكبر تجاه الدائنين وليس تجاه الشعوب، وبالتالي لم يكن غريبًا أن نرى انهيار عملات، وارتفاع أسعار، واضطراب أسواق، وفقدان الناس لمدَّخراتهم كما كانت الحال في تركيا عندما استحق من سداد ديونها عشرات المليارات في العام الواحد بالعملة الصعبة، وكما هو حال لبنان الذي انهارت عملته فسجن النظام أموال الناس وحاصر مدخراتهم.

وأخيرًا:

فإنه إذا كانت المديونيات تؤدي في بلدان العالم إلى رهن القرار السياسي للدول المدينة وتفقدها استقلالها، فإن الحالة في البلاد العربية تكاد تكون معكوسة إذ إن الأنظمة العميلة التابعة كانت هي الأداة التي رهنت بلدانها ومقدراتها وقراراتها بيد الغرب المستعمر والدول الكبرى عندما رضيت بالعمالة لتلك الدول وأدخلت بلدانها مع سبق عمد وإصرار وإدراك ومعرفة في مصيدة المديونيات، ولا زالت تلك الأنظمة تسعى في زيادة القبضة ولفِّ الحبل حول عنق شعوبها بما تقوم به من زيادة هائلة في المديونيات أرهقت البلاد والعباد، ومن هنا كان الخلاص من مشكلة المديونية، ذلك الحبل الذي يطوق المجتمعات والاقتصادات في بلداننا الإسلامية لتختنق، هو الخلاص من تلك الأنظمة كخطوة أولى على طريق إيقاف الاستنزاف، **وإقامة دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوَّة** على أنقاضها، خلافة تطبق النظام الذي يرضي الله فتطبق شرع الله وتقطع دابر الربا من حياتنا كما تقطع يد الاستعمار من العبث في مقدرات الأمة... نسأل الله عز وجل أن يكون ذلك قريبًا. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

بلايا النظام الرأسمالي من ناحية واقعية

حامد عبد العزيز

النظام الرأسمالي أوهن من بيت العنكبوت:

النظام الرأسمالي هو منظومة متشابكة من الخطايا والآثام ابتُليت به البشرية، فيه السلطة والجاه وحتى الحياة الكريمة هي فقط لأباطرة المال وأصحاب السلطة، فالدولة هي فقط لهم الحارس الأمين. أما ما يمكن تسميته إنجازات للنظام الرأسمالي، فدافعها المال وغايتها الأرباح وليس الإنسان. وأما رعاية الدولة الرأسمالية لعموم الناس ودعمها لهم فهو أمر ثانوي وليس أصيلًا فيها، بل هو أمر يأتي لتشغيل ماكينة الأرباح باستمرار الطلب، وكذلك لتلافي الثورة على تلك المنظومة. والدول الرأسمالية كالبيوت الضخمة الفخمة الجميلة ولكنها متصدعة لا يسترها إلا الصيف، حتى إذا جاء الشتاء ظهرت الصدوع وسالت الشقوق على رؤوس أصحابها وظهر للعيان عيب البنيان وضعف الأركان، بل هي أوهن من بيت العنكبوت.

وإذا كانت هذه الصدوع قد ظهرت في الدول القوية الغنية في أوروبا وأمريكا، فهي في النسخة الممسوخة من الدول الرأسمالية في بلداننا أظهر وأشد. لقد بان عوار النظام الرأسمالي وانكشف للناس فساده وتهاوي بنيانه الفكري؛ خاصة وقد استطاع حزب التحرير هدم الأسس العقدية والفكرية للرأسمالية، تحديدًا في إصداره الأخير «نقض الفكر الغربي الرأسمالي»، ونحن هنا لن نعيد ما سطَّره حزب التحرير في كتابه المميز هذا، فلن يكون مقالنا هذا نقضًا آخر للرأسمالية من ناحية فكرية، بل سيكون نقضًا لها من ناحية عملية واقعية. فالإسلام مبدأ كما الرأسمالية، ولكنه من عند رب العالمين؛ ولذا فهو المبدأ الوحيد الصحيح في الدنيا، وهو عقيدة عقلية مقنعة للعقل وموافقة للفطرة، ينبثق عنها نظام صحيح يعالج كل مشاكل البشر في كل زمان ومكان، وهو ليس صحيحًا فقط من ناحية فكرية بالدليل والبرهان، بل لقد أثبت نجاحًا منقطع النظير عندما طُبق في الأرض لأكثر من ثلاثة عشر قرنًا من الزمان، كان فيها الشمس المضيئة والقمر المنير للبشرية. ونحن في السطور القادمة سوف نركِّز على فشل النظام الرأسمالي في تطبيقاته على أرض الواقع، وسوف نبيِّن فساد معالجاته ومناقضته لفلسفته التي يقوم عليها، وكيف كان بلاءً على البشرية.

نشوء المبدأ الرأسمالي كردة فعل:

إن الناظر في كيفية نشوء النظام الرأسمالي وتشكُّله يرى أنه كان سقيمًا في أساسه وفي طريقة معالجاته من أول يوم؛ حيث كان أساسه ردّة فعل غرائزية على الظلم، ثم كان حلًّا غير مبنيٍّ على العقل عندما توصَّل المفكرون ورجال الدين إلى الحلّ الوسط في بناء النظام الجديد، فـ(الحلُّ الوسط) ليس حلًّا مبنيًّا على عقل سليم؛ لأنه توسط بين أمرين متناقضين متنافرين متباعدين!

لقد كان من أبرز النظم في المبدأ الرأسمالي النظام الاقتصادي الذي يهدف إلى تكثير رأس المال في المجتمع بأية وسيلة دون انضباطٍ بأخلاق ولا قيم، وفي الوقت نفسه ينظر إلى توزيع الثروة في المجتمع عن طريق أداةٍ وحيدة هي (جهاز الثمن). وهذا الأمر ولّد أمورًا كثيرة في المجتمع جلبت الدمار والخراب في داخل المجتمعات الرأسمالية وخارجها؛ حيث كانت الشركات العملاقة والبنوك التي تنهب ثروات الناس تحت عنوان حرية التملك وتنمية الملك والانتفاع به، وكان التفاوت الطبقي الكبير نتيجة سيطرة الأغنياء على الثروات، فأصبح نسبة ١-٢٪ في المجتمعات الرأسمالية يسيطرون على أكثر من ٩٨٪ من ثروات المجتمع، و٢٪ من الثروات الباقية توزّع على ٩٨٪ من باقي الشعب! أما في سياسة الدول الخارجية فكان الاستعمار وكانت الحروب، وكان مصّ دماء الشعوب الضعيفة، وانتشرت فوق ذلك الجرائم والأمراض الفتَّاكة كالإيدز نتيجة ارتباط عقول الناس بالمنافع والأموال وعدم ارتباطهم بالقيم والأخلاق، فأصبح مرض الإيدز ينتشر بالملايين في مجتمعات الغرب، وأصبحت الجريمة تقاس بالثانية الواحدة في أرقى عواصم الغرب في نيويورك وغيرها.

أزمات لا تنتهي للنظام الرأسمالي:

لذلك نشأت المشاكل والأزمات في النظام الرأسمالي منذ نشأته وتكوُّنه، وصارت تكبر وتزداد مع امتداد هذا النظام وتوسُّعه، فكان من مظاهر هذه الأزمات - في أوائل النشوء في القرن التاسع عشر - أزمة الأجور وساعات العمل في أمريكا حيث استمرت إضرابات العمال فترةً طويلة حتى توصّلوا بعدها إلى حلّ وسط في تحديد الأجور وساعات العمل. وكانت بعد ذلك أزمة الكساد العظيم في بدايات القرن العشرين سنة ١٩٢٩م. وكانت أزمة الحروب الطاحنة للسيطرة على الأسواق ورؤوس الأموال فكانت الحرب العالمية الأولى التي حصدت في صفوف العسكر عشرة ملايين قتيل وعشرين مليون جريح. بينما حصدت الحرب أرواح ما بين ٥ و١٠ ملايين مدني، وَفقًا لتقديرات بعض المؤرّخين، بينما بلغ القتلى في الحرب العالمية الثانية ٥٥ مليون ضحية

في أوروبا وآسيا.

ثم كانت أزمات الصراع الدولي الساخن والبارد بين الدول العظمى، وتسابُق التسلُّح من أجل الردع وإنفاق المليارات على ذلك، وتخلَّل هذه المرحلة الاستعمارُ العسكريّ لكثير من بلاد العالم من أجل السيطرة على الموادّ الخام والتحكُّم في الأسواق الجديدة، ثم حصلت في بدايات القرن الواحد والعشرين أزمة الرهن العقاري، وامتدَّت كالنار في الهشيم حيث جلبت على العالم الدمار الاقتصادي وخسارات تقدر بأكثر من ٦٠ تريليون دولار حتى سنة ٢٠١١م، عدا عن انهيارات في مؤسسات مالية كبيرة، وازدياد عدد الفقراء وازدياد عدد المهدَّدين بالموت جوعًا، وما زالت الأزمة تضرب هنا وهناك، وتنفلت نارها هنا وهناك، ويحاول قادة الغرب إطفاءها والسيطرة عليها لكن دون جدوى!!..

ويُعَدّ الاستعمار بكافة أشكاله هو الوجه الحقيقي للمبدأ الرأسمالي، وهو الطريقة الهابطة الشريرة لنشره في العالم، وهو أداة السيطرة على مقدرات الشعوب وثرواتها. فلولا الاستعمار لما استطاعت الدول الرأسمالية الصمود سياسيًا ولا استطاعت تحقيق أي نمو اقتصادي، فقد نهبت الدول الرأسمالية أفريقيا وأجزاء عظيمة من آسيا، كما قامت أمريكا منذ قرون باستعمار أمريكا الجنوبية واللاتينية؛ ما أمدَّ الدول بثروات هائلة، وسمح لها هذا كله بأن تعطي شعوبها رفاهية محدودة تجعلهم يرضَون عن نظامها بشكل أو بآخر، وأطال ذلك في عمرها على حساب الشعوب المستعمرة المقهورة.

تلك هي حضارة الغرب، ارتبطت بالاستعمار، وقامت في أحضانه، ثم حاولت أن تفرض نفسها على العالم كله، ومنه البلاد الإسلامية في فترة ضعف وتخلف واجهت فيها تحدِّيًا خطيرًا، قوامه التبعية بالنفوذ العسكري والسياسي.

فكرة الحرية وما أنتجته من بلايا:

كان لفكرة الحرية الشخصية التي اهتمَّ بها المبدأ الرأسمالي وأعلى من شأنها لدرجة التقديس نتائج كارثية في المجتمعات الغربية تنذر بتفتت وانحلال تلك المجتمعات، والأرقام خير شاهد على ذلك؛ فقد شَهِدت أمريكا في عام واحد ما يقرب من ٤٠,٠٠٠ حالة اغتصاب بالقوة، وفي عام واحد ١٠,٠٠٠ حالة اغتصاب للأطفال تحت ١٢ سنة، ٢٠٪ منها تم بواسطة الآباء. وأعلن مركز مكافحة الأمراض والوقاية الأمريكي أن ٣٦٪ من المواليد في أمريكا جاؤوا من الزنا، وهي أعلى نسبة في تاريخ أمريكا منذ نشأتها. وأعلن مكتب الإحصاء الحكومي في فرنسا أن عدد الأطفال الذين وُلدوا من الزنا في ٢٠٠٦م تجاوز عدد الأطفال الذين وُلدوا

لأبوين متزوِّجين، وذلك لأول مرة في تاريخ البلاد. وذكر المكتب أن من بين ٨٣٠ ألف مولود في فرنسا عام ٢٠٠٦م ولد ٥٠,٥٪ لأبوين غير متزوجين، مقابل ٤٨,٤٪ في عام ٢٠٠٥م، وأقل من ٤٠٪ قبل ١٠ سنوات.

وأعلن المركز القومي للإدمان وتعاطي المواد المخدِّرة التابع لجامعة كولومبيا الأمريكية أن نسبة من يشرَبون الخمور من الطلبة ما بين عام ١٩٩٣م وحتى عام ٢٠٠٥م وصلت إلى ٧٠٪، وأن ٩٧ ألف حالة اغتصاب أو هجوم جنسي قد حدثت نتيجة استخدام الخمور أو المخدرات في جامعات أمريكا، وذلك من عام ٢٠٠١م إلى ٢٠٠٥م فقط.

وأوردت إحدى الدراسات الصادرة في واشنطن، أعدها مركز الضحايا الوطني ومركز الأبحاث ومعالجة ضحايا الاغتصاب - أن ثمانيَ وسبعين امرأةً يتعرَّضن للاغتصاب كل ساعة، وتضيف الدراسة أن ١٣٪ من النساء في أمريكا تعرَّضن للاغتصاب على الأقل مرة واحدة في حياتهنَّ.

وكشف تقرير نشرته محطة CNN الإخبارية الأمريكية في الأول من كانون الثاني/يناير ٢٠٠٢م عن انتشار ظاهرة تجارة الرقيق من النساء حول العالم؛ لاستخدامهنَّ في الأعمال الجنسية المحرَّمة، وقد أكَّد هذا التقرير أن هناك مائة وعشرين ألف امرأة من أوروبا الشرقية وروسيا والدول الفقيرة حولها يتمُّ تهجيرهنَّ إلى أوروبا الغربية لهذا الغرض الدنيء، وأكثر من ١٥ ألف امرأة يتم إرسالهنَّ إلى أمريكا وأغلبهن من المكسيك. وتُباع النساء القادمات من دول شرق آسيا في أمريكا بستة عشر ألف دولار للواحدة؛ ليتمَّ استخدامهنَّ بعد ذلك في بيوت الدعارة والحانات.

كيف عجز النظام الرأسمالي عن معالجة مشكلة الفقر:

ينطلق الرأسماليون في نظرتهم للفقر من نظرتهم للمشكلة الاقتصادية التي يسعون لحلِّها ويسمُّونها نظرية الندرة النسبية للسلع والخدمات، والتي تنص على كثرة الحاجات وقلة وسائل إشباعها، أي عدم كفاية السلع والخدمات الموجودة في هذا الكون لإشباع حاجات الإنسان المتجددة والمتزايدة إشباعًا كليًّا. فالمشكلة عندهم إذًا هي الحاجات والموارد وليس الإنسان، أي هي توفير الموارد لإشباع الحاجات، وليس إشباع حاجات كل فرد من الأفراد.

ومن هذه النظرة التي تقوم على أساس الندرة النسبية للسلع والخدمات، وأن الحاجة هي الرغبة، وأن هذه الخدمات تتغير تبعًا للتطور المادي والمدني، عرَّفوا الفقر بأنه عدم القدرة على إشباع الحاجات من سلع وخدمات، وأنه يختلف باختلاف الأمم والأشخاص، فهو

شيء نسبي اعتباري، فالأمم المنحطَّة تكون حاجات أفرادها محدودة في السلع والخدمات الضرورية، فيكون الفقر فيها عدم القدرة على الحصول على هذه السلع والخدمات. في حين إن الأمم المتمدنة المتقدِّمة ماديًّا تكون حاجات أفرادها كثيرة يحتاج إشباعها إلى سلع وخدمات أكثر، فيعتبر الفقر فيها غير الفقر في البلدان المتأخرة، فمثلًا يعتبر عدم إشباع الحاجات الكمالية في أوروبا وأمريكا فقرًا، في حين لا يعتبر عدم إشباع الحاجات الكمالية مع إشباع الحاجات الأساسية في مصر والعراق مثلًا فقرًا، وهذا خطأ محض لأنهم جعلوا الفقر شيئًا اعتباريًّا وليس حقيقيًّا، وهذا مخالف لواقع الفقر الذي لا يختلف باختلاف زمان أو مكان، أو بتقدم مدني أو انحطاط، ولأن التشريع أي تشريع موضوع للإنسان فلا بد أن ينظر للإنسان عند وضع المعالجات للمشاكل بوصفه إنسانًا يتكون من حاجات عضوية وغرائز لا بوصفه فردًا.

ولم تقف الرأسمالية عند هذا الخطأ في تعريف الفقر، بل إنها أوجدته وساعدت في تكريسه عند نظرتها إلى توزيع الثروة؛ إذ يرون أنها تتم ضمن طريقتين: الأولى حرية التملك، فبعد توفير الموارد والثروات لمجموع الناس، يترك لهم حرية التملك، دونما تحديد لأسباب معينة له، أو إشارة إلى طرق تنمية معينة له، وهذا حتمًا يؤدي إلى تركيز الثروة وحصرها في أيدي فئة قليلة، وحرمان فئات أخرى منها، أي يؤدي إلى سوء توزيع الثروة، فشاعت الاحتكارات الرأسمالية التي تعدَّت سيطرتها حدود المجتمعات الرأسمالية إلى باقي أنحاء العالم، فاستبدَّ المنتجون بالمستهلكين وشاع الفقر والحرمان.

أما الطريقة الثانية عندهم لتوزيع الثروة فهي الثمن، فالثمن عندهم هو المنظم لتوزيع الثروة على أفراد المجتمع، فيقولون إنه القيد الذي يجعل الإنسان يتوقف عن الحيازة والاستهلاك عند الحد الذي يتناسب مع موارده. وبذلك يكون الثمن بارتفاعه لبعض السلع وانخفاضه لبعضها، وتوفر النقد عند البعض وعدم توفره عند الآخرين، يكون منظِّمًا لتوزيع الثروة على المستهلكين، ويكون نصيب كل فرد من ثروة البلاد ليس بمقدار حاجاته الأساسية، وإنما هو معادل لقيمة الأعمال التي ساهم بها في إنتاج السلع والخدمات، أي بمقدار ما يحوز من مال.

وبهاتين القاعدتين حرية التملك والثمن يكون النظام الاقتصادي الرأسمالي قد قرَّر أنه لا يستحقُّ الحياة إلا من كان قادرًا على المساهمة في إنتاج السلع والخدمات أو امتلاكها بأي سبب يناسبه، أما من كان عاجزًا لأنه خُلِقَ ضعيفًا، أو لضعف طرأ عليه، فلا يستحق أن ينال من ثروة البلاد ما يسدُّ حاجاته. وكذلك يستحق التخمة والسيادة والسيطرة

على الغير بماله كل من كان قادرًا على ذلك؛ لأنه خُلِقَ قويًا في جسمه أو عقله، أو كان أقدر من غيره على الحيازة بأي طريق من الطرق.

اضطهاد العرقيات الصغيرة في بلاد الغرب برغم ادِّعاء الغرب رفعِ شعار الحرية والمساواة:

«**لا أستطيع التنفس**» جملة قصيرة واضحة قالها الأمريكي جورج فلويد قبل مقتله على يد ضابط شرطة مدينة مينيابوليس تُظهر الوجه الحقيقي للرأسمالية بلا مساحيق تجميل، وليس هذا خاصًّا بأمريكا وحدها، بل تكاد ترى هذه العنصرية ماثلة في كل البلاد الرأسمالية. فالغرب لم يكن في يوم من الأيام سفيرَ سلام إلى العالم، ولا حاملًا لتباشيرَ خيرٍ وعدل بين الناس. فأمريكا ومنذ فجر تأسيسها سطَّرت تاريخًا أسود قائمًا على العنصرية والاضطهاد. فكان أول ضحايا مبادئها القذرة سكان البلاد الأصليين من الهنود الحمر الذين أبيدوا إبادات جماعية فلم يبقَ من عِرقهم إلا قلَّة قليلة ما زالت شاهدًا حيًّا على همجية نظامهم الدموي حتى اليوم. ولم تكن يومًا تُخفي عنصريتها تجاه فئات من الناس، فها هي تدرس في صلب مناهجها التربوية عقيدة النظرية الداروينية التي تتمحور حول فكرة أن العرق الأبيض هو أرقى تطورًا من باقي الأعراق، وأن ذوي البشرة السوداء أقرب إلى الحيوانات في صفاتهم، مثل شكل الجبهة البارزة إلى الأمام وتفلطح الأنف ولون البشرة الداكن. وأن الأعراق الراقية لن تتابع تطورها إلا من خلال إبادة الأعراق المنحطة. ويقول داروين في كتابه «تحدُّر البشرية»: «في فترة مستقبلية ما، ليست ببعيدة إذا ما قيست بالقرون، ستقوم الأجناس المتحضِّرة من الإنسان وبشكل شبه مؤكَّد بإبادة واستبدال الأجناس الهمجية عبر العالم».

وليس الغرب كله ببعيد كذلك عن فكر الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو مؤلف كتاب روح القوانين حيث يقول: «إن لنا حقًّا مكتسبًا في اتخاذ الزنوج عبيدًا، وإن شعوب أوروبا بعد أن أفنت سكان أمريكا الأصليين لم يعد أمامها إلا أن تستعبد شعوب أفريقيا لكي تستخدمها لاستغلال هذه الأقطار الفسيحة، فما هذه الشعوب إلا عناصر سوداء البشرة من قمة الرأس إلى أخمص القدمين، ولا يمكن أن الله جلت قدرته يضع روحًا طيبة في مثل هذا الجسم الحالك السواد». وانظروا معي إلى معنى كلمة أسود في معجم «ويبستير»: فالأسود هو «الملطَّخ للغاية بالقذارة، القذر، الملوث، الشرير، سبب الكوارث». والآن بدأ الغرب يسفر عن وجهه القبيح تجاه المسلمين الذين يعيشون في الغرب والتي بدأت الممارسات العنصرية تلاحقهم، فحياتهم مهدَّدة ومساجدهم معرَّضة للهجوم والحرق وقتل من فيها في أي وقت، والحملة على الحجاب مستعرة، ومحاولات الدمج على قدم

وساق والشعار المرفوع الآن هو اندمج أو ارحل.

فمما لا شك فيه أن التمييز العنصري أمر حتمي في الثقافة الغربية. يقول الشيخ الجليل تقي الدين النبهاني رحمه الله في كتاب نظام الإسلام: «إن الإنسان يكيِّف سلوكه في الحياة بحسب مفاهيمه عنها، فمفاهيم الإنسان عن شخص يحبُّه تكيِّف سلوكه نحوه على النقيض من سلوكه مع شخص يبغضه وعنده مفاهيم البغض عنه، وعلى خلاف سلوكه مع شخص لا يعرفه ولا يوجد لديه أي مفهوم عنه، فالسلوك الإنساني مربوط بمفاهيم الإنسان»، فهذا الكلام يفسر واقع التمييز العنصري داخل المجتمع في أمريكا وأوروبا، وأن سلوك الناس في الغرب إنما هو مرتبط بمفاهيم الأعماق في تلك المجتمعات، فالعنصرية عندهم ليست مجرد ممارسة خاطئة، بل هي منبثقة من مفاهيم فكرية.

إن ما يجري في أمريكا وأوروبا ليس نتيجة تطبيق سياسات خاطئة، وليس نتيجة إجرام مجرمين ولا فساد حكام فحسب، وإنما هو فساد وإجرام مبدأ. هذا المبدأ الآيل للسقوط والذي يواجه تحديات داخلية وخارجية. فمن الخارج كورونا وصراعات دولية، ومن الداخل انقسام عنصري بين الأبيض وسائر الألوان، وانقسام طبقي بين الأغنياء وسائر البشر، وانقسام فكري بين يمين ويسار. وأمريكا بلا شك هي الممثل الأبرز لهذا المبدأ، وهم يقرُّون أن المشكلة مبدئية. فالرئيس الأمريكي السابق ترامب قال: «لن نسمح للغوغاء الغاضبين بتدمير ديمقراطيتنا» يقول هذا الكلام مع أن المحتجِّين يدينون بالدين الرأسمالي نفسه الذي يحمله ترامب؛ ولكنهم يدركون أن المشكلة إن تفاقمت فإنها تهدد المبدأ ككل.

إن البشرية جمعاء لا خلاص لها إلا بالإسلام، فليس لدى غير المسلمين أفق في تغييرٍ حقيقيٍّ جذريٍّ ينشر العدل بين العربي والأعجمي، ويلغي الفارق بين الأبيض والأحمر والأصفر والأسود. فهذا سيِّد النبيين وخاتم المرسلين يكرم بلالًا الحبشي ويصطفيه يوم فتح مكة عند دخوله الكعبة المشرَّفة قائلًا له: «**ادخل يا بلال، فلا يصلينَّ معي أحد في جوف الكعبة إلا أنت**». فالإسلام صهر كل المجموعات البشرية في بوتقته دون تمييز، وبقي أثر هذا الانصهار واضحًا حتى يومنا هذا رغم التردِّي الذي نعيشه. فالإسلام هو وحده القادر على تخليص البشرية من النظام الرأسمالي وبلاياه التي تعاني منها البشرية كلها. وإن عودة الإسلام ممثَّلًا في دولته **دولة الخلافة على منهاج النبوة** بات قريبًا بإذن الله، **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.** ■

بسم الله الرحمن الرحيم

مآزق استراتيجية تؤدي إلى تراخي قبضة أمريكا عن بلاد المسلمين... فهل تؤدي إلى انهيار حضارتها وقيام حضارة الإسلام، بإقامة دولة الخلافة؟

عصام الشيخ غانم

هذا المقال يناقش ثلاثة مآزق استراتيجية تعاني منها أمريكا اليوم، وكلها على علاقة مباشرة أو غير مباشرة بقيام الخلافة الإسلامية:

المأزق الأول فشل الحرب الأمريكية على الإسلام، وعدم قدرة أمريكا على إتمام هذه المهمة الدولية.

والمأزق الثاني انشغال أمريكا بالمنافسة الجدية مع الصين لاحتواء صعودها.

والمأزق الثالث الانقسام الداخلي الكبير الذي تعاني منه أمريكا. والنتيجة الحتمية لهذه المآزق هي ارتخاء قبضة أمريكا عن البلاد الإسلامية، وبروز التمرد الاستراتيجي الذي يشكل ظرفًا مساعدًا وقويًا لإقامة الخلافة الإسلامية الحقيقية التي يعمل لها حزب التحرير في بلد، ثم الانطلاق منه لتوحيد سائر البلاد الإسلامية في دولةٍ واحدة

مقدمة

يرصد المفكرون والسياسيون في الغرب حالة من «عتبة الغليان الثاني» يمكن أن تجتاح المنطقة الإسلامية بعد «الغليان الأول» المتمثِّل فيما أطلق عليه «الربيع العربي»، ومن ذلك ما نقلته الجزيرة نت ٢٠٢١/١٢/٢٤م عن الكاتب البريطاني الشهير ديفيد هيرست قوله: «**إن الموجة الأولى من احتجاجات الربيع العربي التي اندلعت عام ٢٠١١م مرت، لكن جمرَها ما زال متَّقدًا ويحترق في الشوارع وفي قلوب وذكريات الملايين**» وذلك في معرض قراءته للكيفيات التي أُفشل فيها هذا الربيع، وأنه لم يحرز أي نتائج لصالح الشعوب التي دفعتها القوى الغربية خاصة أمريكا إلى أتون الحرب الأهلية وتدمير البلاد تارةً، وتارةً أخرى إلى محاولة ترسيخ أنظمة سياسية هي أكثر سوءًا من سابقاتها قبل «الربيع العربي» كما في مصر.

وعندما انسحبت أمريكا نهاية آب ٢٠٢١م من أفغانستان وانهار الجيش الأفغاني وتبخَّر، فإن كبار الساسة في أمريكا والغرب قد أخذتهم الرجفة ليس فقط من الأوضاع الأفغانية، بل من احتمال أن تنهار أدوات الغرب من رؤساء وأحزاب وقوى في البلاد الإسلامية بشكل مفاجئ وشامل كما حصل في أفغانستان. ويقف الغرب اليوم أمام هذه المخاطر

الجسيمة على مستقبله والمتمثِّلة في حالة الانفلات في المنطقة الإسلامية، وهو أي الغرب وللمرة الأولى يظهر اليوم لا حول له ولا قوة، ولا يجد طريقًا لوقف ذلك، بل صار يتصرف بعصبية تساعد على تقريب الانهيار الشامل.

المأزق الاستراتيجي الأول: فشل الحرب الأمريكية على الإرهاب

يمكن القول بأن أمريكا في حربها على الإسلام تحت ذرائع الإرهاب قد فشلت فشلًا تامًا، وقد تمثَّل هذا الفشل بانكشاف حقيقة ضعفها ومحدودية قدراتها، وأنها تكيل بمكيالين، وأن ما تعلنه من دعم حقوق الإنسان ما هو إلا أداة لتحقيق أهدافها فيما هي لا تقيم وزنًا لحقوق الإنسان، وكان هذا ظاهرًا في آلاف المدنيين الذين قتلتهم الغارات الأمريكية المختلفة في العراق وأفغانستان واليمن وسوريا. فمن ناحية عسكرية تحدى المقاتلون المسلمون الجيش الأمريكي في العراق وأفغانستان وأجبروه على التراجع، وانكشفت بذلك حدود القوة العسكرية الأمريكية، وأظهرت أمريكا ضعفًا كبيرًا في القتال البري واعتمدت بشكل أساسي على القصف الجوي عن بعد لتجنب كشف جبن جنودها وتجنب الخسائر البشرية في صفوف جيشها.

وإذا كان من معايير لقياس الفشل العسكري الأمريكي فليس أصدق من الساحة العراقية التي ظلت الصواريخ البدائية تلاحق بقايا قواعدها العسكرية والسفارة الأمريكية والمنطقة الخضراء في بغداد حتى هذه الأيام بعد أن سحبت أمريكا جل جيوشها من العراق. وفي أفغانستان فقد فشل الجيش الأمريكي ومعه باقي جيوش حلف الأطلسي في هزيمة ٥٠ ألف مقاتل لحركة طالبان طوال عشرين عامًا، وهذان المعياران كافيان لبيان محدودية القوة العسكرية الأمريكية وقلة فاعليتها أمام قتال المسلمين، وهذه حقيقة لها ما بعدها بإذن الله.

وأما الفشل السياسي فقد فشلت أمريكا فشلًا ذريعًا في كل من العراق وأفغانستان، وهما البلدان اللذان حظيا بتدخل أمريكي كبير وإنفاق هائل من الخزينة الأمريكية، فكل ثقل أمريكا العسكري والسياسي والنفوذ الإقليمي لم يمكِّنا النظام العراقي ولا النظام الأفغاني من الاستقرار، وها هو العراق ساحة حرب وعدم استقرار، وها هو النظام العميل في أفغانستان قد تبخَّر في ساعات وصار نسيًا منسيًّا، وهذا فشل شديد وخسارة للجهود والأموال التي أنفقت وانتقدها الرئيس السابق ترامب كثيرًا، والفشل في البلدان الأخرى ليس أقل من مثيله في العراق وأفغانستان.

ويرصد الكاتب البريطاني الشهير ديفيد هيرست هذه الأخطاء الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة الإسلامية فيقول: «**لم يعد ذلك فقط مسؤولية تناط بها - إدارة بايدن - بل وواجب يقع على عاتقها بعد كل الدمار الذي سبَّبته الصراعات التي أمر بإشعالها أو ساندها رؤساء الولايات المتحدة المتعاقبون، من**

أفغانستان إلى العراق إلى سوريا إلى اليمن إلى ليبيا. وأي خطأ استراتيجي أمريكي ترتكبه الولايات المتحدة سيكون خطأها الأخير، بل وخطأ أوروبا الغربية الأخير أيضًا». (عربي٢١، ٢٠٢١/١٢/٢٨).

وأما أيديولوجيًّا، وهو الأهم، فإن أمريكا قد أعلنت الحرب على الإسلام تحت ذريعة الإرهاب للقضاء على الفكرة الإسلامية في الحكم والوحدة، ولكن أمريكا تفاجأت وتتفاجأ كل يوم بأن المسلمين متمسكون بدينهم، ومتمسكون بالحكم بالإسلام، ولم تثنِهم الحرب الأمريكية عن التطلع للخلافة الإسلامية. ومن أكثر ما يغيظ أمريكا والغرب أن البلاد الإسلامية ليس فيها اليوم إلا مشروع أيديولوجي واحد هو الحكم بالإسلام وإقامة الخلافة من جديد، وقد ظهر هذا التوجه بشكل مرعب لأمريكا في الثورة السورية، بل إن تبرير الرئيس الأمريكي بايدن لانسحاب قواته من أفغانستان ٢٠٢١م كان لأنها كانت سنة ٢٠٠١م حاضنة للقاعدة، وأما اليوم فإن خطر الخلافة قد تشعَّب وتوزَّع في بلدان إسلامية كثيرة في آسيا وأفريقيا (موقع وزارة الخارجية الأمريكية، ٢٠٢١/٨/١٦م).

وأما الانهيار الفكري للرأسمالية في بلدانها؛ فها هي فرنسا التي تدَّعي الحريات لا تتَّسع الحرية فيها للفتيات المحجَّبات، وها هي أوروبا تضيق بمآذن المساجد ولا تطيق رؤيتها، وتطلق دعوات الاندماج المجنونة للمسلمين في أوروبا، ومما زاد من الانهيار الفكري للرأسمالية كيفية معالجة أمريكا وأوروبا لأزمة كورونا وما نتج عنها من كبح شديد للحريات تحت ذريعة الوباء، وفرض اللقاح لصالح شركات الدواء، فشاهد المسلمون وكذلك الغربيون بأن أسس الفكر الرأسمالي للحريات تتهاوى، وأن الدولة في الغرب تتحوَّل إلى دولة شمولية بشكل سريع.

وأما في البلاد الإسلامية فإن الأنظمة التابعة للغرب قد فقدت أي مبرر لوجودها، فثورات «الربيع العربي» وانتفاضاته لاحقت وتلاحق هذه الأنظمة، ولا تجد هذه الأنظمة لها محبًّا إلا لدى أمريكا والدول الأوروبية، فأمريكا تناصر نظام السيسي الذي زاد نسبة الفقر في مصر من ٢١٪ إلى ٣٠٪ خلال سبع سنوات من حكمه، وكان الرئيس الأمريكي السابق ترامب يعلن إعجابه بالسيسي بشكل يقرفه الشعب المصري، وتجنِّد أمريكا أتباعها اليوم لإعادة تطبيع العلاقات مع نظام بشار المجرم وكأن شيئًا لم يحدث في سوريا خلال السنوات الماضية، والبلدان الجديدة التي قامت بالتطبيع العلني مع كيان يهود تحت ضغط إدارة ترامب السابقة تخاصم شعوبها وتستفزُّ مشاعرهم لقاء تطبيع تلك العلاقات مع يهود، بمعنى أن السياسات الأمريكية مع عملائها قد عملت على تعريتهم بالكامل أمام الشعوب، فشحَّ من يدافع عنهم، اللهم إلا منتفع مباشر.

وبالمجمل، فإن أي نوع من الحكمة قد غاب عن السياسات الأمريكية في المنطقة الإسلامية، وسادت العصبية الأمريكية وروح

الانتقام من الشعوب الإسلامية مباشرةً كما في الأعمال العسكرية الأمريكية الهمجية أو عبر الحكام، فالرئيس ترامب كان يريد أصوات اليهود الأمريكيين في الانتخابات الرئاسية؛ لذلك دفع الحكام العرب للتطبيع مع كيان يهود، ولم يفكِّر للحظة عن أثر ذلك على الشعوب التي عاظمت من عدائها لأمريكا والحكام معًا، وأمريكا لم تجد بديلًا عن بشار في سوريا فتريد تثبيته والتطبيع معه، ولا تفكر للحظة في أثر ذلك على الشعب السوري المكلوم، وهي تكره الإسلام فتدفع بعميلها ابن سعود لإقامة حفلات الرقص والغناء على عتبة المدينة المنورة في الحجاز دون أن تقيم هي وعميلها أي اعتبار للشعب الذي يغلي، كل ذلك في محاولة بائسة لفصل أهل الجزيرة عن الإسلام، وتطلب من الحكام عمومًا تبني اتفاقية سيداو والزيادة في محاربة الإسلام في أدق أحكامه الاجتماعية وأكثرها حساسية للناس دون أن ترى أثر ذلك على الشعوب التي تقف عند درجة الغليان.

ولأنها تتصرف بغرور العظمة، أي العنجهية، فإن أمريكا لا ترى إلا ما تحب أن تراه، ولو كانت تريد أن ترى الحقيقة لرأتها في سرعة سيطرة حركة طالبان على أفغانستان وفشل الجهد السياسي والمالي الذي بذلته أمريكا في أفغانستان عبر عقدين كاملين وتبخُّر عملائها من الساحة الأفغانية.

وبكل هذا يتضح بأن أمريكا لم تقدم للمسلمين أي مشروع ديمقراطي كما كانت تدَّعي عند احتلالها للعراق بجعله نموذجًا للديمقراطية، وهذا فشل سياسي كبير، ولم تتمكن من السيطرة العسكرية وبقي المقاتلون يكيلون لها الضربات في كل البلاد التي تدخلت فيها عسكريًا حتى أُجبرت على الانسحاب الكامل أو الجزئي، وهذا فشل عسكري كبير. وبعد جرائمها ضد المسلمين، وليس غوانتنامو إلا واحدةً من جرائم كثيرة وكبيرة، فإن أحدًا لم يعد يصدق بأن أمريكا تدعم حقوق الإنسان، بل إن جرائم الشرطة الأمريكية ضد الأمريكيين السود كما في مسألة قتل جورج فلويد قد أفرغت أمريكا من أي نظرةٍ إنسانية؛ وبذلك فشلت أداتها المعلنة «حقوق الإنسان» و»حقوق النساء» فشلًا ذريعًا. وبدعمها للأنظمة المجرمة في بلدان المسلمين وطلبها زيادة الإجرام انتقامًا من الشعوب الإسلامية، فقد عاظمت من عداء هذه الشعوب لها وللأنظمة الحاكمة. وبسبب مشاكل الرأسمالية التي لا تنتهي مثل: الأزمات المالية، ومنع الجاليات الإسلامية من الحرية، وتدخُّل الدولة في أسواق المال تمامًا مثل الأنظمة الشمولية... فإن الرأسمالية قد ظهر فشلها بشكل كبير، ناهيك عن أن يكون هناك أي مشروع أيديولوجي تحمله الأنظمة العميلة في البلدان الإسلامية، والتي لا تحمل إلا العصا ضد الشعوب لإخضاعها لأمريكا ونفوذها ومنعها من العودة إلى الإسلام وبناء دولة الإسلام.

هذا ما حصدته أمريكا من تدخُّلها في

البلاد الإسلامية تحت ذريعة الإرهاب منذ سنة ٢٠٠١م إلى يومنا هذا، والنتيجة منعطف خطير غير قابل للعودة إلى الوراء، وشعوب تنتظر ساعة الصفر للانقضاض على عملاء أمريكا والغرب، بل وطرد أمريكا شر طِردة من المنطقة الإسلامية، ولعل أحداث كازاخستان مطلع ٢٠٢٢م التي كان يتمجَّد حكامها بالاستقرار التاريخي مؤشر على درجة الغليان في شعوب الأمة الإسلامية ضد حكامها. وأمام تعاظم الدعوات لبناء دولة الإسلام في المنطقة الإسلامية فإن أمريكا أخذت تغادر المنطقة الإسلامية دون إتمام مهمتها، وذلك بسبب انشغالها بالصين.

المأزق الاستراتيجي الثاني: انشغال أمريكا بالمنافسة الجدية مع الصين لمنع صعودها

وجدت أمريكا إبان إدارة أوباما السابقة نفسها في حمأة انشغالها التام بالحرب على الإرهاب، والتي استمرَّت لعقد من الزمن، وجدت أنها أمام مأزق استراتيجي خطير، وهو تقدُّم الصين في المنافسة الجدية لها، فأخذت توجِّه بوصلتها لاحتواء صعود الصين، ومن ذلك نقلها لثلثي جيوشها البحرية لمحيط الصين، وبناؤها تحالفات جديدة ضد الصين مع الدول المحيطة بها أو ذات العلاقة، وآخر تلك التحالفات الأمريكية كان «أوكوس» في أيلول ٢٠٢١م مع بريطانيا وأستراليا، ويتضمن بناء غواصات نووية لأستراليا، وقبله التحالف الأمريكي الرباعي «كواد» مع اليابان والهند وأستراليا خلال ٢٠١٧م، وخلال كل ذلك فرضُ إدارة ترامب الرسوم الجمركية بما عرف بـ«الحرب التجارية» بين أمريكا والصين، وتضييق الإدارة الأمريكية الخناق على كبريات الشركات الصينية مثل شركة هواوي المبتكرة لمعدات متقدمة في اتصالات الجيل الخامس، وجهود أمريكا لمنع الدول الأوروبية من التعاون مع الصين بخصوص قطاع الاتصالات.

وبالمجمل فإن أمريكا إبان إدارة أوباما الأولى قد انكشفت لها خطورة صعود الصين وضرورة المسارعة في وقف صعودها واحتواء مخاطره على الهيمنة الدولية لأمريكا، وكانت أمريكا غارقةً في حربها على الإسلام. وقد قيل إبان إدارة أوباما الثانية بأن الرئيس الأمريكي أوباما ووزير دفاعه كارتر يركِّزون جُلَّ جهودهم على المسرح الصيني فيما يتركون لوزير الخارجية كيري التركيز على المنطقة الإسلامية؛ لكن إدارة ترامب اللاحقة لإدارة أوباما كانت تركز بجميع أركانها تقريبًا على الصين، وكذلك تفعل إدارة بايدن الحالية.

وبالتدقيق نجد أن جهود أمريكا والموارد السياسية والمالية وكذلك العسكرية التي تخصِّصها أمريكا للمنطقة الإسلامية قد أخذت تتناقص، وبتناقصها يتناقص بالتأكيد تأثير أمريكا في المنطقة، فسحبت أمريكا جُلَّ قواتها من العراق إبان إدارة أوباما لتضعها في مواجهة الصين؛ لكن الساحة العراقية أخذت تتقلب بما لا يرضي أمريكا، ثم اندلعت انتفاضات «الربيع العربي» فكان ذلك أسوأ ما تريده أمريكا التي

تحلم باستقرار نفوذها في المنطقة الإسلامية من أجل الانتقال الآمن لمحيط الصين، وكانت ثورة الشام بحق من أشد المآزق التي واجهت نفوذ أمريكا في المنطقة؛ إذ إن ثورة الشام قد رفعت شعار الخلافة الإسلامية، وأخذت تهدِّد بتغيير وجه المنطقة بكاملها، وفشلت كافة الجهود الأمريكية المباشرة وعبر إيران وروسيا في السنوات الأولى للثورة، وإن نجحت لاحقًا وبحذر عن طريق احتواء الفصائل المسلحة بواسطة تركيا والسعودية.

لقد أصبحت أمريكا تتصرف بعصبية في المنطقة الإسلامية، وتجبر عملاءها على إظهار السياسات التي تريدها دون أن تكون المنطقة ناضجة لذلك، بل ومعاكسة تمامًا لتوجهات الشعوب التي كسرت حاجز الخوف من الحكام، بمعنى أن الحكمة قد غابت عن السياسات الأمريكية في المنطقة. ففي الوقت الذي يظهر فيه كيان يهود بأبشع صوره في اقتحام المسجد الأقصى وتحدِّي مشاعر المسلمين ويقصف قطاع غزة بلا هوادة، فقد طلبت أمريكا من حكام المغرب والسودان والإمارات والبحرين التطبيع مع كيان يهود بما يزيد من استفزاز الشعوب المستفَزَّة أصلًا، ودفعت برجلها في تركيا أردوغان للتنسيق مع روسيا وإيران والضغط على الفصائل السورية المسلحة ودخول سوريا لمنع إسقاط النظام السوري، وهذا ما كان حتى اللحظة، الأمر الذي جعل شعبية أردوغان في الحضيض بسبب انكشاف دوره. وفي مصر دفعت أمريكا بنظام السيسي لمزيد من استفزاز الشعب المصري عبر محاكمات جائرة للرئيس السابق محمد مرسي وعبر هدم المنازل في سيناء، بل والمساجد في مصر بحجة عدم الترخيص، وإغراق الأنفاق إلى غزة وحصارها حصارًا شديدًا حتى قال الأكاديمي اليهودي إيدي كوهين عبر قناة تلفزيونية مصرية: «إن السيسي أكثر صهيونية مني» (شبكة رصد الإخبارية، ٢٠١٨/٩/١٦م)، وكذلك فعلت في دفع حاكم السعودية لإظهار انفصال السعوديين عن الإسلام بشكلٍ مخزٍ ومستفزٍ لمشاعر المسلمين.

وهذا يعني أن أمريكا في ظلِّ تقلُّص مواردها للمنطقة الإسلامية وإصرار إدارة ترامب السابقة على سحب بقية القوات الأمريكية من العراق وسوريا وأفغانستان؛ لأجل التركيز على الصين ومحيطها، فإنها كانت تدفع برجالها وعملائها في حكومات البلدان الإسلامية لخدمتها بشكل علني ومكشوف بما يشكل خطرًا شديدًا على هذه الحكومات وعلى نفوذ أمريكا في المنطقة. وهذا كله يعني أن أمريكا، وأمام تعاظم المخاطر على هيمنتها الدولية خاصة من الصين، صارت تتصرف بعصبية ودون حكمة ودون إدراك المخاطر التي تتشكَّل بتسارعٍ كبير، والذي ظهر واحد من آثاره في أفغانستان في آب ٢٠٢١م عندما تبخَّر الجيش الأفغاني وتبخرت الحكومة العميلة وسيطرت حركة طالبان بسهولة تامة على كامل أفغانستان.

المأزق الاستراتيجي الثالث: الانقسام الداخلي الكبير الذي تعاني منه أمريكا ويهدد بحرب أهلية سنة ٢٠٢٤م

كانت الانتخابات الرئاسية الأمريكية نهاية ٢٠٢٠م حدثًا صاخبًا كشف عن انقسام عميق ودائم في الساحة السياسية الأمريكية، وظهرت الولايات الأمريكية على شكل ولايات للجمهوريين أكبرها تكساس وأخرى للديمقراطيين وأكبرها كاليفورنيا، وظهرت الجماعات المنادية بتفوق العرق الأبيض بشكل منظَّم، وقامت باقتحام الكونغرس معقل الديمقراطية الأمريكية لمنعه من المصادقة على نجاح بايدن في الانتخابات، وظهرت المليشيات المسلحة، وظهر تيار مناصر للرئيس المنهزم ترامب وأطلق عليه تيار «الترامبية»، وانقسمت كبرى الشركات الأمريكية، فشركات التكنولوجيا تناصر الرئيس بايدن وتدعمه بمليارات الدولارت، فيما تناصر شركات النفط والطاقة والصناعة الرئيس السابق ترامب وتدعمه بمليارات الدولارات، وأعلن الرئيس الفائز بايدن بأنه سيوقع اتفاقية المناخ الدولية المناهضة لمصالح شركات النفط والطاقة والتصنيع في أمريكا بعد أن كان الرئيس السابق ترامب قد انسحب منها لصالح تلك الشركات، ومع انتشار فيروس كورونا أضاف الأمريكيون لحوزتهم ستين مليون قطعة سلاح تضاف إلى أربعين مليون قطعة كانوا يتسلحون بها سابقًا، ما يجعل من أمريكا برميل بارود في حال اندلاع أعمال العنف.

وبعد واقعة اقتحام الكونغرس أخذت إدارة بايدن على محمل الجد ما صار يعرف بـ«الارهاب الداخلي» في أمريكا، أي استخدام العنف لتحقيق أهداف سياسية، خاصة وأن الرئيس السابق ترامب قد اتهم بالتحريض على ذلك.

واليوم يحذِّر المفكرون والسياسيون من أحداث عنف صاخبة ستصاحب الانتخابات الرئاسية القادمة سنة ٢٠٢٤م. فالرئيس الديمقراطي الحالي بايدن وشركات التكنولوجيا التي تقف خلفه لا يريدون إخلاء الساحة للجمهوريين، ولا الرئيس السابق ترامب والشركات الكبرى الداعمة له يريدون إبقاء الديمقراطيين في السلطة. وإذا كان عقلاء أمريكا يأملون بأن الجمهوريين سيختارون مرشحًا أكثر عقلانية من ترامب للانتخابات القادمة، فإن كل المؤشرات في أمريكا تشير إلى أن ترامب يخوض ومنذ اليوم معركته الانتخابية القادمة، ويعتبرها معركة مصير، وأن له من الشعبية الكبيرة لدى اليمين الأمريكي، وأن تياره «الترامبية» قد ازداد تنظيمًا في أمريكا بما يجعل من ترامب كمرشح الخيار شبه الوحيد للحزب الجمهوري، بل إن هذا التيار قد ازداد تسليحًا، والأخطر أن عقلاء أمريكا يحذِّرون من أن الجيش الأمريكي منقسم بشدة بما يهدد بأسوأ الاحتمالات سنة ٢٠٢٤م. ففي مقال في صحيفة واشنطن بوست، ونقلت مقتطفات منه إندبندنت عربية في ٢٠٢٢/١/١م عن ثلاثة جنرالات أمريكيين سابقين حذَّروا من

(وجود اختراقات في صفوف الجيش الأمريكي، اختراقات أيديولوجية، تميل إلى جهة أنصار اليمين المتطرف وليس المتشدد فحسب... كانت تحذيرات عالية المستوى تصدر عن ثلاث رتب عسكرية عالية، بشأن احتمالات حدوث تمرد بعد الانتخابات الرئاسية الأمريكية المقبلة في ٢٠٢٤م... في المقال يعرب الجنرال السابق بول إيتن، والجنرال السابق أنطونيو تاغويا، والجنرال السابق ستيفن إندرسون، عن مخاوفهم من تداعيات الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٢٤م واحتمال حدوث فوضى مميتة داخل الجيش الأمريكي، الأمر الذي من شأنه أن يضع جميع الأمريكيين في خطر شديد).

ومما يجدر ذكره أن إدارة بايدن التي تثقلها الأعباء الخارجية والداخلية لا تملك وقتًا كافيًا لعلاج هذه الأزمة الكبرى، خاصة وأن أنصار الرئيس السابق ترامب يستعدُّون ويتسلَّحون ويزدادون تنظيمًا، فصارت هذه الأزمة ومنذ حين مأزقًا استراتيجيًا كبيرًا أمام إدارة بايدن يقضُّ مضجعها.

وفي خطاب له بمناسبة الذكرى الأولى لاقتحام الكونغرس ٢٠٢٢/١/٦م، أظهر الرئيس الأمريكي بايدن حنقًا شديدًا على الرئيس السابق ترامب وأتباعه، وكشف عن غيظ كبير، فهاجمه في بث مباشر نقلته قنوات عالمية مباشرةً واتهمه بالكذب مرات ومرات، وأغاظه بأنه ليس مجرد الرئيس السابق بل والرئيس المهزوم، فكان ذلك مناسبةً لإظهار شدة الانقسام والاستقطاب في أمريكا وأن الأزمة لم تنتهِ، بل وتجعل لها مناسبة للنيل من الخصوم.

هذه الأزمة الكبرى، والمأزق الخطير الذي تعاني منه أمريكا اليوم، والخوف من حرب أهلية قد تندلع سنة ٢٠٢٤م مع الانتخابات الأمريكية؛ لأنَّ أيًّا من المرشحين على الأرجح لن يسلِّم بهزيمته، وهذا الخوف من تفكك الدولة هو خوفٌ حقيقيٌّ في ظلِّ تنافرٍ كبير للمصالح، واختلاف التطلعات بين الديمقراطيين والجمهوريين، وتباعد المصالح بين الشركات الكبرى الداعمة لكل منهما، والدرجة العالية من العداء. واليمين واليمين المتطرف وتيار «الترامبية» وما يشبه سيطرة ترامب على الحزب الجمهوري والشعبية الكبيرة التي يتمتع بها ترامب في أوساط اليمين الأمريكي، والتسلُّح والزيادة فيه والانقسامات الخطيرة التي تطال ضباط الجيش الأمريكي، وانقسام الولايات بشكل واضح إلى ولايات جمهورية وأخرى ديمقراطية بحسب قوة الشركات الكبرى العاملة في تلك الولايات، وفي ظل تأثير الشركات الكبرى على الحكم بحيث تجعله خادمًا لها، نعم في ظلِّ كل ذلك فإن إدارة بايدن التي تعيش ذلك الكابوس الداخلي لا تملك الوقت والجهد الكافي لإتقان سياساتها في المنطقة الإسلامية؛ لذلك ترى أصواتًا في أمريكا تحذِّر من إهمال الإدارة الأمريكية للحل السياسي في سوريا مدةً طويلةً، وترى كذلك بأن موجة التطبيع للأنظمة العربية التي قادها الرئيس السابق ترامب لم يكملها الرئيس الحالي بايدن؛ لأن أهداف

الأول كانت انتخابية، بل إن إدارة بايدن أبدت بعض التراجع عن سياسة ترامب وأعلنت بأنها ستعيد قنصليتها للقدس الشرقية، الأمر الذي رفضه يهود بما يزيد من تعقيد سياسة أمريكا للمنطقة، بمعنى أن السياسيين في واشنطن قد صارت لتحركاتهم في المنطقة الإسلامية دوافع أخرى بحكم الانقسام الداخلي والصراع الشديد على الحكم في أمريكا، وهذه الدوافع الجديدة تضعف أمريكا.

وإذا كانت أمريكا منشغلة بشكل كبير عن إتقان سياسات تحافظ على نفوذها في المنطقة الإسلامية، وتطلب لأجل ذلك من عملائها القيام بما يلزم، فإن الفشل هو المشاهد لعموم المشهد السياسي في المنطقة الإسلامية، فقد أبدى هؤلاء الحكام عداءً للإسلام لم يكن مكشوفًا بهذا العمق من قبل، وهذا يؤدي إلى إضعاف تأييد هؤلاء الحكام حتى من أنصارهم، فظهر علماء السعودية بشكل مخزٍ وحرجٍ في الدفاع عن مشاريع الترفيه لابن سعود، وظهر الحرج الكبير على أتباع السيسي مع حصاره لغزة وغمره لأنفاقها بالمياه، ومع محاكمته لرئيس سابق منتخب، وصارت أمريكا نفسها تواجه العقبات بشكل مباشر، وظهر الأمر في مفاوضات البرنامج النووي الإيراني في جنيف كرد فعل إيراني متصلِّب على اغتيال إدارة ترامب لقاسم سليماني قائد فيلق القدس، وهكذا أصبحت السياسة الأمريكية تسير بصعوبة وحرج ودون غطاءٍ ودعم وتناسقٍ في المنطقة الإسلامية.

النتيجة: ارتخاء فعلي لقبضة أمريكا على المنطقة

ومع كل تلك المآزق الاستراتيجية لأمريكا، فإن ارتخاءً صار يلاحظ على قبضة أمريكا على المنطقة واهتزازًا لنفوذها. فأمريكا غير قادرة على مساعدة أتباعها ورجالها، الأمر الذي ظهر على الليرة التركية التي رفعت عنها التسهيلات المالية الأمريكية بسبب ضعف أمريكا الاقتصادي وبعض سياسات ترامب، ما أوصل شعبية أردوغان إلى الحضيض، وكذلك شعبية حكام مصر والسعودية وباكستان وغيرهم، وقد حصلت بعض الأحداث ذات المدلول الكبير والتي لا يجوز على الإطلاق أن يُمـَـرَّ عليها مرور الكرام، ومن هذه الأحداث ما يلي:

١ - قام اليهود بتهديد المسجد الأقصى والتخطيط لاقتسامه، ونشبت على أثر ذلك حرب غزة الأخيرة ٢٠٢١م، فكانت المشاهد السياسية مريعة للنفوذ الأمريكي وبشكل خطير، انتفاضة تجتاح المناطق العربية داخل الخط الأخضر، وسلطة رام الله على عتبة الانهيار أو كما سمَّاها نائب وزير الخارجية الأمريكي «غابة جافة تنتظر من يشعل بها النار» (خبر برس، ٢٠٢١/٦/١٦م)، ومتظاهرون غاضبون من لبنان والأردن يقتحمون الحدود، والمخفيُّ أعظم من بوادر تفجُّر الجيوش العربية المحيطة، وبالأخص باكستان في وجه الحكام ووجه كيان يهود.

٢ -أراد نظام بشار أن يفرض الأمر الواقع ويعيد بعض مناطق درعا تحت جناحه

ليتفاجأ بنار شديدة تحت رماد الثورة السورية في حوران كادت أن تحيي الثورة من جديد لولا أن روسيا هبَّت لعقد مصالحات جديدة في درعا.

٣ -وأخيرًا وليس آخرًا، انهيار النظام العميل في أفغانستان بشكل شامل وكامل، وتبخُّر الجيش الأفغاني وعدم مقاومته لتقدم حركة طالبان التي سيطرت في أسابيع قليلة على كامل أفغانستان.

هذه الأحداث من العيار الثقيل تشير إلى أن قبضة أمريكا على المنطقة قد تراخت فعلًا وبشكل حاسم، وبغضِّ النظر عن مظاهر القوة الزائفة التي تُبديها أجهزة الأمن التابعة للحكومات العميلة في المنطقة الإسلامية فإن تلك الأحداث كنموذج أثبتت أن تلك الأجهزة، وفي كافة البلدان، ضعيفة للغاية، وأنها يمكن أن تسقط في أي لحظة سقوطًا مدويًّا شاملًا وكاملًا.

وحالة التفلت هذه من نفوذ أمريكا ومن سيطرة أتباعها تشكل ظرفًا فريدًا من نوعه يسهّل استجابة أهل القوة والمنعة لدعوات **حزب التحرير** لإقامة الخلافة الإسلامية الحقيقية وتوحيد الأمة الإسلامية في دولة واحدة. والظاهر أن المآزق الاستراتيجية لأمريكا في تزايد من حيث العمق، بل ومن حيث الكم، فاقتصاد أمريكا لا يمكِّنها من مساعدة عملائها، فقد أصرَّت إدارة ترامب سنة ٢٠٢٠م على تحصيل أتاوات من عملائها في السودان الفقير تحت ذرائع العمليات في كينيا سنة ١٩٩٨م، أي أنها تطلب خدمات كبيرة وكثيرة حتى من أضعف عملائها بما لا يطاق. هذا وباقي المؤشرات الأخرى تدل على تعمق أزمات أمريكا الدولية وأزماتها المحلية، وكل ذلك يؤدي إلى إضعاف عملائها بحيث يقلَّ أتباعهم يومًا بعد يوم، وأتباع اليوم الذين يقفون مع الحكام خلف الزناد ينقسمون إلى باحث عن ملجأ كما حدث لعملاء أمريكا في مطار كابل، وإلى متمردٍ في الغد القريب أو صامتٍ لا يملك من الإرادة ما يحمله على مقاومة المدِّ الإسلاميِّ العظيم.

وعندما يحصل الانفلات في بلد إسلامي واحد فإن انهيار الحكم فيه سيكون قطعًا كما انهارت حكومة أشرف غاني العميلة في أفغانستان، أي انهيارًا سريعًا وشاملًا وكاملًا. وإذا كان السياسيون المخلصون من دعاة الإسلام ودعاة الخلافة يرَون الصعوبات التي وضعتها أمريكا كعقبات أمام توحيد البلاد الإسلامية، فإن الظرف الحالي قد يجعل من توحيد جلَّ البلاد الإسلامية مسألة مئة يوم فقط بعد أن ينهار أي حاكم على أثر استجابة ضباط جيشه لدعوات إقامة حكم الله في الأرض وإعلاء دينه التي يقوم بها **حزب التحرير**، ويسهر عليها في طول البلاد الإسلامية وعرضها، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

انهزام الحضارة الغربية الرأسمالية والعلمانية

بقلم الدكتور ريان
(مراقب سياسي إسلامي)

«أمريكا هي الرجل المريض الجديد» (hizb.org.uk, ٢٠٢١). هكذا كانت افتتاحية أحد مواقع الدعوة الإسلامية في بريطانيا، علَّقت فيها على «الاحتلال الوحشي» لمبنى كابيتول هيل من قبل أنصار الجمهوريين في أمريكا، عندما لم يقبلوا بهزيمة مرشحهم الرئاسي دونالد ترامب في الانتخابات الرئاسية الأمريكية لعام ٢٠٢٠م الماضية. إن مصطلح «الرجل المريض» راجع إلى الوقت الذي لقب فيه الغرب (أوروبا) الخلافة الإسلامية العثمانية به عندما بدأت تفقد نفوذها بسبب نقاط ضعفها.(١)

أمريكا التي تمثل الغرب، وكذلك أوروبا التي تعتبر حاليًا المتحكِّم في العالم بمبدئها الرأسمالية العلمانية، تبيَّن أنها غير ملائمة أخلاقيًا لتمثيل الادِّعاء المبدئي بتفوق القيم الديمقراطية الغربية. الموقف الخاسر الذي أظهره «ترامب وعصاباته» يجعل العالم بشكل عام والغرب نفسه مشبعًا بأنه لم يعد مستعدًا لاستخدام أمريكا كمرجع لممارسة الحكم الديمقراطي. (٢) هذه الحقيقة هي قمة جبل الجليد من مختلف أنواع الفساد الأخرى الناتجة عن تطبيق الرأسمالية الغربية، بالإضافة إلى الرذائل الأخرى في مختلف مجالات الحياة.

حقائق فشل الحضارة الغربية الرأسمالية العلمانية

لوصف الحضارة، يتم استخدام مصطلح الحضارة بأنها مجموعة المفاهيم عن الحياة، وفي اللغة الإنجليزية بمصطلح «Civilization» وتتميز الحضارة عن المدنية(٣)، فالمدنية تعرف بأنها الأشكال المادية للأشياء المحسوسة التى تستعمل في شؤون الحياة، وتكون خاصة حسب وجهة النظر في الحياة، عندما تنتج عن الحضارة، كما أن هناك مدنية عامة عالمية وهي التي تنتج من جميع البشر كالصناعة والعلم.

لا شك أن الحضارة الإسلامية تختلف عن الحضارة الغربية. فبينما تقوم الحضارة الإسلامية على أساس العقيدة الإسلامية في تصوراتها، وعلى معايير الحلال والحرام في تصرفاتها، والسعادة فيها هو نيل رضوان الله سبحانه وتعالى، فإن الحضارة الغربية تقوم على أساس العلمانية، وهي فصل الدين عن الحياة. ومقياس الأعمال عندهم هو المنفعة، وكانت السعادة هي تحصيل المتع الجسدية (الجسادية).

بالنسبة ليومنا الحاضر، فإن السبب الرئيسي لفشل الرأسمالية العلمانية هو في الواقع لأنها تتعارض مع الطبيعة البشرية والفطرة السليمة، فهي تقوم على عبادة البشر كمركز كل شيء (مركزية الإنسان = antroposentrisme). وفيما يلي بعض الحقائق من أسفل جبل جليد

الفشل.

ففي المجال الاقتصادي، الحقيقة تظهر أن « Capitalism isn't working, another world is possible الرأسمالية لا تعمل، وفي عالم آخر ممكن»، وأن الرأسمالية قد انهزمت في تحقيق الرخاء للشعب، ولقد انهار مصطلح «TINA» (There Is No Alternative) يعني لا يوجد بديل ولا مندوحة، وهو الشعار الذي يتردد منذ رئاسة ريغان (١٩٨١-١٩٨٩)م، بأن المندوحة الوحيدة للعالم هي الرأسمالية والليبرالية والعولمة.

ما أعمق الظلم الذي يحدث بسبب الفجوة الاقتصادية بين «من يملكون» و «الذين لا يملكون». فنسبة ١٪ فقط يستفيدون من تطبيق الرأسمالية، بينما يعاني ٩٩٪ من البؤس. فبناء على تقرير صادر عن المنظمة الخيرية البريطانية المسماة بـ«أوكسفام»(٤)، وتحت عنوان «حان وقت الرعاية» ، فإن ١٪ من أغنى الناس في العالم يمتلكون أكثر من ضعفي ثروة البشرية جمعاء. وقال التقرير: «لقد أصبح التفاوت الاقتصادي خارجًا عن نطاق السيطرة؛ حيث يمتلك ٢١٥٣ مليارديرًا أكثر من ٤,٦ مليار شخص في عام ٢٠١٩». بحسب (Bloomberg اثنين ٢٠٢٠/١/٢٠(. وذهبت Bloomberg، إلى أن ثلاثة أشخاص هم من أكثر الناس ثروة في العالم، لقد جمعوا ثروة إجمالية قدرها ٢٣١ مليار دولار أمريكي خلال العقد الماضي. ثروة أكبر ٢٠ مليارديرًا تضاعف إجماليًا من ٦٧٢ مليار دولار أمريكي إلى ١،٣٩٧ مليار دولار أمريكي منذ عام ٢٠١٢م.

وفي المجال الاجتماعي، في الإحصاءات الرسمية الأمريكية عام ٢٠١٧م، لكل ١٠٠,٠٠٠ شخص بلغ معدل الجرائم في شكل قتل ٥,٣ نسمة، والاغتصاب ٤١,٧، والسطو ٩٨، والاعتداء المتشدد ٢٤٨,٩، وإجمالي جرائم العنف ٣٨٢,٩، وجرائم الملكية المتمثلة في الابتزاز ٤٣٠,٤، السرقة ١٦٩٤، وسرقة الدراجات والآليات ٢٣٧,٤.(٥)

وفي قطاع الصحة، أظهر الانتشار الهائل لفيروس COVID-١٩ في جميع أنحاء العالم إخفاقات في الوقاية والعلاج، حتى أدى إلى وفاة أكثر من ٥,٥ مليون شخص، وعدد المصابين أكثر من ٣٤٣ مليون شخص (٢٠٢٢/٠١/٢١م). ويا للسخرية، أن الرأسمالية تبدي أن شركات الأدوية العالمية هي التي تهيمن على إنتاج الأدوية (اللقاحات). ناهيك عن انتشار العديد من الأمراض المعدية الأخرى، مثل الإيدز وما إلى ذلك.

وفي المجال التعليمي، خلص استطلاع NBC News Wall Street Journal الذي أجري في الفترة من ١٠ إلى ١٤ أغسطس ٢٠١٩م إلى أن القيم التي تعتبرها الولايات المتحدة مهمة قد تغيرت خلال العقدين الماضيين. فالشباب الأمريكيون الآن أقل اهتمامًا بالوطنية والدين والرغبة في الإنجاب، ويقدرون العمل الجاد، والتسامح، والأمن المالي، والرضا عن النفس. ويعتبر ٣٠٪ فقط أن الدين مهم جدًا. ومثل ذلك فيما يتعلق بالرغبة في الإنجاب؛ حيث قال ٤٣٪ فقط إنه مهم للغاية. ويظهر التغيير في وجهات نظر الجيل الجديد أيضًا أن الوطنية

لم تعد مهمة؛ حيث إن ٥١٪ منهم لا يدعمون الرأسمالية.

وفي ساحة السياسة الخارجية، ومن أجل تطبيق الرأسمالية عالميًا، تطبِّق أمريكا والغرب الطريقة الاستعمارية (الإمبريالية)، سواء كان من النمط القديم (من خلال الجيش) أم من النمط الجديد (الإمبريالية الجديدة، من خلال الهيمنة الاقتصادية والثقافية). نتيجة ذلك، يمكننا أن نرى منذ الحرب العالمية الأولى قتل أكثر من ٣١ مليون شخص، و٥٨ مليون شخص فقدت حياتهم في الحرب العالمية الثانية، و١,٧ مليون في الحرب الأمريكية ضد الاتحاد السوفياتي في أفغانستان، و ١,٥ مليون في حرب فيتنام. وكذلك هناك الحرب على الإرهاب بعد أحداث ١١ سبتمبر. لقد كلَّف ضحايا هذه الرغبة في الاستعمار مئات الملايين من الناس الذين ماتوا وتضرَّروا وأصيبوا بإعاقات بشكل دائم وعانوا من خسائر جسدية ونفسية مختلفة.

أما الضرر البيئي، فليس منفصلًا عن الاقتصاد السياسي للرأسمالية. وقد تم اختيار الطاقات الأحفورية، على الرغم من أن لها أضرارًا بيئية كبيرة جدًا؛ تم اختيارها لأنها يمكن أن تقلِّل من تكاليف إنتاج السلع، فثمن هذا الاختيار الواجب دفعه كبير جدًا، وبالتحديد مع الاحتباس الحراري. قبل الثورة الصناعية كان معدل انبعاثات غازات الاحتباس الحراري ١ جيجا طن فقط، إلى ٤٦,٦ مليون جيجا طن في عام ٢٠١٥م؛ أو حوالى ١,٤ مليون كيلوجرام كل ثانية. وهذا ما أدى إلى حبس الحرارة التي يجب أن تعود إلى الفضاء ومن ثم تسببت هذه الحرارة في ذوبان القمم الجليدية القطبية مما يؤدي إلى ارتفاع مستويات سطح البحر بين عامي (١٩٩٢ و ٢٠١١)م حيث فقدت القارة القطبية الجنوبية ٧٦ مليار طن من الجليد سنويًا، ومنذ عام ٢٠١٢م وصل ذوبان هذا الغطاء الجليدي إلى ٢١٩ مليار طن سنويًا. وفي الوقت نفسه ارتفع مستوى سطح البحر بمقدار ٠,٠٨ ملليمتر سنويًا، وهو ما يحدث كل عام منذ عام ١٩٩٣.

الاعتراف الفكري الغربي بفشل حضارة الرأسمالية العلمانية

لقد تحقَّق الواقع السيئ لتطبيق الرأسمالية العلمانية لدى العديد من المثقَّفين الغربيين أنفسهم. «لقد أصبح موضوعًا عامًا مشتركًا» أن الولايات المتحدة التي «تم الترحيب بها في العالم منذ بضع سنوات فقط باعتبارها عملاقًا يتمتَّع بقوة لا شبيه لها وجاذبية منقطعة النظير... هي في حالة الانحطاط، وفي خطر الدمار المميت». وتم تقديم هذه العبارة بواسطة شيوزا في أمريكا الميزة العالمية: الهيمنة الأمريكية والتعاون الدولي (سي نورلوف، العلوم السياسية الفصلية، فصل الصيفي ٢٠١١، ص ٣٣٦-٣٣٧). (٦).

قال نعوم تشومسكي أستاذ اللسانيات والفلسفة: إن سبب كل ذلك (تدهور هيبة أمريكا)، كان دائمًا «القومية الراديكالية» أي جهود بلد ما للسعي إلى الحرية التي تنتهك مبادئ المناطق الرئيسية (المناطق التي تسيطر عليها أمريكا). ولقد توقع غاريسون Garrison (٢٠٠٤م) على أن أمريكا ستسقط يومًا ما:

«بصفتها جمهورية، ستستمر أمريكا في التحليق، لكن باعتبارها إمبراطورية أمريكية، ستسقط بالتأكيد (بصفتها جمهورية، لم يكن هناك مكان تذهب إليه سوى الصعود. كإمبراطورية هناك ليس هناك مكان يذهبون إليه وسوف تسقط)».

ومن ناحية أخرى، عند التعليق على التوسع الاقتصادي للرأسمالية في شكل العولمة، حذر تشومسكي (٢٠٠٦م) من أن «العولمة التي لا تعطي الأولوية لحقوق الناس (المجتمع) من المرجح أن تقع في قبضة الاستبداد، والتي يمكن أن تكون حكم القلة واحتكار القلة. ويستند هذا النوع من العولمة على تركيز الثروة المشتركة للدولة والقطاع الخاص الذي لا يخضع عمومًا للمسؤولية أمام الجمهور»(٧).

كتب هنري فيلتماير Henry Veltmeyer (٢٠٠٥) مقالًا مطوَّلًا يثبت بحدة أن العولمة (الرأسمالية) التي ترعاها الولايات المتحدة هي في الأساس تجسيد للإمبريالية الاقتصادية. وذهب جيمس ك.غالبريث (٢٠٠٢) إلى أن عدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية في عصر العولمة جريمة كاملة. استمر هذا الأمر منذ عام ١٩٤٨م عندما عقد الرئيس ترومان برنامج المساعدة الإنمائية الخارجية (ODA)، والذي كان يهدف في الأصل إلى حماية البلدان المحرَّرة حديثًا من الاستعمار من الدخول في الشبكة الشيوعية. ثم بين الستينات والسبعينات من القرن الماضي شنَّت الولايات المتحدة حملة من أجل الحاجة إلى بناء الدولة لخدمة الإنجاز الاقتصادي والسياسي للإمبريالية الأمريكية المتزايدة، ومنذ الثمانينات والتسعينات كانت العولمة الاقتصادية القائمة على الرأسمالية الجديدة والليبرالية الجديدة (والإمبريالية الجديدة) سلسة للغاية لتلبية مصالح الدول الكبرى(٨).

بل لقد أظهر ويليام ج. ليدرير في كتابه «أمة الأغنام/ A Nation of Sheep» (١٩٦١) مدى سهولة خداع الشعب الأمريكي من قبل ممثليه في المؤتمر. وخلص إلى أن على أعضاء المؤتمر أن يعملوا لصالح ناخبيهم، وليس فقط العمل من أجل أنفسهم والدفاع عن رؤسائهم (الشركات الكبرى).

وقد ذكر دومينيك ماجليو: إن صمت المثقَّفين عندما وقعت في قبضة حفنة من بعض رجال الأعمال، العسكريين، الحكَّام في الولايات المتحدة، ثم ما حدث هو أن الأمة الأمريكية أصبحت الآن أمة من الماعز الذين يتظاهرون بأنهم مثقفون زائفون. يقول: «نحن أمة ضعيفة، نتكيف مع أجندة النخبة الحاكمة. ولكنه لأمرٌ مخزٍ أن تتحول أمريكا بسرعة إلى أمة من الأغنام المزيفة. وكثير منهم من الأمريكيين الذين يشعرون أنهم مثقفون لأنهم تلقَّوا تعليمًا عاليًا. لكنهم كسالى في التفكير والبحث في حقيقة مسألة مهمة للغاية، ويعتمدون فقط على ردود الفعل العاطفية مرارًا وتكرارًا. ففي الحقيقة هم ليسوا أكثر من مجرد مثقفين زائفين، أو حتى قطيع من الأغنام، قطيع من الماعز».

وأكد صمويل هنتنغتون وروبرت جارفيس (١٩٩٩م) بكل غطرسة، وكأنهما شرطة للعالم،

أن أمريكا «تحولت إلى قوة عظمى احتيالية» في معظم أنحاء العالم، «أكبر تهديد خارجي منفرد لمجتمعهم»، وأن «دولة محتالة» زعيم اليوم هو «الولايات المتحدة الأمريكية»(٩).

كتاب «كيف تموت الديمقراطيات» يشرح كيف تموت الديمقراطية في الولايات المتحدة وأيضًا في بلدان مختلفة في العالم على أيدي المسؤولين المنتخبين أو الرؤساء. وبالنسبة إلى المؤلفين وهما أساتذة علوم الإدارة العامة في جامعة هارفارد ليفيتسكي وزيبلات (٢٠١٨م) ،«يبدأ تراجع الديمقراطية اليوم من صناديق الاقتراع». هناك أربعة مؤشرات رئيسية يجب مراعاتها وهي: (١) الرفض (ضعف الالتزام) بقواعد اللعبة الديمقراطية، (٢) رفض شرعية المعارضين السياسيين، (٣) التسامح أو تشجيع العنف، (٤) الاستعداد للحد من الحريات المدنية للخصم بما في ذلك وسائل الإعلام(١٠).

مساعي الغرب لمنع ظهور الإسلام

الصحوة هي رفع مستوى التفكير المبنيِّ على المبادئ الروحية. إن الإحياء الحقيقي للحضارة الإسلامية هو عندما يشجع الإيمان على رفع مستوى عالٍ من التفكير، حتى يدرك الناس أن الله سبحانه وتعالى يحكم في جميع جوانب الحياة.

فعندما أُسقطت الحضارة الإسلامية ممثلة بالحكومة الإسلامية في إسطنبول تركيا في ٣ مارس ١٩٢٤م، الموافق ٢٨ رجب ١٣٤٢هـ في كتاب «حتمية الخلافة؟» يتبين أن جهود إحياء المسلمين قد تمَّت من قبل مختلف الحركات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم التي تريد استئناف الحياة الإسلامية بإقامة الإسلام تحت رعاية الخلافة. وهذا التيار لا يمكن وقفه، وهو يتصاعد بشكل متزايد (Pankrust ، ٢٠١٥) (١١).

وقد تنبَّأ صموئيل هنتنغتون بإمكانية الإحياء الإسلامي عندما كتب عن صدام الحضارات (CoC)(١٢). المفهوم الرئيسي هو أن الهوية الثقافية (الكونفوشيوسية) والدين (في هذا الموضوع الإسلام)، سيكونان المصادر الرئيسية للصراع في العالم ما بعد الحرب الباردة.

وقدم هنتنغتون هذه النظرية في خطاب ألقاه عام ١٩٩٢م أمام جامعة أمريكان إنتربرايز (American Enterprise Institute)، ثم تم تطويره في مقال نشر في مجلة فورين أفيرز (Foreign Affairs) عام ١٩٩٣م بعنوان «صراع الحضارات؟/ The Clash of Civilizations»، ردًا على كتاب لطالبه فرانسيس فوكوياما بعنوان «نهاية التاريخ والرجل الأخير (١٩٩٢م)». ثم طور هنتنغتون أطروحته في كتاب «صراع الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي» (١٩٩٦م).

وتم استخدام عبارة «صراع الحضارات» من قبل ألبير كاموس في عام ١٩٤٦م، وبرنارد لويس في مجلة أتلانتيك الشهرية، الإصدار سبتمبر ١٩٩٠م، بعنوان: «جذور الغضب الإسلامي/ The Roots of Muslim Rage». وهذه العبارة أيضًا ظهرت في كتاب عام ١٩٢٦م عن الشرق بقلم باسل ماثيوز: الإسلام الشبابي في الرحلة: دراسة في صراع الحضارات (ص ١٩٦). هذا المصطلح مأخوذ من مفهوم الصدام الثقافي

الذي تم استخدامه خلال الفترة الاستعمارية و Belle poque.

بعد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م في أمريكا، عندما أعلن الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش (الحرب على الإرهاب). هناك هدفان للحرب ضد الإرهاب، وهما: «هدف قصير المدى لهذه الحرب يجب أن يكون تدمير الإسلام المتشدِّد؛ لكن الهدف طويل المدى لهذه الحرب هو تحديث الإسلام». إن الحرب على الإرهاب في جوهرها هي حرب ضد الإسلام، لأنها تحاول إعاقة تأسيس الإسلام ككيان مثالي في الحياة، لتحلَّ محل هيمنة وسيطرة الغرب على العالم (بايب، ٢٠٠١م).

وأصدر مجلس الاستخبارات القومي (NIC) (٢٠٠٤م) ، وهو مؤسسة تتكوَّن من منظَّمات استخبارات عالمية مختلفة مقرها في الولايات المتحدة، نتائج دراستهم حول أربعة سيناريوهات عالمية محتملة يمكن أن تحدث في عام ٢٠٢٠م. أولًا، عالم دافوس حيث تزداد قوة الصين والهند. ثانيًا، السلام الأمريكي عندما تستمرُّ هيمنة الولايات المتحدة. ثالثًا، خلافة جديدة عندما يصعد العالم الإسلامي ليصبح قيادة واحدة وهي الخلافة. رابعًا، دورة الخوف في عالم مليء بالفوضى والخوف(١٣).

بعد ذلك جاء المفهوم الذي قدمته زينو باران Zeyno Baran (٢٠٠٤ ؛ ٢٠٠٥) من معهد نيكسون Nixon Center، وهو مؤسسة فكرية أمريكية، لمواجهة الجماعات الإسلامية «الراديكالية» في مقال بعنوان «Fighting Mind and Ideas»(١٤). ترى باران صعود الإسلام لإعادة بناء الحضارة الإسلامية مدفوعًا من قبل الجماعات الإسلامية مثل حزب التحرير في آسيا الوسطى، والذي يقلق الغرب بشكل متزايد، وأنه يجب أن يوقف سدًّا في وجهه، وأن يُحمل ذلك على محمل الجد.

في عام ٢٠٠٤م، كتب دانيال بايبس مؤسس منتدى الشرق الأوسط المعروف أيضًا بأنه العقل المدبر وراء حركة الإسلاموفوبيا، مقالًا بعنوان «مؤسسة راند وإصلاح الإسلام». وترجمت لاحقًا آمال بايبس في تعديل الإسلام إلى استراتيجية بواسطة الباحثة في مؤسسة راند شيريل بينارد في كتاب: الإسلام المدني الديموقراطي: شركاء، موارد، استراتيجيات(١٥). وصف بينارد هذه المهمة بالبناء الديني، وهي محاولة لبناء دين إسلامي بديل، مخيفة أكثر بكثير من مهمة بناء الأمة.

وفي عام ٢٠٠٧م، وصف بينارد في كتابه «بناء شبكة إسلامية معتدلة / Building Moderate Muslim Network»، استراتيجية لبناء شبكة إسلامية معتدلة مؤيدة للغرب حول العالم. وقد تم تطوير هذه الاستراتيجية بتمويل من مؤسسة سميث ومؤسسة راند التابعة للصهيونية العالمية.

ما هي جداول الأعمال والاستراتيجيات الرئيسية في الكتابين من راند كورب Rand Corp؟ باختصار هناك ثلاث نقاط رئيسية:

أولًا: جهود المسلمين للعودة إلى نقاء التعاليم بعد فترة طويلة من التخلُّف والعجز في العالم الإسلامي على أنها تهديد للغرب وحضارة العالم الحديث، ويمكن أن تؤدي إلى تصادم

الحضارات (clash of civilization).

ثانيًا: لكي لا يصبح العالم الإسلامي تهديدًا، يجب أن يكون العالم الإسلامي قابلًا للديمقراطية والحداثة وأن يمتثل للقوانين الدولية لإحلال السلام العالمي.

ثالثًا: لذلك من الضروري تحديد نقاط القوة وتمييز الجماعات الإسلامية لمعرفة من كان منهم صديقًا أو عدوًّا للغرب، وأيهما سيدعم قوته، ومن سيدرب تحت الحماية، ومن سيضرب، وتنظيم الاستراتيجي بمعالجة الموارد الموجودة في العالم الإسلامي.

خلاصة الكلام، إنهم يريدون تأسيس الإسلام «على مراد راند كورب» الذي يخضع للغرب وتحت السيطرة الغربية. (١٧) يريدون شلَّ المفاهيم الأساسية في الإسلام كالجهاد والخلافة، وتشجيع الوسطية الدينية التي هي في الحقيقة العلمانية في الدين، وتقوية العلمانية الغربية. وفي أنظارهم، أن الدين ليس هو إلا إلهامًا وليس طموحًا؛ لأن الدين لا علاقة له بتنظيم الحياة. فهذه كلها مفاهيم هشَّة كهشاشة خيوط العنكبوت.

الغرب برُهاب الإسلاموفوبيا، يواصل محاولة إجهاض إقامة الخلافة؛ عن طريق توحيش صورة الخلافة من خلال استغلال وجود إرهابيي تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وسوريا أو تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش). والشام = صعود(ISIS-Islamic State of Iraq and Syria atau ISIL-Islamic State of Iraq and Levant=rising)، سوريا الكبرى (الجماعة المسلحة الفعلية أنشأتها الولايات المتحدة). بناء على اعتراف أوباما رئيس الولايات المتحدة: نحن نسرع في تدريب قوات داعش». (CNNI ، ٢٠١٥/٧/٩م) وتصريح هيلاري كلينتون، وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة (في Hard Choice ، ٢٠١٥/٨/٦م: الذين يدّعون أنهم أقاموا «خلافة»، من خلال نشر الإرهاب والعنف.

حتى إن الغرب من خلال حكام الدُّمى في المنطقة استخدم كل الوسائل، سواء كانت بقوة ناعمة (soft power) أم بقوة صلبة (hard power) اضطهادًا واعتقالًا وإجرامًا وإزهاقًا لأرواح المطالبين بالشريعة والخلافة في شتى أنحاء العالم بحجة التطرُّف، والتشدُّد، والإرهاب. هذه بعض مظاهر الهزيمة الفكرية والسياسية للغرب وحكَّامه الدُّمى في مواجهة العاملين لإقامة الإسلام والخلافة.

خاتمة

على كل حال، بعد أكثر من ١٠٠ عام على تدمير الخلافة، منذ عام ١٣٤٢/١٩٢٤هـ ، فإن الجهود التي يبذلها الغرب لدفع موجة النضال لإعادة تأسيس الحضارة الإسلامية التي تنشر الرحمة للعالمين، ستذهب هباءً، وستنتهي بالفشل إجمالًا؛ لأن الأمة قد استقام توجهها في طريق نهضتها الحقيقية، يعني الاقتداء بالرسول ﷺ، واستمرار الحياة الإسلامية بإقامة الإسلام كافة عن طريق إقامة الخلافة الراشدة الثانية. إن شاء الله تعالى.

هامش

(١) فيما يتعلق بمصطلح "رجل مريض" المشار إليه في العبارة: "رجل الدولة البريطاني جون راسل عام ١٨٥٣، في الفترة التي سبقت حرب القرم، ادعى نيكولاس الأول من روسيا أن الإمبراطورية العثمانية "رجل مريض - رجل مريض جدًا" و"رجل سقط في حالة من التدهور" و" رجل مريض... بمرض خطير" المصادر:

[١] كريستوفر دي بيليج. "ماضي تركيا الخفي". مجلة نيويورك للكتب ، ٤٨: ٤ ، ٠٨-٠٣-٢٠٠١.

[٢] كريستوفر دي بيليج. "رجل أوروبا المريض". نيويورك ريفيو أوف بوكس ، ٤٨:١١ ، ٠٥-٠٧-٢٠٠١. [٣] "الإمبراطورية العثمانية." موسوعة بريتانيكا للطلاب ، ٢٠٠٧م.

(٢) بي بي سي إندونيسيا (٢٠٢١). https://www.bbc.com/indonesia/٥٥٥٧٥٢٧٠-media

(٣) النبهاني ، تقي الدين (١٩٥٣) نظام الإسلام. القصص ، أحمد (٢٠٠٩) ، نشأ حضارة الإسلامية.

(٤) أوكسفام (٢٠٢١). https://ekonomi.bisnis.com/oxfam-/١١٩٢٠٨٨/٩/٢٠٢٠٠١٢٠/read ketimangan-ekonomi-dunia-diluar-kendali

(٥) المكتب الأمريكي للإحصاء (٢٠١٧). الجريمة في الولايات المتحدة حسب الحجم والمعدل لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة ١٩٩٨-٢٠١٧.

(٦) رئيس، أمين (٢٠٠٨). جدول الأعمال العاجلة للأمة. أنقذوا إندونيسيا !، PPSK Press: Yogyakarta

(٧) التجارة الحرة والعادلة ، الأجندة العالمية ٢٠٠٦ ، ص ١١١.

(٨) رئيس ، أمين (٢٠٠٨). المرجع السابق.

(٩) رئيس ، أمين (٢٠٠٨). المرجع السابق.

(١٠) ليفيتسكي وزيبلات (٢٠١٨). كيف تموت الديمقراطيات

(١١) بانكروست ، رضا (٢٠١٣). خلافة لا مفر منها؟ مطبعة أكسفورد.

(١٢) ويكيبيديا (٢٠٢١) الدخول: صموئيل هنتنغتون.

(١٣) مجلس المخابرات الوطني (٢٠٠٤). رسم خرائط العقود الآجلة العالمية.

(١٤) باران ، زينو (٢٠٠٥). خوض حرب الأفكار. الشؤون الخارجية ، نوفمبر / ديسمبر ٢٠٠٥ ، المجلد ٨٤ العدد ٦.

(١٥) بينارد ، شيريل (٢٠٠٧). بناء شبكة إسلامية معتدلة. شركة راند.

(١٦) المرجع نفسه.

(١٧) المرجع نفسه. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

«الانهيار» هو مصير الحضارة الغربية في عيون مفكِّرين غربيين

يوسف مصعب

الأرض المباركة فلسطين

مؤشرات كثيرة من الواقع وعناصر عديدة أخرى أصبحت من أسباب ما ينتشر باطّراد من تساؤلات عما ستؤول إليه مسيرة النهضة الغربية التي بدأت في أوروبا قبل نحو خمسمائة عام، وما إذا كانت هذه الأعراض المرَضية مؤشرات لانهيار وشيك أم مقدمات لانهيار بطيء.

بين أيدينا على سبيل المثال دون الحصر بعض المؤشرات مما نعايشه بتسارع كبير:

١. ظاهرة شعبوية التطرف اليميني الغربي واقترانها باسم رئيس «دولة كبرى» ترامب، وهذا بعد سلسلة حروب بوش المدمِّرة الخاسرة، وبعد مراوغات أوباما المتواصلة دون إحداث «تغيير» موعود.

٢. سطحية وانتهازية التعامل مع جذور أزمات مالية دولية، واقترانها بصعود التنافس مع دول وقوى بارزة في ميادين متعددة.

٣. ضعف الاتحاد الأوروبي وبداية تفكُّكه بخروج بريطانيا منه.

٤. ضياع معالم الأسرة التقليدية اجتماعيًّا وانهيار القيم وتفكُّك المجتمعات الغربية وازدياد ظاهرة العنصرية.

٥. تعاظم مشكلات كبرى على الصعيد الإنساني، بدءًا بتبدُّل المناخ العالمي، مرورًا بهوة التقدم والتخلف، انتهاءً بموجات التشريد والهجرة واللجوء.

٦. التعامل الهمجي والدَّموي مع الثورات الشعبية والحروب الأهلية والانتهاكات الواسعة، واهتراء مفعول منظومة القيم والحقوق الإنسانية التي كانت المحرِّك الأول لولادة الحضارة الغربية الحالية.

٧. الظلم والجوع والفقر والحروب... يرافقها التردِّي المريع في منظومة القيم؛ حتى أصبح العالم كالغابة يحكمها الذئاب.

ومع ذلك استطاعت الرأسمالية القيام بالترقيعات وطعَّمت نفسها بالاشتراكية وشيء من العدالة الاجتماعية، وما زالت تتأقلم مع الواقع، وقد تطوَّرت - في ظل الرأسمالية - العلوم والصناعات والتكنولوجيا والأسلحة وغيرها من مظاهر المدنية، مما أوهم الناس بصلاحية هذه الحضارة للبشرية وقدرتها على معالجة المشاكل الإنسانية؛ ولكن إلى متى سيبقى النظام الرأسمالي قادرًا على التأقلم والترقيع وإدارة الأزمات؟

لقد ظهرت بوادر التراجع والانكماش لغروب شمس الحضارة الغربية، وبدأت من داخل أمريكا نفسها؛ حيث يذكر المفكر الأمريكي «**باتريك جيه بوكانن**»، وكان يعمل مستشارًا لثلاثة رؤساء أمريكيين سابقًا، وكاتبًا

سياسيًا في أكبر الصحف الأمريكية، وله العديد من الكتب الشهيرة، ذكر في كتابه **(موت الغرب)** أن الحضارة الغربية في طريقها المحتوم للانهيار لسببين، **الأول:** موت أخلاقي بسبب انهيار القيم الأسرية والتربوية، **والثاني:** موت ديموجرافي أو بيولوجي نتيجة موت الأخلاق وتراجع القيم الدينية والأسرية، مما أدَّى لتناقص السكان بشكل خطير، وأصبحت معظم الدول الغربية الآن تعاني تراجعًا كبيرًا في عدد السكان وانتشار الشيخوخة؛ نتيجة انهيار القيم الدينية والأسرية.

ويضيف أن **موت الغرب مسألة وقت**؛ لأن المرض خطير ومن داخل المجتمعات الغربية ويتعاظم، والمرض من صنع أيدينا وأفكارنا وليس بسبب خارجي، وهذا المرض ينهش بقوة في شباب الأمة؛ حيث انخفضت بشدة نسبة الزواج ونسبة خصوبة المرأة الغربية مع الحرية الجنسية وانتشار المثلية، وتراجع القيم الدينية والأسرية.

عمومًا، تنطلق فرضيات المفكرين الغربيين حول سقوط الحضارة المادية الغربية من أسباب ثقافية حضارية وأخرى موضوعية مادية، وطرحها في الغرب قديم متجدِّد، ويقتصر حديثنا التالي على أمثلة موجزة دون محاولة الإحاطة الشاملة بتلك الفرضيات وبتطورها وتفرعها.

ولعل أكثر من أثار الجدل التاريخي مبكِّرًا الفيلسوف الألماني **أوزفالد شبرينجلر** في كتابه **(انهيار الغرب)**، وقد ظهرت مقدماته عام ١٩١٢م (أي قبل الحرب العالمية الأولى، وقبل الأزمة المالية الكبرى بعدها) ثم تجاوزت أطروحات الكاتب حدود ألمانيا مع طبعة الكتاب عام ١٩١٨م. وقد انطلق في تعليل توقعاته من منطلقات فلسفية وثقافية، ومن مقارنات تاريخية متطاولة لمقوِّمات صعود حضارات سابقة وضمورها، فلم يتوقع الكاتب أن تكمل الحضارة المادية الحديثة القرن الخامس من عمرها.

في الواقع، إن المفكرين الغربيين لم ينقطعوا عن التحذير من «الانهيار» وإن اختلفت تعليلاتهم، ولعلَّ سواد منطق التعليل «المادي» في الحياة الغربية عمومًا جعل أغلب تعليلاتهم الحديثة تميل إلى استخدام المنطق المادي، بمعنى الاستشهاد بمآلات مسارات اقتصادية ومالية ملموسة في الإطار الحضاري الغربي، ومنها ما عبَّر عن نفسه في أكثر من أزمة مالية عالمية، إنما كانت مخاوف المفكِّرين تتوالى من قبل ما يعرف مثلًا بـ «نادي روما»، وقد تأسَّس عام ١٩٦٨م من خبراء من ثلاثين بلدًا، واشتهر عبر كتاب **(حدود النمو)** عام ١٩٧٢م، وفيه نقد اعتبار «نسب النمو الاقتصادي» المحضة معيارًا للتقدم والرفاهية، وقد حذَّر من وصول ذلك إلى درجة تمنع متابعة طريق التقدم الفعلي في خدمة البشرية، ولا يزال نادي روما ينشر حصيلة أفكار أعضائه من مقره الجديد في سويسرا، ولا يخلو بعضها من تحذيرات مشابهة.

إن توقعات سقوط الحضارة الغربية

وانهيار الرأسمالية، وعلى رأسها أمريكا بوصفها قائدة الحضارة الرأسمالية حاليًّا، ليست قاصرة على بعض مفكري المسلمين، بل هي صدرت وما زالت تصدر من مفكري وسياسيي الغرب أنفسهم. فهم يدركون من دراسة التاريخ أنه لطالما انهارت مجتمعات، ولم تخلُ حضارة على مَرِّ التاريخ، وإن بدت في ظاهرها قوية، من مواطن الضعف التي قد تدفع بالمجتمع إلى الهاوية.

فعلى سبيل المثال، المفكر الأمريكي المشهور **بول كينيدي** نشر كتابًا بعنوان **(صعود وسقوط القوى العظمى)** عام ١٩٨٧م، فذكر أن الولايات المتحدة تزحف عليها أعراض سقوط الإمبراطوريات، وتنبَّأ فيه بسقوط الإمبراطورية الأمريكية بالمعنى التاريخي للكلمة، بما يعني اضمحلال قوتها تدريجيًّا لصعود قوى عظمى منافسة مثل الصين نتيجة عوامل داخلية بنيوية، وأنه إذا زادت الالتزامات الاستراتيجية للدولة العظمى عن إمكاناتها الاقتصادية فإنها تسقط، وهذا هو المصير الحتمي لأية إمبراطورية!

وهو أمر اختلف معه «**شبنجلر**» الذي رأى أن كل حضارة كيان قائم بذاته، وأن الحضارة ظاهرة متفردة، تتخشَّب وتتيبَّس مفاصلها، ثم تنهار، ووقّت شبنجلر لنهاية الحضارة الغربية بعنوان صارخ: «انهيار الغرب»، وهو موت لا رادَّ له، على امتداد القرون القادمة. ويرى **شبنجلر** أنّ هناك عاملين رئيسين يؤديان إلى اندثار الحضارة، وهما: وجود قوة أكبر من قوة الحضارة نفسها، وكذلك وصول هذه الحضارة إلى صورتها النهائيّة.

ويرى **أوزفلد شبنجلر** أن الحضارة الواحدة تمرُّ بثلاثة مراحل: تبدأ بالنشأة والتكوين، ثم النضج والاكتمال، وتنتهي بالشيخوخة والانحلال حتى الموت والفناء، ولن تعود للحياة أبدًا... فالتاريخ بهذا المعنى يكمن في تواريخ كل من هذه الثقافات، ذلك أن الثقافة الواحدة كائن حيّ، له طريقه واتِّجاهه الذي لا يمكن أن يحيد عنه، والذي ينتهي إلى الشيخوخة ثم الفناء.

ويدلِّل على ذلك، بأن الحضارة الغربية بكل إنجازاتها التي حققتها بتقدمها العلمي والتكنولوجي والصناعي .. تسير الآن نحو الركود والجمود، بعد أن أخذت تفقد مقوِّمات حيويتها ونشاطها وقدرتها على الخلق والإبداع اللازم لاستمرارها، الأمر الذي يؤدي لا محالة إلى اندثارها وفنائها، وانتقال دورها إلى آسيا التي تدل كل الشواهد على أن حضارة الجنس الأصفر سوف تأخذ مكانها، تمامًا مثلما حدث عندما انتقل هذا الدور من اليونان إلى الرومان.

وهذه النتيجة التي توصل إليها **شبنجلر**، تتفق مع آرائه في تغير الثقافات والحضارات؛ حيث يرى أن عمر الثقافة الواحدة يصل إلى حوالى الألف عام، وأن الحضارة الغربية التي بدأت - في رأيه - حوالى عام ٩٠٠م، تعيش الآن مرحلة احتضارها، حيث تشهد حالة من التدهور والجمود التي سوف تنتهي باندثارها وفنائها .

وشبّه **بنيامين فريدمان** – الخبير الاقتصادي

السياسي - المجتمع الغربي بالدرَّاجة الثابتة التي يُسيّر عجلاتها النمو الاقتصادي، فإذا ما تباطأت هذه الحركة الدافعة إلى الأمام أو توقفت، ستهتز ركائز المجتمع، مثل الديمقراطية والحريات الفردية والتسامح وقبول الآخر، ولو لم نستطع إعادة الحركة إلى العجلات، سينهار المجتمع برمته.

ويدّعي **جورج باكر** أن تراجع أمريكا يرجع إلى عدم المساواة؛ حيث يقول: «إن عدم المساواة يحوِّل المجتمع إلى نظام طبقي، ويُفسد الثقة بين المواطنين، ويَستنزف الرغبة في تصور حلول طموحة لمشاكل جماعية كبيرة... وهو يقوّض الديمقراطية».

ويرى **نيال فيرغسون** أنه لن يكون هناك تراجع بطيء وثابت في صدارة أمريكا للعالم، فهو يقول: «...بدلًا من ذلك، فإن الإمبراطوريات مثلها مثل جميع الأنظمة المعقَّدة التي توازن نفسها، تظهر في حالة توازن واضح لفترة غير معروفة، ثم تنهار فجأة دون سابق إنذار».

ويقول **راندرز:** «مع حلول عام ٢٠٥٠، سينقسم المجتمع في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة إلى طبقتين، إذ تعيش حفنة من الأثرياء في رغد من العيش في حين تتدهور الأوضاع المعيشية للغالبية، ومن ثم ستنهار العدالة الاجتماعية».

أما **أولريش شيفر** في كتابه **(انهيار الرأسمالية: أسباب إخفاق اقتصاد السوق المحررة من القيود)** سنة ٢٠١٠م، فيخلص إلى نتيجة مفادها أن المستقبل مرهون بمدى التغيُّر الذي سيطرأ على الأخلاقيات السائدة في المجتمع، وعلى إدراك الجميع أن مبدأ المسؤولية الاجتماعية لا يقل أهمية عن مبدأ السوق الحرة، وإذا تم تجاهُل هذه الحقائق فإن مصير النظام الرأسمالي معرَّض للمصير نفسه الذي آلت إليه الاشتراكية، وهو الانهيار والاختفاء من الوجود.

وأما المؤرخ الأمريكي **ويل ديورانت** فيعتبر بأن الانهيار الأخلاقي والديني والقيمي في مقدمة عوامل سقوط الحضارة، ويذكر بأن الحضارات العظيمة لا تنهزم إلا عندما تدمر نفسها من داخلها.

ويجمع الباحث الأمريكي **بروس ج. براندر** في كتابه (رؤية الفوضى: استطلاعات رأي انحسار الحضارة الغربية) آراء أشهر مؤرخي وفلاسفة وعلماء الاجتماع في أوروبا عن رؤيتهم لانحسار وضعف الحضارة الأوروبية وما يتبعه من فوضى، وعما إذا كانت ستولد حضارة جديدة بعدها.

يحاول **براندر** للإجابة عن أسئلة صعبة وعميقة مثل: ما مستقبل الحضارة الغربية؟ وما هي وجهة نظر المفكرين الأوروبيين عن أسباب الانحسار؟ وما أدلتهم عن ضعف الحضارة الغربية؟ هل هي دورة التاريخ حيث إن الحضارات مثل الإنسان لها فترة بدء ثم قوة ثم ضعف، أم أن انهيار الروحانيات والقيم من أسباب هذا الانهيار؟ أم أنه توجد أسباب أخرى؟

يستكشف **براندر** وجهة نظر تقول إن

الحضارة الغربية وصلت إلى نهايتها، على الأقل من الناحية المادية والتقنية، والتي هيمنت بشكل توسعي على العالم طوال خمسة قرون. بدأ المؤلف في تكوين رؤيته للفوضى وتفكُّك الحضارة الغربية من تحقيق كتابات نحو أربعة وعشرين مفكرًا اجتماعيًّا، كان لهم صوت مدوٍّ في التحذير من الانحدار منذ منتصف القرن التاسع عشر، وبينهم **تولستوي، وجاكوب بوركهارت، وهنري وبروكس آدمز، وألبرت شفايتزر**. ثمّ بتحوُّله إلى المنظِّرين الثلاثة الأبرز في قضية الانحدار؛ حيث كرَّس الجزء الأكبر من كتابه على دراسات **لأوزوالد شبنجلر، وأرنولد توينبي، وبتريم سوروكين؛** حيث شارك المفكِّرون الثلاثة فى عرض نادر ووضوح رؤية لعوامل الانكسار والانحسار ومستقبل الحضارة الغربية.

يختلف العديد من المفكِّرين الذين اكتشفوا انحدارًا في الثقافة الغربية في تناولهم للموضوع، فالبعض منهم يأتي بأفكاره عن طريق الحدس، والبعض الآخر يستلهم الأنماط الموجودة في التاريخ أو الاقتصاد أو علم النفس أو علم الاجتماع، ويعتمد البعض الآخر على الحقائق التي يجمعونها من خلال العلم التجريبي كما يختلفون في مدى رؤيتهم لانحسار الحضارة الغربية.

وجمع **ب. ج. براندر** خلاصة آراء المفكِّرين حول انحسار الحضارة الغربية؛ حيث التقت أفكارهم في بعض النقاط حول عوامل الانحسار وأدلته وكيفية وقف هذا الانحسار ومستقبل الحضارة الغربية، ويمكن إيجاز مجمل رؤى هؤلاء المفكِّرين كما ورد في هذا الكتاب فيما يلي:

أولًا: طبيعة الحضارات (دورة التاريخ): بيَّن المفكِّرون والمؤرِّخون الأوروبيون أمثال **شبنجلر** في كتابه (انهيار الغرب) أن فكرة انهيار الثقافة الغربية تقوم على الدورات التاريخية للحضارة وثقافات البشر؛ حيث تنمو في مرحلة الطفولة والشباب الثقافي وتعلو وتظهر ثم تختفي، ويعتبر شبنجلر الثقافات كائنات حيَّة تدخل في دورات ثابتة ومتوقَّعة تمامًا وتحكم الضرورة التاريخية الوجود الثقافي.

ومن وجهة نظر **توينبي** يتولَّد الانحطاط لا بالقانون الطبيعي بل من داخل المجتمع نفسه من فشل الإنسان من دون أن يتضمَّنه عنصر الضرورة، ويؤكد أن الانحدار مسألة اختيار ملحّ مستمر، وقال: أؤمن بحرية إرادة الإنسان بتجاوبه بكل قلبه وروحه عندما تعرض عليه الحياة تحديًّا. أي يبدأ الانحطاط عندما يعجز الإنسان عن مواجهة التحديَّات فهو صاحب نظرية التحدِّي والاستجابة. وعندما تتوقف الحضارة وتنزلق في التفكُّك، يرى **توينبي** أن الانحطاط من غير المحتمل أن يكون أقل صرامة، وقد وضَّح هذه النظرية المؤرخ الروماني فلورس فذكر أن المراحل التى تمرُّ بها الحضارات هي: مرحلة التكوين genesis ثم مرحلة النمو growth ثم مرحلة الانحدار decline كنمط موحد لتغير الحضارات.

ويقول **بتريم سوروكين** إن الثقافة

والحضارة لا تنمو بالمعنى التطوُّري؛ ولكن تتغير من مرحلة تصورية – روحية، إلى مرحلة متوسطة - مثالية، ثم إلى مرحلة مادية - حسية. وبالنضج وبالوصول إلى هذه المرحلة تتغيَّر إلى العكس من المادية إلى الروحية، أي يرى العديد من المفكِّرين الغربيين أن الانحسار للحضارة الغربية قادم لا محالة، طبقًا لدورات التاريخ وفلسفته؛ حيث لا بد من مرور الحضارات بفترة التكوين ثم القوة ثم الضعف والانهيار.

ثانيًا: نماذج من الماضي على انحسار الأمم والحضارات: يجمع المؤلف أمثلة لسقوط الأمم السابقة والإمبراطوريات القديمة، فعندما تصل الحضارة إلى فترة الضعف، فان مفكِّري العصر لن يمنعوها من السقوط، فيتحدَّث عن رؤية أفلاطون في كتابه الجمهورية Republic لإنقاذ بلاد اليونان والتي وضعها في المدينة اليونانية القوية سرقوسة؛ ولكن دون جدوى؛ لأن بلاد اليونان كانت في مرحلة السقوط. وحاول القائد السياسي ماركوس توليوس شيشرون الإبقاء على النظام الجمهوري القديم في روما، مع ذلك لم يتمكَّن من إيقاف الانحدار الذي حلَّ بروما القديمة.

ثالثًا: مظاهر انحسار الحضارة الغربية: يقول **إدوارد جيبون** في كتابه «انحدار وسقوط الإمبراطورية الرومانية» إن الكارثة التي حلت بروما في القرن الخامس قبل الميلاد يمكن أن تباغت الحضارة الغربية، أيضًا. ويضرب المؤلف مثلًا على الانحطاط من خلال الحروب الضخمة التي شهدتها أوروبا مثل الحربين العالمية الأولى والثانية وأن الحروب الكبرى لم تنتهِ بعد، وهي دليل على الانحسار وعدم التحضُّر حيث تسبَّبت في موت ملايين البشر من دون ذنب.

كما يوضح الكاتب أن العالم الغربي في الوقت المعاصر خليط من التنوُّع متَّسم بالفوضى؛ حيث تشهد المملكة المتحدة إصرارًا متكرِّرًا للانفصال عن سكان ويلز واسكتلندا، ويملأ الكاثوليك والبروتستانت شوارع ألستر بالدم، وهناك تمييز بين الفلمنك والواليين في بلجيكا والباسكيين والكاتاليين في إسبانيا، والجوراسيين في سويسرا، والصرب والكروات والبوسنيين في يوغسلافيا السابقة، والكويبكيين في كندا. وفي الولايات المتحدة الأمريكية، فإن المزيج الاجتماعي الذى أطلق عليه الكاتب المسرحى البريطاني إسرائيل زانجويل Israel Zangwill في عام ١٩١٤م اسم البوتقة المنصهرةThe Melting Pot ، ينفصل إلى أمريكيين إسبان وأمريكيين أفارقة وأمريكيين أصليين والواسب. ويزعم المواطنون المولودون في الأرض فخرهم بأنهم أيرلنديون وإيطاليون وبولنديون ويونانيون وأرمينيون فهم ليسوا بالضرورة أمريكيين. وعقب الاضطرابات الحادة التي شهدتها ولاية لوس أنجلوس عام ١٩٩٢م تجرَّأت صحيفة لندن إندبندنت London Independent في تصريح هام قالت فيه: «تتفكك الولايات المتحدة خيطًا بخيط بشكل يشابه إلى حد

كبير الاتحاد السوفياتي أو يوغوسلافيا أو أيرلندا».

ويقول الباحث الأميريكي **هارولد آر . إسحاق** Harold R.Isaacs: ليس ما نعانيه هو تشكيل تماسكات جديدة، بل انقسام العالم إلى قطع وأجزاء وانفجار مثل النجوم الكبيرة والصغيرة من مجرَّات متفجِّرة وتكون كل منها أجزاء منفصلة، كل منها يجاهد للإمساك بأجزائه المنفصلة؛ حيث إنه تجمُّع ضخم عالمي متشنِّج من الناس مع تنوُّع في التجمعات (القبلية والعرقية واللغوية والدينية والقومية)، كما تنفذ الانشقاقات بعمق في المؤسسات العامة والجماعات والأعمال التجارية والأديان وتظهر بصورة عامة في القيم الأخلاقية الضعيفة والثقة المتناقصة وعدم الأمان الاقتصادي والجريمة المتزايدة والانتحار والإباحية الجنسية والطلاق، ولا تقلِّل تلك الانشقاقات المؤلمة التي تفرق أرواح الناس والتي تحدث عنها علماء الاجتماع والشعراء وعلماء النفس والروائيون من شعور بالضيق ذهنيًا وعاطفيًا على أنه شذوذ وخلل وظيفي اجتماعي وأشكال مختلفة من الضياع والانحدار، وكعلامة أخرى على الانحدار، تتآكل المدن الضخمة من الريف، ويقضي الناس في المدينة حياة مليئة بالتوتر الشديد في العمل واللعب والعلاقات الإنسانية التي تجرّد في النهاية من العمل المرضي.

ويرى **جاكوب بوركهارت** أن عوامل الانحدار في الحضارة الأوروبية الحالية متوافرة أهمها: الكساد الاقتصادي والحروب والاستبداد وسيطرة المادة على الحياة الغربية.

رابعًا: مستقبل الحضارة الغربية وكيفية تفادي الانحدار: أيقن العديد من مفكِّري الغرب أن الانحسار والتفكُّك الحضاري الغربي قادم، وقدموا الحلول لتفادى ذلك، ورأى **جاكوب بور كهارت** عوامل الانحدار في الحضارة الأوروبية الحالية من الكساد الاقتصادي والحروب والاستبداد وسيطرة المادية؛ لكنه يرى أن الانحدار ممكن أن يتوقف بواسطة عدد من الناس الذين يعيشون المسيحية الأصيلة. أما **توينبي** فيقدم مقترحًا لتفادي الانحدار الغربي بإعادة التحوُّل الغيور إلى الإيمان الديني الأصلي للثقافة.

ورأى **بوركهارت** العلاج في تجديد روحي لاستمرار الحضارة الغربية. وأكد **شفايتزر** أن الفلسفة الأخلاقية هى العلاج للوضع الغربي المنحدر والمتجه نحو الفوضى.

ويتنبَّأ المؤرخ **جون م روبرتس** . John M Roberts في كتابه (تاريخ أووربا) HISTORY of Europe بأن الدور الأوروبي العالمي يتآكل، وأن الادِّعاء بأن أوروبا وارثة المسيحية لن يكون له معنى، وهو يعتقد في مجتمع وثني جديد ما بعد المجتمع المسيحي. وكذلك يرى العالم **صموئيل هنتنغتون** أن الغرب في حالة انحدار ومهدد بالحضارات الناهضة كاليابانية والصينية.

وعلى الرغم من ذلك، لا يتوقع كل مراقبي الغرب المعاصرين السقوط الوشيك للحضارة الغربية؛ حيث يرى البعض مثل **هنرى آدمز**

وبردايائيف وسوروكين أن النهاية وشيكة، بينما يعتقد آخرون مثل **شبنجلر وتوينبي** أن الثقافة قد تمضى متثاقلة لقرون. وفي الوقت نفسه يتفق معظم المحللين أن بعض الاتجاهات الرئيسية تقيس مراحل الانحدار.

وعن توقع حدوث حروب في المستقبل، كما يقول الرئيس التشيكي **فاكلاف هافل**، فإن هذه الحروب لا تتمحور حول العقائد بل حول الثقافات، وأن الأمم ذات الثقافات المتشابهة سوف تلتقي وتتشكل الانحيازات على طول خطوط الجماعات الثقافية سبع أو ثماني حضارات من بينها الصينية والإسلامية والغربية والسلافية والروسية والأرثوذكسية والهندية. ويأمل **هنتغتون** أن تتوحد بلدان الغرب من أجل الدعم المتبادل وتشكيل القوة الأعظم، وينصح لتفادي الحرب أن يشكل العالم دوائر نفوذ حضارية تحترم كل منها خصوصية الآخر، ويلحُّ مع **توينبي** على أن تفكر الشعوب في كل الحضارات عالميًّا وتتعرف على القيم والأعراف والعادات المشتركة بينها.

وإزاء رؤية الفوضى والتفكُّك للحضارة الغربية، رأى عدد من كتَّاب الغرب أن وقف الانحدار والفوضى يجب أن يكون بالعودة إلى الأخلاق البشرية لإنقاذ الحضارة، كما قال **شبنجلر** أن التجديد الديني هو النفس الأخير في حضارة محتضرة.

إنه من الواضح أن النخبة العلمانية الرأسمالية وعلى رأسها المفكرون الغربيون قد نفدت منها الأفكار الإبداعية لكيفية حل مشكلات المجتمع المعقدة. وهم قد ركنوا إلى قوة حضارتهم بعد انهيار الحضارات المنافسة؛ لذلك سيركنون إلى الراحة والاستقرار، ثم ستنحطُّ هذه الحضارة شيئًا فشيئًا، وستستعصي عليها المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وستزداد بالذات حدة أزماتها الاقتصادية، ولن تجد مخرجًا منها إلا بتصديرها إلى غيرهم بالمزيد من الاستعمار والاستغلال والتوحش. وهذا سيؤدي إلى مزيد من الاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية داخليًا، كما حصل في حركة «احتلوا وول ستريت» في أمريكا، ثم ما حدث لاحقًا في فرنسا في حركة «السترات الصفراء»، وما حصل إبَّان خسارة «ترامب» انتخابات الرئاسة في الفترة الثانية وحالة الانقسام الشديد في المجتمع الأمريكي وبروز ما حاول الغرب إخفاءه وإنكار وجوده لعقود كالعنصرية والتفكُّك المجتمعي. وربَّما يؤدي هذا إلى أن تنقسم بعض دول الغرب، كأمريكا، أو تضعف، وقد تشتعل حروب بين أهل هذه الحضارة أنفسهم نتيجة الأطماع الاستعمارية والتنافس على الثروات. وعلى الصعيد الخارجي سيزداد كره العالم للرأسمالية وستظهر في أطراف العالم مقاومة مختلفة الأشكال لاستعمارها، وقد تشتعل حروب دولية أو محلية؛ في انتظار البديل الحضاري الذي ينقذ البشرية مما آلت اليه أوضاع العالم في ظل وصاية وهيمنة الحضارة الغربية.

إن الحضارة الرأسمالية، رغم فسادها وترنُّحها، فإنها لن تسقط من تلقاء نفسها؛ لأن

الفراغ ضد سنن الحياة، وسنة التدافع لازمة. وإننا كمسلمين، ومن خلال معرفتنا بسنن الله ومعرفتنا بأسباب زوال الحضارات والأمم، ندرك أن هذه الحضارة فاسدة كما أدرك ذلك كثير من مفكريها، وهي لا تصلح لإسعاد البشر ومعالجة مشاكلهم بسبب عوامل ذاتية فيها نابعة من عقيدتها الفاسدة، وعدم اعترافها سوى بالقيمة المادية، علاوة على عدوانها وظلمها وتعاليها على غيرها من البشر، فهي التي أفرزت العبودية والاستعمار والصراعات الدموية بين البشر. كما أنها سبَّبت الشقاء لأهلها بحروبها القومية والحدودية، ثم خاضت حربين عالميتين خلال القرن العشرين قتلت عشرات الملايين من أهل أوروبا والعالم.

إن سنن الله في الأمم فاعلة، وهي ستفعل فعلها في الرأسمالية كما فعلت في غيرها، فالله جعل لكل أمة أجلًا، وهذا ينطبق على أمم الرأسمالية ودولها، ولكن هذا لا يحدث ذاتيًا، وستكون نهاية هذه الحضارة الفاسدة فقط بأسباب خارجية، أي بتدافع غيرها من الأمم معها لإيقاف إفسادها، فالله تعالى سنَّ سننًا لإهلاك الفاسدين كسنة الإملاء، وسنة إهلاك المترفين، وسنة التداول، وجعل خاتمة سننه سنة وراثة الصالحين والمتقين للأرض.

وسنة التدمير الشامل للقرى والدول كانت موجودة قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن بعد بعثته لا يوجد إهلاك شامل كما حصل للأقوام السابقة المكذبة لأنبيائها، وإنما يعاقبها الله بمختلف صنوف العذاب حسب نوع الجريمة التي يقترفونها، أو يسلط عليهم عباده المؤمنين فيتبِّرون ما علا به أهل الفساد والظلم تتبيرًا؛ ولذلك يتوقع أن يسلط الله عليهم عبادًا له ليتدافعوا معهم، ثم سيهلك الله المفسِدين، فمن هو المرشح من الأمم لدفع إفسادهم؟

إننا نرى أن ذلك سيكون، بمشيئة الله، بواسطة المتَّقين الصالحين ورثة الأرض بعد الرأسمالية، وهؤلاء هم المسلمون. وبما أن حضارة الإسلام مميَّزة، وبقاءها من سنن الله فهي لن تفنى، بل ستعود من جديد لتتجسد في دولة تحمل الإسلام؛ ليتحقق بها وعد الله بالتدافع والصراع بين الحضارة الصالحة والحضارة الفاسدة فتصرعها وتنتصر عليها. فالحضارة الإسلامية، وإن سقطت دولتها التي كانت تحملها وتطبقها وتنشرها في العالم، الا أن هذه الحضارة ما زال يحملها مئات الملايين من البشر كعقيدة وأحكام يدينون بها، وما زال يحملها ثلة منهم حملًا فكريًّا وسياسيًّا سعيًا إلى إعادة الدولة التي تطبق أحكامها وتحملها حملًا مؤثرًا وقويًّا إلى العالم لتعيد صياغة الحياة صياغة جديدة تقوم على قيم الإسلام الرفيعة ونظرته الصحيحة للوجود.

وسيجد أهل الإسلام باذن الله بأن الظروف الدولية حولهم مؤاتية لنشر حضارتهم، وسيجدون تأييدًا من شعوب العالم التي قُهرت وظُلمت من الرأسمالية، كما وجدها أجدادهم الصحابة عند فتحهم للعراق والشام ومصر، وسيدخل الناس في دين الله أفواجًا، وسيبلغ ملك أمة الإسلام ما بلغ الليل والنهار، وما ذلك على الله بعزيز. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

ماذا يعني إقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوَّة

محمد عبد الملك - اليمن

لقد خلق الله البشرية على هذه الأرض ولم يتركهم سدى ليعيشوا حسب ما تمليه عليهم أهواؤهم، بل هيَّأ لهم سبل الهداية، فبعث إليهم الأنبياء والرسل برسالة التوحيد ليعرف الناس خالقهم، وما الدور الذي أسنده إليهم، وما هي الأسس والأفكار التي تنظم طريقة عيشهم لتستقيم لهم الحياة ويُقام العدل وينتشر الخير بين الناس... فآمن بهؤلاء الأنبياء والرسل من آمن وكفر بهم من كفر، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ﴾. وكان خاتم هؤلاء الأنبياء والرسل محمد رسول الله ﷺ الذي بعث برسالة الإسلام التي تفرَّدت عن غيرها من الرسالات بأنها إلى الناس كافَّة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ وقال تعالى﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ فالإسلام مبدأ له عقيدة عقلية سياسية انبثق عنها نظام حياة؛ فلم يقتصر على أفكار العقيدة والمعالجات، بل بيَّن لنا كيفية حماية العقيدة وكيفية حمل الدعوة للعالم وكيفية تنفيذ المعالجات.

وقد جعل الله الإسلام صالحًا لكل زمان ومكان، وجعل فيه المعالجات التي تحلُّ كل مشاكل الإنسان في الحياة مهما تغيَّرت وتنوَّعت وتجدَّدت، وسواء أكانت اقتصادية أم سياسية أم اجتماعية أم روحية، قال تعالى ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ فما من صغيرة ولا كبيرة من مشكلات العالم اليوم إلا وقد بيَّنها الإسلام للإنسان، فما على المسلمين اليوم إلا أن يعودوا إلى الإسلام عودة صادقة ويحسنوا فهمه ويوصلوه إلى سدَّة الحكم ويحسنوا تطبيقه، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ ولم يترك الإسلام مجالًا للهوى أن يُتَّبع، ولا للعقل أن يتحكم بالبشر، قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**» رواه البخاري.

وحين نقف مع سيرة المصطفى ﷺ في مكة المكرمة، نجد أنه ﷺ كان يسعى إلى تأسيس دولة تطبِّق الإسلام في واقع الحياة وتحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى، فلقي في سبيل ذلك ما لاقى من الإيذاء والاتهام والدعاوى الكاذبة؛ فتحمَّل مع أصحابه كل أصناف العذاب والأذى وصبر على ذلك، ثم طلب النصرة من القبائل التي كانت تأتي إلى مكة المكرمة في موسم الحج، وخرج إلى الطائف وغيرها من

القبائل خارج مكة دون كلل ولا ملل، فمنهم من ردَّه بالحسنى، ومنهم من اشترط عليه أن يكون له الأمر من بعده، ومنهم من يريد أن ينصره على العرب دون العجم، ومنهم من كان ردُّه قبيحًا... والرسول ﷺ يأبى إلا أن تكون النصرة لله وحده، ويكون الأمر كله لله، ثم استمرَّ رسول اللّه يطلب النصرة ليقيم للإسلام دولته؛ لأنه يدرك أن معظم أحكام الإسلام وأوامره لا تطبَّق في حياة الناس إلا بدولة. فما هدأ له بال، وما قرَّ له قرار؛ حتى أراد الله أن تكون المدينة المنورة هي أول دولة للإسلام أقامها رسول الله فطبَّق فيها الإسلام في واقع الحياة.

لذلك تُعد الدولة التي تحكم بالإسلام (دولة الخلافة) هي الطريقة الشرعية الوحيدة لتطبيق الإسلام بكل أحكامه، فمن دونها تتعطَّل أحكام الشرع، ويتحوَّل الإسلام إلى دين كهنوتي روحي يقتصر على الأخلاق والعبادات والأحكام الفردية الشخصية؛ لذلك يُعد العمل لإقامتها عند غيابها عن واقع الحياة واجب شرعي يثاب القائم به ويأثم المقصِّر فيه.

بعد أن طُبِّق الإسلام في المدينة المنورة بقيادة النبي ﷺ، تحقَّق الاستخلاف في الأرض، ورفعت راية الإسلام وتحرَّكت السرايا والجيوش للجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام وحمله إلى العالم وانتشر الإسلام في الجزيرة العربية؛ لينتشر فيما بعد الرسول ﷺ في العالم كله.

وكان رسول اللّه ﷺ قائدًا وحاكمًا للدولة الإسلامية يطبِّق فيها الإسلام وينشره في ربوع الأرض حتى توفَّاه الله. وبعدما تُوفي ﷺ ورحل إلى الرفيق الأعلى، كان الصحابة رضوان الله عليهم يدركون أهمية الدولة الإسلامية ودورها العظيم في تطبيق الإسلام وحمله كرسالة للعالمين، فبايعوا أبا بكر الصدِّيق خليفة عليهم قبل أن يدفنوا رسول اللّه ﷺ ما يدلُّ على أهمية هذا الفرض العظيم، وعُرفت بعد ذلك الدولة الإسلامية بدولة الخلافة الراشدة. فالخلافة هي رئاسة عامة لجميع المسلمين في الدنيا وتطبيق الشريعة على رعاياها، وتحمل الدعوة الإسلامية للبشرية كافة عن طريق الدعوة والجهاد وحُسن التطبيق، وهي يجب أن تكون قائمة على مدار الزمان، وإلى قيام الساعة، وإلا تعطَّلت معظم أحكام الإسلام.

هذا ولا بد أن تكون الخلافة الإسلامية هي القضية المصيرية للمسلمين؛ لأنها ليست فرضًا فحسب بل هي أعلى الفروض؛ لأنه لا يمكن لأحكام وأوامر الإسلام أن تطبَّق على الناس إلا بإقامة الخلافة، فبها تقام الحدود، وتصان الأعراض والأموال والعقول والأنفس، وبها يُنصر المظلومون، ويُعز المسلمون وتُجيِّش الجيوش ويُرهب الأعداء ويُنتشر الإسلام.

ولقد جاءت الأدلة الشرعية على وجوبها مستفيضة من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة، بل يمكن القول إن حياة الرسول ﷺ كلها إنما هي دليل على فرضيتها لالتصاقها

الوثيق بكل أعماله وأقواله، وسنستعرض بعضها:

أما في الكتاب، فقد قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ...﴾ ولا يوجب الشارع طاعة من لا وجود له، فيجب على المسلمين العمل على إيجاد الخليفة الذي تجب طاعته. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ وإن وجوب الحكم بالشرع يحتم علينا وجوب إقامة الخليفة.

وأما في السنة، فقد قال رسول الله ﷺ: «**من خلع يدًا من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعه مات ميتةٍ جاهلية**» وهذا يُوجب وجود بيعة في عنق كل مسلم وإلا كانت ميتَتُهم ميتةً جاهلية، وبالتالي يجب وجود الخليفة الذي بوجوده تُوجد البيعة الواجبة في الأعناق. وقال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمّروا أحدهم**» وتأمير خليفة للمسلمين يرعاهم ويحكِّم بهم شرع الله أوجب وأعظم من تأمير أمير سفر. وقال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**» وهذا يدل على وجوب وحدة الأمة؛ لذلك أجاز الشرع قتل الخليفة الآخر الذي يُفرِّق المسلمين، وأن تكون بيعة الخليفة على تطبيق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

أما إجماع الصحابة، فقد أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على فراش الموت أن يُمهَل أهل الشورى الستة ثلاث ليالٍ لمبايعة خليفة وأن يقتل المخالف بعد ذلك، وكان ذلك على مسمع من الصحابة، وذلك مع علمهم بحرمة دم المسلم، فكان ذلك إقرارًا منهم على عدم جواز بقاء المسلم فوق ثلاثة أيام بلا خليفة.

إن نظام الخلافة نظام فريد لا يماثله نظام حكم آخر في العالم. ودولة الخلافة دولة مبدئية تقوم على عقيدة سياسية روحية توفِّر الأمن والأمان لكل من يعيشون في ظلِّها، وتعمل على سدِّ حاجتهم الأساسية بغض النظر عن دينهم أو عرقهم أو بلدهم أو أي اعتبار آخر.

إن نظام الخلافة نظام ربَّاني يسد حاجات الإنسان العضوية ويشبع غرائزه. والإسلام يقرِّر أن الإنسان لا يستطيع أن يضع لنفسه نظامًا فهو عاجز وناقص ومحتاج لغيره، لذلك كان يجب أن يكون هذا النظام من خالق الإنسان فهو يعلم ما يُسعده ويُشقيه، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ فشرعَ الله العليم اللطيف الخبير للإنسان نظامًا خاصًا بالعبادات لينظم من خلاله إشباع غريزة التدين. وشرع نظامًا اجتماعيًا نظم من خلاله إشباع غريزة النوع. وشرع أحكام المطعومات والمشروبات لينظم من خلالها إشباع الحاجات العضوية. وشرع نظامًا اقتصاديًا ونظام حكم ونظامًا سياسيًا ينظم من خلاله غريزة البقاء،

إلا أن هذه الأنظمة والأحكام لا تطبق في حياة الناس إلا في ظل دولة تلزم الناس بتطبيقها وتعاقب من يخرج عنها، ليتحقَّق الإشباع الذي يؤدي إلى السعادة والطمأنينة ونشر الخير والعدل بين الناس. وهنا لا بد من ذكر أن المشرع في النظام الإسلامي إنما هو الله العليم الخبير، وأن تشريعه هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه هو الحق إلى قيام الساعة، وأنه يستوعب المشاكل الراهنة المستجدَّة مهما كانت، وأنه لا يمكن أن يقع في التناقض والاختلاف... كل ذلك لأنه من لدن حكيم عليم، وهذا بخلاف الإنسان عندما يأخذ ظلمًا وعدوانًا مهمة التشريع عن ربِّه، فإنه ولا بد من وقوعه في التناقض والاختلاف وتشريع الأحكام الخاطئة؛ ما يضطره إلى تغيير القوانين من وقت إلى آخر؛ ولكنه عندما يغيُّرها لا ينسب العجز إلى نفسه وإنما يدعي أنه يطور هذه الأنظمة؛ لذلك فإن أول ما يبحث في صحة التشريع أو عدمه هو من المشرِّع؛ وهذا يعني أن البحث في مصدر التشريع، والجهة المشرِّعة هو الذي يحسم هذه القضية.

في ظل دولة الخلافة الراشدة، عاش المسلمون وغيرهم ممن يحملون التابعية العيش الكريم مع توفير لحقوقهم كاملة وبتطبيق لأحكام الإسلام على كل الناس دون تفريق بينهم، أو اعتبار لقرابة أو محسوبية أو لعلاقة دم أو أرض أو جنس أو لغة... وإنما هي علاقة العقيدة وما انبثق عنها من أحكام وما بُني عليها من أفكار وبذلك تكون قد تجاوزت دولة الخلافة الإطار القومي والوطني وصهرت كل الأعراف والفوارق في بوتقة الإسلام؛ فعاش الناس في ظلها سواسية ميزانهم التقوى، وغايتهم إرضاء الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ﴾ وفي ذلك بيَّن رسول الله كما أخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «**يا أيُّها الناسُ إنَّ ربَّكمْ واحِدٌ ألا لا فضلَ لِعربِيٍّ على عجَمِيٍّ ولا لِعجَمِيٍّ على عربيٍّ ولا لأحمرَ على أسْودَ ولا لأسودَ على أحمرَ إلَّا بالتَّقوَى إنَّ أكرَمكمْ عند اللهِ أتْقاكُمْ**». هذا ولأهمية الخلافة لدى المسلمين فقد أجمع علماء المسلمين المعتبرين على أن الخلافة تاج الفروض، ونذكر منهم:

قال ابن خلدون في كتابه (المقدمة) المتوفى ٨٠٨ هـ: «إن نصب الإمام واجب، قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين؛ لأن أصحاب رسول اللَّه ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر ﷺ وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر من بعد ذلك، ولم يُترك الناس فوضى في عصر من الأعصار، واستقرَّ ذلك إجماعًا على وجوب نصب الإمام».

ويقول ابن تيمية في كتابه (السياسة الشرعية) المتوفى ٧٢٨هـ: «**يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا**

قيام للدين إلا بها» ،**ويقول في كتابه (مجموع الفتاوى):** «يجب أن يُعرف أن **ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين؛ بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها.** فإن بني آدم لا تتمُّ مصالحهم الا بالإجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بدَّ لهم عند الاجتماع من رأس»

قال الفقيه الهيثمي في كتابه (الصواعق المحرقة) المتوفى ٩٧٤هـ: «اعلم أيضًاً أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب بل **جعلوه أهم الواجبات**؛ حيثُ اشتغلوا به عن دفن الرسول صلى الله عليه وسلم»

وقال الإمام الماوردي في كتابه (الأحكام السلطانية) المتوفى ٤٥٠هـ: «الإمامه موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، **وعقدها لمن يقوم بها في الأمه واجب بالإجماع».**

وقال الشيخ علي بالحاج في كراسته (إعادة الخلافة) حفظه الله: «**من أعظم واجبات الدين (الخلافة على منهاج النبوة)** كيف لا وقد قدر علماء الإسلام وأعلامه أن **الخلافة فرض أساسي من فروض هذا الدين العظيم، بل هو (الفرض الأكبر)** الذي يتوقف عليه تنفيذ سائر الفروض، **وإن الزهد في إقامة هذه الفريضة (من كبائر الإثم)** وما الضياع والتيه والخلافات والتنازعات الناشبة بين المسلمين كأفراد وبين الشعوب الإسلامية كدول الا لتفريط المسلمين في إقامة هذه الفريضة العظيمة».

ولقد استمرت دولة الخلافة الدولة الأولى في العالم تتربَّع على مركز السيادة والقيادة وكان لها التأثير الواضح على الدول الأخرى. وعلى صعيد السياسة الدولية، فقد كانت مهابة الجانب، جيشها لا يقهر، تستجديها الدول الكافرة لنيل رضاها وابرام معاهدات الصلح معها. ولقد بلغت من القوة والمهابة أن دفعت أمريكا في عهد الخليفة العثماني سليم الثاني ضريبة سنوية للسماح لسفنها أن تعبر بأمان من المحيط الأطلسي إلى البحر المتوسط دون تعرُّض البحرية العثمانية في ولاية الجزائر لسفنها. وذكر المؤرخ النمساوي جوزيف فون هامر أن سلطان السلاطين قاهر الصليبيين سليمان القانوني وجَّه رسالة إلى فرانسوا الأول ملك فرنسا يقول فيها: «لقد بلغني أن الرجال والنساء في بلادكم يتراقصون بشكل يخالف الحياء والأخلاق، ولأن بلادكم لها حدود مع بلادنا فإن هناك احتمال أن تنتقل تلك الوقاحة إلى ديارنا؛ ولهذا عندما تصلك رسالتي، عليك فورًا أن تنهي الوقاحة وإلا جئت بنفسي لامنعها» وظل الرقص سرًا مائة عام... على مثل هذا كانت دولة الخلافة: تنشر الخير وتبسط العدل وتحلُّ الأمن والأمان والسلام لكل من عاش تحت ظلِّها، فقد كانت منارةً تهدي الحيارى والتائهين، وملاذًا للمظلومين من المسلمين غير المسلمين في كل العالم.

ولكن، وفي ٢٨ من رجب ١٣٤٢هـ، أُلغيت الخلافة على يد مجرم العصر اليهودي مصطفى

كمال عميل الإنجليز، وأُزيحت أمة الإسلام عن قيادة المسرح الدولي؛ واستُبدلت بأنظمة الإسلام شريعة الكفر والظلم والفسق، ومُزِّقت بلاد المسلمين إلى دويلات هزيلة، واضطُهد المسلمون، وهُضمت حقوقهم، ونهبت ثرواتهم، ونصِّب عليهم حكام عملاء رويبضات سلَّموا البلاد والعباد للكافر، فاستأسدوا على شعوبهم وأذاقوهم سوء العذاب ووجهوا سلاحهم عليهم لا على أعدائهم، وجيَّشوا جيوشهم لمحاربة الإسلام والعاملين لإعادته. فماذا خسر المسلمون بعد هدم الخلافة؟

لقد خسر المسلمون من يدافع عن حياتهم ويصون أعراضهم ودماءهم وكراماتهم، فقدوا الراعي الذي يرعى شؤون حياتهم، ويؤمِّن حاجاتهم، ويحلُّ مشكلاتهم، وينصر المظلوم منهم، ويقيم الحدود بينهم... لقد فقدت الأمة الإمام الجُنَّة والدرعَ الحصين، قال ﷺ: «**إنما الإمام جُنَّة يُقاتَل من ورائه ويُتَّقى به**» رواه مسلم.

بعد هدم دولة الخلافة، استعمرت بلاد المسلمين وتعرَّضت شعوبها على مدار مائة عام لحروب متوحشة، وحروب إبادات جماعية مستمرة، وتطهير عرقي وتدمير للقرى والمدن وتشريد وتهجير وقتل... وحلَّت بهم النوازل والفواجع. وهم ما زالوا حتى اليوم يعيشون ذلك الكرب الكبير، للسبب نفسه وهو الخوف من عودتهم إلى دينهم، ومن عودة دينهم إلى الحياة، قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

بعد هدم دولة الخلافة، اعتدى أعداء الله على الأمة وقتلوا من المسلمين ما لا يحصى، وشرَّدوهم كل مشرَّد: **فلقد قتلت فرنسا** الملايين من الجزائريين وما زالت تقتل إلى اليوم في أفريقيا دون حسيب ولا رقيب. **أما روسيا** المجرمة، فقد أبادوا المسلمون في بلادهم ونفَوهم إلى سيبيريا، وأفنُوا معظم أهل الشيشان من المسلمين، وصبُّوا جامَّ حقدهم عليهم في سوريا وقصفوهم بالبراميل المتفجرة وجربوا عليهم أسلحتهم الفتَّاكة، واستعملوا معهم سياسة الأرض المحروقة... كل ذلك على مرأى ومسمع من دول العالم التي سكتت عما رأت لأن الجميع على الحقد نفسه. **أما يهود** الذين احتلُّوا فلسطين الأرض المباركة مسرى ومعراج رسول الله بتواطؤ من دول الغرب الأوروبي وخيانة من حكام المسلمين الذين أمدُّوا كيانهم بأسباب البقاء والحماية، وتسارعوا نحو التطبيع معه دونما اكتراث بدماء المسلمين أو اعتبار لقدسيتها في دينهم. وليست فلسطين وحدها من خانها حكام المسلمين، **فهذه كشمير** المحتلة من الهندوس، وهؤلاء **مسلمو الروهينجا** في ماينمار (بورما) يقتلون ويعذَّبون، وتغتصب نساؤهم من البوذيين. **وهذه الصين** تَرتكب في حق المسلمين من الإيغور في تركستان الشرقية إبادة قل نظيرها في العصر الحديث. **وهذه الهند** التي ترتكب أبشع أنواع الإرهاب

في حق ما يفترض أنهم مواطنوهم ويبتكرون أبشع أنواع الأساليب للانتقام منهم. **وهذه أمريكا** التي شنَّت عليهم وعلى دينهم حربًا عالمية باسم (الحرب على الإرهاب)... وما هذا إلا غيض من فيض لما يحصل للمسلمين. وما كان المسلمون ليتعرَّضوا لمثل هذه الانتهاكات الوحشية، لو كانت لهم دولة تحميهم وخليفة جُنَّة يدافع عنهم.

إن الإنسانية تعيش في شقاء وضنك بعد أن تفرَّد النظام الرأسمالي في حكم العالم وصار يصوغ طريقة العيش فيه على أساس (فصل الدين عن الحياة) ويفرض سيادة الإنسان في التشريع ورفض سيادة الشرع؛ ويعمِّم مقياسه القائم على المنفعة المادية في الأعمال والأقوال، دون مراعاة للقيم الروحية والخُلقية والإنسانية، فنتج عن هذا نظام وضعي حدَّد بموجبة ما هو خير وما هو شر، وما هو حسن وما هو قبيح؛ بناء على رغباته وأهوائه معتمدًا في تشريعه على أكثرية من الناس موهومة وليست حقيقية؛ فضل بذلك عن طريق الحق وأضلَّ وما هدى، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦﴾

فعمَّ وطمَّ بطغيانه السياسي وباستعماره الاقتصادي وبتهتكه الاجتماعي العالمَ كله، وحتى الجانب الصحي لم ينجُ من ظلمهم؛ حيث انتشرت الأمراض والأوبئة الناتجة عن تجاربه المخبرية بلدان العالم فآذت البشر والشجر والبيئة، والبر والبحر والجو، وصدق كلام الله فيهم: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الروم: ٤١]...كل ذلك حدث لـمَّا أعطى الإنسان لنفسه حق التشريع.

لا شك أن **إقامة دولة الخلافة** سيكون الحدث الكوني المفصلي الذي سيرافقه كثير من المتغيرات على الصعيد الدولي، وسيكون هذا الحدث هو مربط هذه المتغيرات... فإن أول ما يعنيه **إقامة الخلافة الراشدة** هو ذلك الشعور الغامر لدى المسلمين أن الله سبحانه وتعالى راضٍ، لأنها لم تكن لتقوم لولا إرادة وتدخُّل وتفضُّل منه سبحانه...

والخلافة الراشدة أهم ما ستحققه أنها ستجعل كلمةَ الذين كفروا السفلى، وكلمةُ الله هي العليا... **والخلافة الراشدة** أوَّل ما ستحققه أنها ستقوم على كيان سياسي جامع يتبنى دستورًا إسلاميًّا مستنبطة أحكامه من الكتاب والسنة...

وإقامة دولة الخلافة يعني استقلالية القرار وقطع كل نفوذ للغرب، سياسيًّا كان أو عسكريًّا أو فكريًّا أو اقتصاديًّا...

وإقامة دولة الخلافة يعني أن هذا الكيان سيقوم على حدود مفتوحة تفسح المجال لتوحد بلاد المسلمين وجمع أقطارهم بعضها إلى بعض... وتتجمع معظم أعداد المسلمين البالغة قريب المليارين أو ما يقارب ربع الكرة

الأرضية تقريبًا في دولة واحدة... وفيها تتجمع خيرات بلادهم الطبيعية فيستفيد منها رعايا الدولة جميعهم بحسب الأحكام الشرعية وخاصة فيما يُعَدُّ من الملكية العامة من غير تفريق ما بين من يسكن في أفريقيا أو في آسيا أو في أوروبا...

وإقامة دولة الخلافة سيعني أن حياة المسلمين ستقوم على طاعة الله من جديد كما كانت في الزمن الأول في العبادات والمعاملات والجهاد والدعوة إلى دين الله وإدخال الناس في دين الله أفواجًا...

وإقامة دولة الخلافة سيعني وحدة الأمة عبر الإيمان بالله وحده وعبر التفاضل بالتقوى والطاعة لخليفة المسلمين...

وإقامة دولة الخلافة سيعني تنظيم علاقة الرجل بالمرأة بأحكام شرعية تضمن الترابط الأسري والخلق الكريم والعفة والطهر والنسل الطيب وخلو بلاد المسلمين من كل مظاهر الفجور والخَنا وكشف العورات؛ ما يجعل المجتمع الإسلامي نظيفًا شريفًا مصانًا...

وإقامة دولة الخلافة سيعني أن المسؤولين في الدولة، مهما علت مراكزهم، ليست لهم حصانة إن أخطؤوا ولو كان خليفة...

وإقامة دولة الخلافة سيعني أن الدولة ستوفر الحاجات الأساسية للناس وتمنع تركز المال في أيدي الأغنياء من خلال توزيع الثروة بشكل سليم من خلال تقسيم الملكيات إلى ثلاث: ملكية عامة توزع على الناس كافة وتمنع تملكها أي جهه. وملكية فردية يتصرف فيها الأفراد حسب الأحكام الشرعية. وملكية الدولة التي تنفقها الدولة حسب الأحكام الشرعية...

وإقامة دولة الخلافة سيعني تطبيق فريضة الزكاة التي تؤخذ من الأغنياء وتوزع على الفقراء (ليتصور المسلم أن نسبة ٢,٥٪ من أموال المسلمين الأغنياء، توزع **كل سنة** على الفقراء، فكم أن هذا المبلغ عظيم) هذا إلى جانب الحضِّ على الصدقات وأحكام الإرث وتحريم الربا ومنع الاحتكار وغيرها من الأحكام التي تفتِّت الثروات وتجعلها تنتقل إلى أوسع شريحة من الناس.

وبالمختصر المفيد، إن **إقامة الخلافة الراشدة** سيعني إعادة الإسلام إلى ما كان عليه المسلمون زمن الخلافة الراشدة الأولى، خير القرون، وهذا ما ينتظره المسلمون اليوم، ويرون أنه يتقدم بسرعة، وهذا الفضل فيه كله لله وحده.

إن العالم اليوم، مع تطبيق المبدأ الرأسمالي وغياب الحكم بالإسلام، وصل إلى مرحلة الضرورة في التغيير، ويشهد على ذلك بعض من مفكري الغرب، فهذا المفكر الأمريكي المشهور **بول كندي** ينشر كتابًا بعنوان (صعود وسقوط القوى العظمى) يذكر فيه أن الولايات المتحدة الأمريكية تزحف عليها أعراض سقوط الإمبراطورية، ويتنبَّأ فيه بسقوط الإمبراطورية الأمريكية نتيجة عوامل داخلية بينوية، وأنه إذا زادت الالتزامات الاستراتيجية للدولة العظمى

عن امكانياتها الاقتصادية فإنها تسقط. ولكن المفكر الفرنسي ديبا سكييه، لا يتوقف عند هذه المقولة بل يتعدَّاها إلى أن يرشح الإسلام كمخلِّص ومنقذ للبشرية. ويقول الأديب العالمي ليف تولستوي: «يكفي محمد فخرًا أنه خلص أمةً ذليلة دموية من مخالب شياطين العادات الذميمة وفتح على وجوههم طريق الرقي والتقدم، وإن شريعة محمد ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة» وهذا اعتراف من ساسة الغرب بافلاس النظام الرأسمالي وأن فشله بات ذريعًا في حلِّ مشاكل هذا العالم، وأن العالم قد أصبح بحاجة إلى نظام عالمي جديد يُعيد للبشرية إنسانيتها.

إن أي نظرة تاريخية متفحصة توصل المسلم وكل إنسان موضوعي مخلص إلى أنه تاريخ الدولة الإسلامية كان مشرقًا يفخر به المسلمون ويمتدحه المنصفون من غير المسلمين... وإن أي نظرة مستقبلية متفحصة لما يجب أن يكون عليه النظام العالمي المنتظر يرى أنه نظام الإسلام نفسه، والسبب واحد، وهو أنه نظام من عند الله، ولا يمكن إلا أن يكون هو الذي يطبق العدل وينشر الخير ويحل الأمن والأمان كما كان. فهو مبدأ وحضارة إنسانية، ومازال بعقيدته وأحكامه صالحًا لأن يحكم العالم ويعيد سيرته الأولى، وينقل الناس من جور الرأسمالية إلى عدل الإسلام. ولأن الإنسان الذي يراد إشباع حاجاته وغرائزه هو نفسه كإنسان لم يتغير، فكذلك النظام الصالح الأول له، هو نفسه الذي يصلح له في كل وقت وحين. أما الذي تغير على مرِّ السنين فإنما هي الأشكال المادية التي يحتاجها الإنسان لتيسير حياته من سيارة وطيارة وبراد وغسالة، وحتى السلاح الذي تطور، ووسائل المواصلات التي تقدمت، وأجهزة الاتصالات التي استحدثت كل هذا ليس له تعلق بالنظام، وإنما الذي له علاقة فهي العلاقات بين البشر، والتي قد تشهد توسعًا ويحتاج توسُّعها إلى تشريع، فهذا يسار به على نفس طريقة الاستنباط الشرعية، والاعتماد على النصوص الشرعية إياها وما فيها من العموم الذي يجعلها تجتمع مع سابقاتها من الأحكام بعلَّة جامعة ويجعلها تأخذ الحكم ذاته.

إن أحوج ما يحتاج إليه المسلمون اليوم، ولا نغالي إذا قلنا العالم كله، هو أن تبعث قضية الخلافة قضية عقائدية، يظهر دين الله فيها على سائر الأديان، بها يوحد الله أمة الإسلام ويجعلها أمة واحدة. وما على المسلمين اليوم إلا العمل مع العاملين من شباب حزب التحرير لإقامة هذا الفرض العظيم وأن يكونوا معهم وعونًا لهم، وهو العمل الذي مهمته هي كما٣٦ قال الله تعالى فيه: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١]. ■

أبواب ثابتة

- **ما زال رمضان يأتي على المسلمين من دون خلافة**
- **أخبار المسلمين في العالم**
- **مع القرآن الكريم:**
  آيات في الوعد بالنصر والاستخلاف والتمكين
- **رياض الجنة:**
  أحاديث نبويَّة... مبشرات بالنصر وقيام الأمر والظهور... إلى يوم الدين
- **حدائق ذات بهجة:**
  عمر بن عبد العزيز... خليفة تشتاق إلى أمثاله النفوس
- **كلمة أخيرة:**
  الحرب الأوكرانية الروسية: أمريكا هي اللاعب الأكبر فيها... وهي امتداد للحرب العالمية الثانية... وحضارتهم هي سبب مآسيهم ومآسي العالم
- **غلاف اخير:**
  عقيدة بوتين هي خليط من التدين الأرثوذوكسي والفاشية الروسية، وهوس بتدمير استقلال أوكرانيا

بسم الله الرحمن الرحيم

ما زال رمضان يأتي على المسلمين من دون خلافة

جمال الطيار - اليمن

يأتي رمضان هذه السنة، كما في كل سنة، والمسلمون على حالهم من عدم قيام الخلافة وقيام حياتهم على الإسلام من كل جوانبها... يأتي وهم على عاداتهم السنوية من إقبالهم على التزود بالطاعات المختلفة من الصلاة والصيام والقيام والصدقة والزكاة والدعاء والاستغفار والتوبة وأعمال البر والصلة، وتعم فيه الأجواء الإيمانية بين المسلمين، ويكثر ارتياد المصلين المساجد لصلاة التراويح والقيام وسائر الصلوات... ومن يرى تلك الأجواء الندِيَّة والمحبَّة التي يعيشها المسلمون والذين تعمر نفوسهم إيمانًا بالله سبحانه وتعالى، ومحبَّةً لرسوله ﷺ ولهذا الدين الحنيف، وتمتلئ قلوبهم وعقولهم رغبة في طاعة الله سبحانه وتعالى وعمل كل ما يرضيه، والبعد عن كل ما يغضبه، ومن حفظ الفرج واللسان، وغضِّ البصر، ومن إخراج الزكاة والصدقات وفعل الخيرات... ليتمنى أن يكون كل ذلك من خلال دولة إسلامية؛ حيث كان سيصاحب ذلك مشاعر العزة المفقودة، وقوة الحق واتساع مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما يجعل العالم كله ينعم بهذا الشهر الكريم، وليس المسلمون فحسب.

ولكن ما إن ينقضي شهر رمضان حتى تختفي مثل هذه المظاهر، وتقلُّ هذه المشاعر، ويخفُّ عدد المصلين في المساجد، ويعود المسلمون لحياتهم السابقة من الانشغال بالدنيا وبتأمين مصالحهم المادية، وتنتهي شعائر الطاعة عندهم بانتهائه وكأنه مناسبة دينية سنويَّة... ولو كان هناك دولة إسلامية لكانت أجواء الطاعة تستمر على مدار السنة من غير انقطاع.

هذه الأجواء الرطبة التي تريح المسلمين تزعج أعداءهم من الغرب وأدواته من السياسيين والحكام، والعلمانيين والفنانين... فيقوم إعلامه الماجن بقنواته الساقطة جاهدًا على حرف المسلمين عن هذه الأجواء بلهو المسلسلات الفارغة والبرامج الهدامة والتافهة والسخيفة وغير المحترمة... يريد أن يمتص بها حرارة الإيمان عند المسلمين، وفي مقابل ذلك على المسلمين أن لا ينغصوا على خشوعهم بمثل هذه المسلسلات والبرامج، وأن يبقوا على حرارة الإيمان وأن يفكروا بأوضاع المسلمين في كل مكان، وأن يفكروا بخلاص أمتهم، وأن يدعوا الله أن يطعم الله المسلمين من فوقهم ومن تحت أرجلهم وهذا لا يكون إلا من خلال دولة إسلامية؛ وذلك مضداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ هذا الأمر يتكرر على المسلمين كل سنة، ولا يزالون يعيشونه منذ سقوط الخلافة واحتلالِ الغرب لبلادهم وتقسيمِها، وفرضِ نمطِ الحياة الغربية

عليهم والقائمة على فصلِ الدين عن الدنيا، وجعلِ الدين مناسبات يهتم بها كشهر رمضان، أما باقي الشهور فجعلت للدنيا والمصالح المادية، والتي جعل الدين فيها يقتصر على بعض العبادات كالأخلاق والمطعومات والملبوسات والميراث والزواج والطلاق، أما أحكام الدين الشرعية المتعلِّقة بالمعاملات والعقوبات والدولة فلا تزال غائبة تمامًا عن واقع حياة المسلمين.

ولذلك يأتي رمضان ولا يزال المسلمون على حالهم من العيش في ظل دويلات كرتونية، تحكمها أنظمة فاجرة، يعِينهم على حكمها علماء سوء، علماء استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، علماء باعوا دينهم بدنيا غيرهم.

لا يزال رمضان يأتي على المسلمين وحدود سايكس وبيكو تفصل بين بلدانهم، والأعلام التي صنعها المستعمرين ترفرف فوق مقرَّات هذه البلدان.

لا يزال رمضان يأتي على المسلمين ومشاعر القومية والوطنية هي المفروض أن تسود بينهم بدلًا من مشاعر الأخوة الإسلامية؛ وذلك بتوجيه من الغرب لبعض صنائعه في هذه البلدان.

لا يزال رمضان يأتي على المسلمين وهم يعيشون حالة الفقر والمرض وسوء الخدمات رغم ما أنعم الله به على بلادهم من ثروات.

لا يزال رمضان يأتي على المسلمين وهم في استضعاف ظاهر وذِلَّة، وقد اجتمعت على حربهم والتآمر عليهم كافة دول الغرب الكافرة.

لا يزال رمضان يأتي على المسلمين ومعظم الأحكام الشرعية غائبة عن واقع حياتهم باستثناء الأحكام الفردية.

لا يزال رمضان يأتي على المسلمين والمبدأ الرأسمالي الغربي هو السائد في العالم، وهو المتحكم في بلدانهم ومصيرهم.

لا يزال رمضان يأتي على المسلمين وخلافتهم الإسلامية الموعودة، التي وعدهم الله بها، وبشرهم بها الرسول ﷺ، والتي هي أم الفرائض، وجامعة الأحكام الشرعية غائبة عن حياتهم وواقعهم.

إننا نريد بإذن الله سبحانه وتعالى أن نرى تلك السنة وذلك اليوم الذي يأتي فيه رمضان على المسلمين وقد اختفت حدود سايكس وبيكو بين بلدانهم، وعادوا أمة واحدة كما كانوا من إندونيسيا شرقًا وإلى المحيط الأطلنطي غربًا.

إننا نريد أن نرى ذلك اليوم وتلك السنة التي يأتي فيه رمضان على المسلمين وقد أنزلت هذه الرايات الوطنية الملونة ورفعت مكانها رايات العقاب السود في كل مكان من بلاد المسلمين، وأصبحت راية التوحيد ترفرف فوق أجهزة الدولة والمصالح الحكومية المختلفة.

إننا نريد أن نرى تلك السنة، وذلك اليوم الذي يأتي فيه رمضان على المسلمين وقد تحولَّت بلدانهم من ممالك وجمهوريات إلى ولايات للدولة الإسلامية... ونرى أن المسلمين يتنقلون ويسافرون من ولاية إلى ولاية أخرى بحرية تامة دون جوازات سفر أو تأشيرات دخول.

إننا نريد أن نرى ذلك اليوم وتلك السنة

التي يأتي فيه رمضان على المسلمين والدولة الإسلامية توزع المال العام على المسلمين من دخل النفط والغاز والمعادن، وتجمع فيه الزكاة والصدقات التي تأخذها من أموال المسلمين وتعيدها على مستحقيها من مصارفها الثمانية من المسلمين في ولايات الدولة الإسلامية المختلفة، ويتساوى في أخذها المسلمون في أفريقيا الفقراء مع أهل الخليج الأغنياء.

إننا نريد أن نرى تلك السنة وذلك اليوم الذي يأتي فيه رمضان على المسلمين وتجَّارهم يتنقلون ببضائعهم المختلفة من ولاية إلى ولاية بحرية تامة دون أن تؤخذ على بضائعهم المكوس من الضرائب والجمارك، فنرى بضائع تجار الحجاز ونجد والشام والعراق وباكستان والمغرب واليمن والعراق ومصر وأفغانستان وتركستان والسودان وإندونيسيا وتركيا وغيرها في كل ولايات دولة الخلافة، ونرى أسماء وألقاب التجار المسلمين من مختلف بلاد المسلمين وهي تزين اللوحات الإعلانية والمحلات التجارية في أسواق ومدن ولايات دولة الخلافة الإسلامية المختلفة.

إننا نريد أن نرى تلك السنة وذلك اليوم الذي يأتي فيه رمضان على المسلمين وقد بدأت دولة الخلافة بعمل المشاريع الضخمة التي تعود بالمصلحة العامة على المسلمين، كأن تقوم بربط ولايات الخلافة المختلفة بشبكة قطارات، وتقوم بعمل جسور برية فوق مضيق باب المندب ومضيق هرمز، وفوق خليج السويس وخليج العقبة لتسهيل تنقل المسلمين بين الولايات المختلفة، وتقوم بزراعة مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة وخاصة أراضي السودان لتحقيق الأمن الغذائي لمئات الملايين من المسلمين في كل أرجاء الخلافة الإسلامية.

إننا نريد أن نرى تلك السنة وذلك اليوم الذي يأتي فيه رمضان على المسلمين وقد اختفت فيه كل هذه العملات الوطنية الكرتونية واستبدلت بعملة واحدة لكل المسلمين، هي الدينار الذهبي والدرهم الفضي، وأن يكون لهذه العملة غطاء ذهبي في البنك يجعل لها قيمة وليس مجرد عملة ورقية.

إننا نريد أن نرى تلك السنة وذلك اليوم الذي يأتي فيه رمضان على المسلمين وقد طُبِّقت الأحكام الشرعية، سواء منها ما يتعلق بالفرد أم بالجماعة أم بالدولة، وسواء منها ما يتعلق بأحكام العبادات والأخلاق والمطعومات والملبوسات أم بالمعاملات والعقوبات وسائر الأحكام.

إننا نريد أن نرى تلك السنة وذلك اليوم الذي يأتي فيه رمضان على المسلمين والمشاعر المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف تزدحم بعشرات الملايين من المسلمين في موسم الحج وفي رمضان، بل وعلى مدار العام لأداء العمرة والزيارة، والذي سوف يجعل ولاية الحجاز وولاية الشام والولايات القريبة منها تكتظ بالمسلمين القادمين من مختلف أنحاء العالم مما سيجعل مدن هذه الولايات تشهد نشاطًا تجاريًا هائلًا بكل مرافقها من مطارات وموانئ وطرقات وفنادق ومستشفيات وأسواق. والذي سيجعل المسلمين يختلطون ببعضهم ويتعارفون فيما بينهم في مشهد هو من أشد أواصر الأخوة

والقربى بالزواج.

إننا نريد أن نرى تلك السنة وذلك اليوم الذي يأتي فيه رمضان على المسلمين ووسائل الإعلام والقنوات الفضائية قد أصبحت تابعة لدولة الخلافة تسخِّرها لنشر أحكام الإسلام وفضائله بين المسلمين، ودعوة غير المسلمين للإسلام بكل لغات العالم.

إننا نريد أن نرى تلك السنة وذلك اليوم الذي يأتي فيه رمضان على المسلمين وكل مسلم منهم يستطيع بسيارته الخاصة أن يسافر من ولاية إلى ولاية، وينتقل من مدينة إلى مدينة في ربوع العالم الإسلامي آمنًا على نفسه وماله.

إننا نريد أن نرى تلك السنة وذلك اليوم الذي يأتي فيه رمضان على المسلمين وقد أصبحت جيوشهم العديدة التي تحمي حدود سايكس وبيكو، جيشًا واحدًا قد عاد لمهمته الأساسية، وهي الجهاد ونشر الإسلام في العالم وإدخال الناس في دين الله أفواجًا.

إننا نريد أن نرى تلك السنة وذلك اليوم الذي يأتي فيه رمضان على المسلمين، وهم أمة واحدة، تحت حكم خليفة واحد، وتعود دولتهم دولة الخلافة الإسلامية الراشدة هي الدولة الأولى والأقوى في العالم لتعيد لهم هيبتهم وقوتهم، ولتمسك بزمام المبادرة من الكفار، وتقود العالم بمبدئها الإسلامي بدلًا عن المبدأ الرأسمالي نحو الخير والعدل والرشاد، ولتملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، وليرضى عنها ساكن الأرض وساكن السماء.

إن ما ذكرت سابقًا ليس خيالًا أو أحلامًا وردية أو أمنياتٍ بعيدة المنال، إنما هو حقيقة وواقع سوف نراه يومًا بأم أعيننا بإذن الله. فالله سبحانه وتعالى قد وعد عباده المؤمنين العاملين بالاستخلاف في الأرض، والتمكين لدينهم الذي ارتضاه لهم كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ وكما أنه من سنن الله سبحانه وتعالى التي لا تتبدل ولا تتغير والتي يجريها على خلقه من الأوَّلين والآخرين أنه بعد أن يداول الأيام بين عباده يجعل النصر دائمًا في نهاية المطاف حليفًا لعباده المتقين بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

ونحن الآن نعيش في هذه الفترة وفي هذه الشهور والسنوات مرحلة انتقالية بين الحكم الجبري وبين استئناف الحياة الإسلامية بعودة الخلافة الإسلامية الراشدة على منهاج النبوة الموعودة، نسأل الله أن تكون قريبة، ونسأل الله أن يكون تغيير هذا الواقع على أيدينا إكرامًا منه ومِنَّة، ويكون رمضان هو رمضان النور والخير والهداية والجهاد والتقوى كما كان في سالف الأيام... إنه على كل شيء قدير. ■

مفتي عمان ينتقد «عنصرية» الغرب خلال حرب أوكرانيا

وجَّه مفتي سلطنة عُمان الشيخ أحمد بن حمد الخليلي انتقادات لاذعة للتصريحات العنصرية التي أطلقها مسؤولون وإعلاميون من دول غربية خلال تغطية الحرب الروسية الأوكرانية، معتبرًا أن ما حدث هو درس يجب أن يعيَه المسلمون. وقال الشيخ في تغريدة على حسابه في تويتر إنه كان «للتصريحات التي أدلى بها بعض الغربيين في بيان الفرق بين المجتمعات الشرقية المسلمة وبين المجتمع الأوكراني الأوروبي الذي يحرصون على سلامته ومساعدته في محنته، ما يدعو أولي العقول إلى الاعتبار» وتساءل المفتي: «فهل تفتَّحت عقول المسلمين على هذه الحقائق وتبيَّنت هذه الخفايا؟!» وأكد أن تلك «المقارنات من قبل بعض السياسيين والإعلاميين الغربيين أظهرت أن المجتمعات الشرقية يصورونها في مقاييسهم أنها متخلِّفة مفلِسة من القيم الحضارية فلا تساوي عندهم شيئًا». كما نوَّه مفتي سلطنة عُمان إلى أنه «مهما حاولوا تضليل العقول بالشعارات الزائفة التي يحملونها ويلوِّحون بها بين الناس من ديمقراطية وحرية ومساواة فإنهم يكنُّون من وراء ذلك ما يكنُّونه من تحقير للمسلمين والاستخفاف بهم وعدم المبالاة بحقوقهم أو الاكتراث بمصيرهم».

الوعي: إن الحضارة الغربية هي حضارة مفلسة، في السرَّاء والضرَّاء، وحتى بحق شعوبهم من غير البيض الشقر، وحتى بحق بعضهم البعض من هؤلاء البيض، والحربين العالميتين الأولى والثانية ومن قبل، والحرب الأوكرانية الروسية اليوم أكبر شاهد على ذلك... فما بالك بنظرتهم إلى الشعوب الإسلامية؟!

الغارديان: حقائق حول التمييز العنصري الأوروبي بين اللاجئين

نشرت صحيفة «الغارديان» البريطانية، مقال رأي للكاتب دانيال هاودن، ترجمته «عربي٢١»، تحدَّث فيه عن ازدواجية المعايير الأوروبية في التعامل مع اللاجئين بحسب لون بشرتهم. وقال الكاتب: إن اللاجئين غير البيض يتعرَّضون لمعاملة عنصرية منذ بداية الحرب في أوكرانيا. ومن أمثلة ذلك، فإن اللاجئين الأوكرانيين يعبرون الحدود إلى بولندا، الدولة ذاتها التي تقوم ببناء جدار على امتداد حدود بيلاروسيا لمنع اللاجئين السوريين والأفغان والعراقيين من الدخول. وخلال الفترة الأخيرة، شوهدت مستويات مقلقة من التمييز ضد اللاجئين غير الأوروبيين الذين فرُّوا من الهجوم الروسي على أوكرانيا. وكشفت بعض التقارير عن حالات تمَّ فيها منع أشخاص من ذوي البشرة الملونة من دخول قطارات الإجلاء

وعزلهم وإجبارهم على الانتظار لأيام عند المعابر الحدودية. وأشار الكاتب إلى أنه من الصعب تخيُّل استقبال اللاجئين ذوي البشرة الملونة بنفس الترحيب الذي حظي به الأوكرانيون. وذكر كذلك وقوع عدد كبير جدًا من المعلِّقين في أوروبا في فخ التمييز إزاء الأشخاص الذين يحق لهم اللجوء عن غيرهم. وأكَّد الكاتب أن الحرب الروسية الأوكرانية نسفت كل الحجج التي لطالما تحجَّجت بها أوروبا وكشفت مدى تجذُّر الممارسات العنصرية في النظم الأوروبية، ناهيك عن أنها فضحت النفاق المتعلق بالقيم الإنسانية.

الوعي: ما ذكر هنا عن تغلغل التمييز العنصري تجاه اللاجئين في هذه الحرب إنما يشير بشكل صارخ على أن حضارة الغرب ليست إنسانية إلا على الورق... وما ذكر هنا إن هو إلا مثال ستعقبه أمثلة... وما دعاوى «حقوق الإنسان» ومنظماته الدولية إلا أدوات وأساليب للاستعمار الغربي.

حرب أوكرانيا تشعل معتقدات الإنجيليين بنبوءة نهاية الزمان

قالت صحيفة واشنطن بوست: إن الحرب على أوكرانيا أشعلت المعتقدات بين بعض الإنجيليين المحافظين بأن روسيا يمكن أن تساعد في تحقيق نبوءات الإنجيل حول نهاية العالم. وقالت الصحيفة في تقرير ترجمته «عربي٢١» إن هؤلاء الإنجيليين، وخاصة المسيحيون من أصحاب الكاريزما، يركِّزون على نظريات نهاية الزمان، وأن لروسيا دورًا خاصًّا تلعبه في هذه المسألة، وأنها جزء من «خطة لله». وكان القس جريج لوري من الكنيسة الكبرى في كاليفورنيا، والمقرَّب من دونالد ترامب قال لأتباعه إنه يرى «نبوءة مهمة»، لما يحدث في أوكرانيا، في حين قال مؤسس شبكة البث المسيحية بات روبرتسون: إن «الله أجبر بوتين على مهاجمة أوكرانيا». وأشارت الصحيفة إلى أن المسيحيين المحافظين، ينظرون دومًا إلى الأحداث العالمية، على أنها علامات يمكن أن تحقق نبوءة توراتية. وقال مايكل براون، مضيف برنامج إذاعي مسيحي: «... آه هذا هو الصراع الأخير». وساد اعتقاد سابقًا لدى الإنجيليين، أن ميخائيل غورباتشوف، الزعيم السابق للاتحاد السوفياتي، هو المسيح الدجَّال، بسبب الوحمة الحمراء على جبهته، والتي ربطها البعض بـ«سمة الوحش»، التي وردت في التوراة عن إبليس في آخر الزمان. ولفتت الصحيفة إلى أنه بناء على تفسير بعض المسيحيين للنبوءة، في العهد الجديد (الإنجيل): «سيعود يسوع إلى الأرض ويختطف المؤمنين إلى السماء ويتركون وراءهم غير المؤمنين».

اقتراح بتشكيل حلف «ناتو» خليجي يضم(إسرائيل)

يتضح من الزيارات المكوكية (الإسرائيلية) إلى عدد من دول الخليج العربي أن مسلسل العلاقات العسكرية والأمنية الثنائية آخذ بالاتساع، من خلال الصفقات التسلُّحية والتنسيق الاستخباري، وصولًا إلى التواجد (الإسرائيلي) المباشر في القواعد العسكرية المقامة هناك. وآخر هذه الترتيبات العسكرية الثنائية تمثَّلت بزيارة قائد جيش الاحتلال كوخافي إلى البحرين؛ حيث التقى بنظيره البحريني استمرارًا لزيارة رئيسه وزير الحرب وتوقيعه أول

اتفاقية عسكرية مع المنامة، ورافقه خلال الزيارة غير المعلنة مسؤولون عسكريون واستخباريون (إسرائيليون) رفيعو التمثيل. وفي وقت لاحق، التقى كوخافي في مقر الأسطول الخامس الأمريكي بنظيره القطري، ورئيس مجلس الوزراء القطري، وناقشوا مسألة انضمام قطر إلى حلف في المنطقة لمواجهة التهديدات الإيرانية في ظل التحديات الأخيرة في المنطقة، والحرب الأوكرانية الروسية، وإمكانية نصب رادارات متطورة (إسرائيلية) في قطر للإنذار المبكر ضد الطائرات بدون طيار والصواريخ الإيرانية» وكُشف أن «رئيس الوزراء نفتالي بينيت اقترح خلال زياراته إلى دول الخليج إقامة حلف عسكري في المنطقة أشبه ما يكون بحلف الناتو الغربي، على أن يكون خاصًّا فقط بدول الخليج العربي. من الواضح أن المنطقة أمام تطور عسكري لافت يسعى لدمج (إسرائيل) فيها، من خلال حلف عسكري غير مسبوق، الأمر الذي من شأنه أن يزيد حدة التوترات في دول الخليج من جهة، ويفسح المجال أمام (إسرائيل) لاختراق المنطقة من أوسع أبوابها العسكرية.

الوعي: هذا الاقتراح يأتي منسجمًا مع السياسة الأمريكية للمنطقة من زاوية تحويل الصراع إلى صراع عربي -إيراني، يلفت النظر هنا إلى أن إيران هي أحد أحجار اللعبة الأمريكية، وهي مرتاحة لهذا الدور لما يعطيها من قيمة في هذا الصراع؛ حيث يجعلها رأس حربة فيه. ويشبع نزعتها الطائفية البغيضة تجاه المسلمين.

مفتي أوكرانيا: هذا موقفنا من مسلمي روسيا

يرفض الشيخ سعيد إسماعيلوف (مفتي الإدارة الدينية لمسلمي أوكرانيا «أمّة» وعضو مؤسس بدائرة «الإرشاد الروحي» بوزارة الدفاع) النزوح من بلدة بوتشا شمال غرب العاصمة كييف، والتي تتعرض لأعنف عمليات القصف والاشتباك منذ بداية الحرب الروسية على البلاد، ويتمسك بواجب الدفاع عن كييف والوطن، كما يقول. وكان موقفه محل تقدير رسمي وإعلامي وشعبي كبير، منذ أن التحق بقوات «الدفاع الإقليمي» للتدريب على حمل السلاح قبل الحرب. وكان المفتي هذا قد أطلق مبادرة «أجنحة النصر» لجمع المعونات وتوزيعها على المقاتلين، بما يشمل تأمين الطعام والدواء والزي العسكري والخوذ والدروع. فهو يقسم عمله بين الإمامة وخدمة من تبقى من المسلمين في كييف، وأعدادهم كانت تقدر بنحو ١٠٠ ألف قبل الحرب والنزوح، وبين جبهات القتال. وانتقد إسماعيلوف الرموز الإسلامية في روسيا لتأييدها قرار بوتين شن «حرب ظالمة» على أوكرانيا. وقال: «من المستحيل أن نمد أيدينا لقادة المسلمين في روسيا، ديني وكرامتي الأوكرانية وضميري لا يسمحون بذلك». وقال: «أولئك باركوا حرب الكرملين الظالمة على شعب أوكرانيا، وعلى مسلميها، فغاصوا في مستنقع النفاق لبوتين، ومسلمو روسيا منهم براء؛ لأنهم واعون لما يحدث، ويرفضون سفك

دماء الأبرياء، من مسلمين وغيرهم». وذكر بهذا الإطار كلًّا من المفتي الأعلى لروسيا طلعت تاج الدين الذي أيد «قتال النازيين الجدد في أوكرانيا» والمفتي الشيشاني صلاح مجيدوف الذي اعتبر أن «الحرب في أوكرانيا جهاد في سبيل الله» ومفتي إنغوشيا أحمد ساغوف الذي رأى أن «على مواطني روسيا جميعًا الالتفاف حول قيادة بلادهم».

الوعي: لله كم يتجرأ علماء المسلمين أصحاب المناصب الرسمية في فتاواهم، يفتون وكأن أمر الله لا اعتبار له عندهم، فيَضلُّون ويُضلون غيرهم بغير علم. ألم يعلموا أن موت من يموت فيما يدعون إليه إنما هو في غير سبيل الله، ويحملون من أثقاله... على كلٍّ، إن أمثال هؤلاء هم من مشاكل الأمة، ويجب طاعة الله لا طاعتهم.

بعقود مغرية... يتم استقدام مرتزقة سوريين إلى أوكرانيا لمصلحة روسيا

فتحت الحرب الروسية الأوكرانية الباب على مصراعيه لانخراط الأجانب في القتال إلى جانب طرفي الصراع. فمن الجانب الروسي، قالت صحيفة «الفيغارو» الفرنسية إنّ الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وافق على إرسال ١٦ ألف سوري لدعم القوات الروسية التي تباطأت بالتقدم بسبب المقاومة الشرسة من الأوكرانيين. وبحسب الصحيفة، شارك نحو ١٥٠ ألف جندي روسي بالفعل في القتال داخل الأراضي الأوكرانية، أي ١٠٠٪ من الوحدات التي كانت موجودة مسبقًا في ضواحي أوكرانيا قبل غزوها، وفقًا لهيئة الأركان العامة الفرنسية في باريس حيث تتحدث التقديرات عن أنّ الروس لم يعد لديهم من القوات الاحتياطية لذلك الميدان... من هنا كان قبول روسيا استقدام مرتزقة ليسدوا النقص. هذا وقد بدأ وسطاء في العاصمة السورية دمشق ومناطق أخرى بالنشاط لتوقيع عقود مع شباب سوريين للقتال إلى جانب الجيش الروسي في أوكرانيا. وهؤلاء من الشبان الذين كانوا قاتلوا ضمن ميليشيات إلى جانب قوات النظام السوري. كذلك نشط «أمراء الحرب» في توزيع مسودات عقود على شباب؛ حيث يضمن العقد سبعة آلاف دولار لكل مقاتل لمدة سبعة أشهر للعمل في حماية المنشآت بأوكرانيا، حيث يعتبر هذا الرقم بحسب مراقبين كبيرًا، خصوصًا في ظل الأوضاع الاقتصادية التي تشهدها سوريا وانخفاض قيمة الليرة مقابل الدولار، ما قد يشكل إغراء للشباب للذهاب والقتال هناك. فرض العقد شروطًا أيضًا، مثل عدم الرجوع إلى سوريا خلال الأشهر السبعة الأولى. كذلك، في حال مقتل المحارب لن يتم التعامل معه من قبل «صندوق الشهداء» في سوريا، بل هو قتيل لا يحظى بـ«أي امتيازات»؛ لكن قد يحصل المتطوعون الشباب على أسباب للتأجيل لأداء الخدمة العسكرية الإلزامية، التي كانت أحد أسباب هجرة كثير من الشباب السوريين

الوعي: لا شك أن الحرب في أوكرانيا سيكون لها آثارها على مجريات الثورة في سوريا؛ والأمل بالله أن ينتقم من هؤلاء المرتزقة المعفِّشين، والأمل بالله أكبر أن يقلب الأوضاع في سوريا رأسًا على عقب لمصلحة الإسلام والمسلمين.

قال الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

آيات في الوعد بالنصر والاستخلاف والتمكين

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾

جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية: «وهكذا نصر الله سبحانه نبيه محمدًا ﷺ وأصحابه على من خالفه وناواه، وكذبه وعاداه، فجعل كلمته هي العليا، ودينه هو الظاهر على سائر الأديان. وأمره بالهجرة من بين ظهراني قومه إلى المدينة النبوية، وجعل له فيها أنصارًا وأعوانًا، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر، فنصره عليهم وخذلهم له، وقتل صناديدهم، وأسر سراتهم، فاستاقهم مقرَّنين في الأصفاد، ثم منَّ عليهم بأخذه الفداء منهم، ثم بعد مدة قريبة فتح عليه مكة، فقرَّت عينه ببلده، وهو البلد المحرَّم الحرام المشرَّف المعظَّم، فأنقذه الله به مما كان فيه من الشرك والكفر، وفتح له اليمن، ودانت له جزيرة العرب بكمالها، ودخل الناس في دين الله أفواجًا. ثم قبضه الله تعالى إليه لما له عنده من الكرامة العظيمة، **فأقام الله أصحابه خلفاء بعده،** فبلغوا عنه دين الله، ودعوا عباد الله إلى الله. وفتحوا البلاد والرساتيق والأقاليم والمدائن والقرى والقلوب، حتى انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الأرض ومغاربها. ثم لا يزال هذا الدين قائمًا منصورًا ظاهرًا إلى قيام الساعة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ أي: يوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجلَّ».

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأنعام: ٣٤].

جاء في الوسيط لطنطاوي: وجاء قوله تعالى: وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ مؤكدًا بقد وباللام،

للإشارة إلى تأكيد التسلية والتعزية، وإلى تأكيد التمسك بفضيلة الصبر التي سيعقبها النصر الذي وعد الله به الصابرين... وقوله تعالى وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ معناه: لا مغيِّرَ لكلمات الله وآياته التي وعد فيها عباده الصالحين بالنصر على أعدائه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي بشَّر فيها عباده المؤمنين بالفلاح وحسن العاقبة... ثم يضيف «فما دام المؤمنون يخلصون له العبادة والقول والعمل ويجتهدون في مباشرة الأسباب واتخاذ الوسائل النافعة، فإنه سبحانه سيجعل العاقبة لهم».

- وقال عز وجل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

جاء في تفسير ابن كثير: «وقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ﴾ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧] وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ وصف نفسه بالقوة والعزة؛ فبقوته خلق كل شيء فقدره تقديرًا، وبعزته لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب، بل كل شيء ذليل لديه، فقير إليه. ومن كان القوي العزيز ناصره فهو المنصور، وعدوه هو المقهور، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣] وقال الله تعالى :﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢١].

- وقال جلَّ وعزَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧].

جاء في تفسير السعدي: أي: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ في الأمم السابقين ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾حين جحدوا توحيد اللّه وكذَّبوا بالحق فجاءتهم رسلهم يدعونهم إلى التوحيد والإخلاص والتصديق بالحق وبطلان ما هم عليه من الكفر والضلال، وجاؤوهم بالبيِّنات والأدلَّة على ذلك فلم يؤمنوا ولم يزولوا عن غيِّهم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ﴾ ونصرنا المؤمنين أتباع الرسل ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أوجبنا ذلك على أنفسنا وجعلناه من جملة الحقوق المتعينة ووعدناهم به فلا بد من وقوعه. فأنتم أيها المكذِّبون لمحمد ﷺ إن بقيتم على تكذيبكم حلَّت بكم العقوبة ونصرناه عليكم. [يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

أحاديث نبويَّة... مبشرات بالنصر وقيام الأمر والظهور... إلى يوم الدين

- عَنْ ثوبان قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ زَوى- أي قرَّب وصغَّر- لي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأحمر والأبيض**» رواه مسلم. في الحديث وعد وبشرى بأن الإسلام غالب يملأ الأرض قسطًا وعدلًا ويعلو في الآفاق، ويصل إلى الشرق والغرب، وتناله الكنوز والخزائن.

- عَنْ ثوبان ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**» رواه مسلم. وفيه تطمين للمسلم بأنه لن يخلو زمان من وجود طائفة قائمة على الحق، صابرة عليه، تقارع أهل الباطل، ظاهرة به... وفيه ترغيب للمسلم أن يكون معها. وكأن الرسول ﷺ في هذا الحديث يعيش مع المسلمين في هذه الفترة ويدفع المسلمين إلى نصرتها.

- عن خباب ﷺ في حديث شكواه لرسول الله، وفيه قال ﷺ: «**وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وإلى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تستعجلون**» رواه البخاري. وفيه أن دين الله الحق غالب، وسيتمُّ الله فيه أمره بالنصر، وسيبسط له في الأرض، وسينشر الأمن في ربوعه حتى لا يخاف أحد من أهله على نفسه. وفيه دعوة للمسلمين للصبر والتحمُّل، وعدم استعجال النصر أو استبطاؤه؛ فإن النصر آتٍ والعاقبة للمتقين.

- عَنْ تميم الداري ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مدر ولَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ**» رواه أحمد. وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرَ وَالشَّرَفَ وَالْعِزَّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلَّ وَالصَّغَارَ وَالْجِزْيَةَ. في الحديث إخبار عن توسُّع الإسلام حتى يصل إلى بلدان تكون في نهار بينما أخرى تكون في ليل وهذا يشير إلى عمومه الكرة الأرضية. وهذا الحديث كان بشرى للصحابي

تميم الداري، وهو بشرى لكل مسلم مؤمن بالغيب من بعده.

- عَنْ أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بالسَّناء والرِّفْعَةِ، وَالدِّينِ، وَالنَّصْرِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ**» رواه أحمد. في الحديث: تبشير صريح بنصر الله لهذه الأمة وتمكينها، وظهورها على أعدائها المختلفين، وأنها في محل عال من السناء وعلو القدر والمكانة وحسن العاقبة، ويشير هذا إلى أن موقعها الدولي بين الول يكون هو الأعلى.

- عن حذيفة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ**» رواه أحمد. وفيه تطمين ما بعده تطمين إلى أن هذا الدين ستكون له كرَّة في آخر الزمان تزيل ما قبلها من الأحزان والمآسي والبعد عن الدين. وفيه استقامة أمر هذه الأمة تمامًا على ما تركها الرسول ﷺ من القيام بأمر الله: تطبيقًا ودعوةً وجهادًا ونشرًا... وفيه انكسار وانهزام وانحسار أعدائه. وهو من أكثر الأحاديث تبشيرًا للمسلمين اليوم لما يرَون فيه من إرهاصات عودة الخلافة الراشدة والتي بات يراها كذلك أعداء الدين كما يراها المسلمون؛ ولذلك هم يكيدون لها كيدًا، والمسلمون يستبشرون بها أيَّما استبشار.

- عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها**» رواه أبو داود. وفيه أن الله سبحانه، كما تعهَّد بمنِّه وفضله أن يحفظ نصوص الدين، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿**إنَّا نحن نزَّلنا الذِّكرَ وإنَّا له لحافظون**﴾، فكذلك تعهد سبحانه أن يقيِّض لهذه الأمة من يعيدها إلى الفهم والالتزام الصحيح كل قرن من الزمان؛ فكان هذا التجديد من متمِّمات سيادة هذا الدين وعلو أمره إلى آخر الزمان. واستمرار قيام حجة الله على خلقه، ونحن اليوم نحسُّ ونستبشر بقرب استقامة الأمر على ما يريده ويحبه الله.

- عن أبي عِنبةَ الخولاني ﷺ، وَكَانَ قَدْ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ قال: سمعت رسول ﷺ يقول: «**لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم فيه بطاعته، إلى يوم القيامة**» رواه ابن ماجة. وفيه أن المسلم لن يكون خلوًّا من هادٍ يهديه، ومن قائم على الحق فيعينه، فليطمئن إلى وجودهم: علماء ودعاة ومجاهدين، وليكن منهم، أو قريبًا منهم، وليفتش عنهم... فالخير ماضٍ في هذه الأمة إلى قيام الساعة. [يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

عمر بن عبد العزيز... خليفة تشتاق إلى أمثاله النفوس

جاء في (البداية والنهاية) للإمام ابن كثير: فصل خلافة عمر بن عبد العزيز:

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة على عادته مع الخلفاء قبله، فقال له عمر: مالي ولك؟ تنحَّ عني، إنما أنا رجل من المسلمين. ثم سار وساروا معه حتى دخل المسجد، فصعد المنبر واجتمع الناس إليه، فقال: أيها الناس! إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون. فصاح المسلمون صيحة واحدة: قد اخترناك لأنفسنا وأمرنا، ورضينا كلنا بك.

فلما هدأت أصواتهم حمد الله وأثنى عليه وقال: أوصيكم بتقوى الله، فإن تقوى الله خلف من كل شيء، وليس من تقوى الله خلف، وأكثروا من ذكر الموت فإنه هادم اللذات، وأحسنوا الاستعداد له قبل نزوله، وإن هذه الأمة لم تختلفْ في ربها ولا في كتابها ولا في نبيها، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم، وإني والله لا أعطي أحدًا باطلًا، ولا أمنع أحدًا حقًّا، ثم رفع صوته فقال: أيها الناس! من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم.

ثم نزل فدخل فأمر بالستور فهتكت، والثياب التي كانت تبسط للخلفاء أمر بها فبيعت، وأدخل أثمانها في بيت المال، ثم ذهب يتبوأ مقيلًا فأتاه ابنه عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، ماذا تريد أن تصنع؟ قال: يا بني أقيل، قال: تقيل ولا ترد المظالم إلى أهلها، فقال: إني سهرت البارحة في أمر سليمان، فإذا صليت الظهر رددت المظالم، فقال له ابنه: ومن لك أن تعيش إلى الظهر؟ قال: ادنُ مني أي بُنَيّ، فدنا منه فقبل بين عينيه وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني. ثم قام وخرج وترك القائلة، وأمر مناديه فنادى: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، فقام إليه رجل ذميٌّ من أهل حمص فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله، قال: ما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي، والعباس جالس، فقال له عمر: يا عباس ما تقول؟ قال: نعم! أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد، وكتب لي بها سجلًّا، فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله تعالى، فقال عمر: نعم كتاب الله أحق أن

يُتَّبع من كتاب الوليد، قم فاردد عليه ضيعته، فردَّها عليه، ثم تتابع الناس في رفع المظالم إليه فما رفعت إليه مظلمة إلا ردَّها، سواء أكانت في يده أم في يد غيره، حتى أخذ أموال بني مروان وغيرهم مما كان في أيديهم بغير استحقاق، فاستغاث بنو مروان بكل واحد من أعيان الناس، فلم يُفدْهم ذلك شيئًا، فأتوا عمتهم فاطمة بنت مروان - وكانت عمته - فشكوا إليها ما لقوا من عمر، وأنه قد أخذ أموالهم، ويستنقصون عنده، وأنه لا يرفع بهم رأسًا، وكانت هذه المرأة لا تحجب عن الخلفاء، ولا تردُّ لها حاجة، وكانوا يكرمونها ويعظمونها، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل الخلافة، وقامت فركبت إليه، فلما دخلت عليه عظَّمها وأكرمها لأنها أخت أبيه، وألقى لها وسادة وشرع يحادثها فرآها غضبى وهي على غير العادة، فقال لها عمر: يا عمَّة، مالك؟ فقالت: بنو أخي عبد الملك وأولادهم يُهانون في زمانك وولايتك؟ وتأخذ أموالهم فتعطيها لغيرهم، ويُسبُّون عندك فلا تنكِر؟ فضحك عمر وعلم أنها متحمِّلة، وأن عقلها قد كبر، ثم شرع يحادثها والغضب لا يتحيز عنها، فلما رأى ذلك أخذ معها في الجد.

فقال: يا عمة، اعلمي أن النبي ﷺ مات وترك الناس على نهر مورود، فولي ذلك النهر بعده رجل فلم يستنقص منه شيئًا حتى مات، ثم ولي ذلك النهر بعد ذلك الرجل رجل آخر فلم يستنقص منه شيئًا حتى مات، ثم ولي ذلك النهر رجل آخر فكرى منه ساقية، ثم لم يزل الناس بعده يكرون السواقي حتى تركوه يابسًا لا قطرة فيه، وأيمُ الله، لئن أبقاني الله لأردنَّه إلى مجراه الأول، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط، وإذا كان الظلم من الأقارب الذين هم بطانة الوالي، والوالي لا يزيل ذلك، فكيف يستطيع أن يزيل ما هو ناء عنه في غيرهم؟ فقالت: فلا يُسَبُّوا عندك؟ قال: ومن يسبُّهم؟ إنما يرفع الرجل مظلمته فآخذ له بها. ذكر ذلك ابن أبي الدنيا وأبو نعيم وغيرهما، وقد أشار إليه المؤلف إشارة خفية.

وقال رجاء بن حيوة: لما مات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وقام يزيد بن عبد الملك بعده في الخلافة، أتاه عمر بن الوليد بن عبد الملك فقال ليزيد: يا أمير المؤمنين! إن هذا المرائي - يعني عمر بن عبد العزيز - قد خان من المسلمين كل ما قدر عليه من جوهر نفيس ودر ثمين في بيتين في داره مملوءين، وهما مقفولان على ذلك الدر والجوهر. فأرسل يزيد إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر: بلغني أن عمر خلف جوهرًا ودرًّا في بيتين مقفولين، فأرسلت إليه: يا أخي ما ترك عمر من سبد ولا لبد إلا ما في هذا المنديل، وأرسلت إليه به فحلَّه فوجد فيه قميصًا غليظًا مرفوعًا، ورداءً قشبًا، وجبةً محشوةً غليظةً واهيةَ البطانة. فقال يزيد للرسول: قل لها ليس عن هذا أسأل، ولا هذا أريد، إنما أسأل عما في البيتين، فأرسلت تقول له: والذي فجعني بأمير المؤمنين ما دخلت هذين البيتين منذ ولي الخلافة، لعلمي بكراهته لذلك، وهذه مفاتيحهما فتعالَ فحوِّل ما فيهما لبيت مالك، فركب يزيد ومعه عمر بن الوليد حتى دخل الدار ففتح أحد

البيتين، فإذا فيه كرسي من أدم وأربع آجرات مبسوطات عند الكرسي وقمقم. فقال عمر بن الوليد: أستغفر الله، ثم فتح البيت الثاني فوجد فيه مسجدًا مفروشًا بالحصا، وسلسلة معلَّقة بسقف البيت، فيها كهيئة الطوق بقدر ما يدخل الإنسان رأسه فيها إلى أن تبلغ العنق، كان إذا فتر عن العبادة أو ذكر بعض ذنوبه وضعها في رقبته، وربما كان يضعها إذا نعس لئلا ينام، ووجدوا صندوقًا مقفلًا ففتح فوجدوا فيه سفطًا ففتحه، فإذا فيه دراعة وتبان كل ذلك من مسوح غليظ، فبكى يزيد ومن معه وقال: يرحمك الله يا أخي، إن كنت لنقي السريرة نقي العلانية. وخرج عمر بن الوليد و هو مخذول وهو يقول: أستغفر الله، إنما قلت ما قيل لي.

وقال رجاء: لما احتضر جعل يقول: اللهم رضِّني بقضائك، وبارِكْ لي في قدرك حتى لا أحب لما عجلت تأخيرًا، ولا لما أخرت تعجيلًا، فلا زال يقول ذلك حتى مات. وكان يقول: لقد أصبحت وما لي في الأمور هوى إلا في مواضع قضاء الله فيها.

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص: حدثنا عاصم بن عامر، حدثنا أبي، عن عبد ربه بن أبي هلال، عن ميمون بن مهران، قال: تكلم عمر بن عبد العزيز ذات يوم وعنده رهط من إخوانه، ففتح له منطق وموعظة حسنة، فنظر إلى رجل من جلسائه وقد ذرفت عيناه بالدموع، فلما رأى ذلك عمر قطع منطقه، فقلت له: يا أمير المؤمنين، امضِ في موعظتك، فإني أرجو أن يمنَّ الله به على من سمعه أو بلغه، فقال: إليك عني يا أبا أيوب، فإن في القول على الناس فتنة لا يخلص من شرها متكلم عليهم، والفعال أولى بالمؤمن من المقال.

وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه قال: استعملنا أقوامًا كنا نرى أنهم أبرار أخيار، فلما استعملناهم إذا هم يعملون أعمال الفجَّار، قاتلهم الله، أما كانوا يمشون على القبور !

وروى عبد الرزاق قال: سمعت معمَّرًا يذكر قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة - وبلغه عنه بعض ما يكره: أما بعد فإنه غرني بك مجالستك القرَّاء، وعمامتك السوداء، وإرسالك إياها من وراء ظهرك، وإنك أحسنت العلانية فأحسنَّا بك الظن، وقد أطلعنا الله على كثير مما تعملون.

وروى الطبراني والدارقطني وغير واحد من أهل العلم بأسانيدهم إلى عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامل له: أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله، واتِّباع سنة رسوله، والاقتصاد في أمره، وترك ما أحدث المحدثون بعده ممن قد حارب سنته وكفوا مؤنته، ثم اعلم أنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل على بطلانها - أو قال دليل عليها - فعليك لزوم السنة فإنه إنما سنَّها من قد علم ما في خلافها من الزيغ والزلل، والحمق والخطأ والتعمُّق، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وعلى العمل الشديد أشدّ، وإنما كان عملهم على الأسدّ، ولو كان فيما تحملون أنفسكم فضل لكانوا فيه أحرى، وإليه أجرى؛ لأنهم السابقون إلى كل خير، فإن قلت: قد حدث بعدهم خير، فاعلم أنه إنما أحدثه من قد اتَّبع غير سبيل المؤمنين، وحاد عن طريقهم، ورغبت نفسه

عنهم، ولقد تكلموا منه ما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فأين لا أين، فمن دونهم مقصر، ومن فوقهم غير محسن، ولقد قصر أقوام دينهم فحفوا، وطمح عنهم آخرون فغلوا، فرحم الله ابن عبد العزيز. ما أحسن هذا القول الذي ما يخرج إلا من قلب قد امتلأ بالمتابعة ومحبة ما كان عليه الصحابة، فمن الذي يستطيع أن يقول مثل هذا من الفقهاء و غيرهم؟ فرحمه الله وعفا عنه.

وروى الخطيب البغدادي من طريق يعقوب بن سفيان الحافظ، عن سعيد بن أبي مريم، عن رشيد بن سعيد، قال: حدثني عقيل، عن شهاب، عن عمر بن عبد العزيز قال: سنَّ رسول الله ﷺ وخلفاؤه بعده سننًا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستعمال لطاعة الله، ليس على أحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في رأي من خالفها، فمن اقتدى بما سبق هُدي، ومن استبصر بها أبصر، ومن خالفها واتَّبع غير سبيل المؤمنين ولَّاه الله ما تولَّى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا.

وأمر عمر بن عبد العزيز مناديه ذات يوم فنادى في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فخطبهم فقال في خطبته: إني لم أجمعكم إلا أن المصدق منكم بما بين يديه من لقاء الله والدار الآخرة ولم يعمل لذلك ويستعد له أحمق، والمكذب له كافر. ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ [فصلت: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه أرسل أولاده مع مؤدِّب لهم إلى الطائف يعلمهم هناك، فكتب إليه عمر: بئس ما علمت إذ قدمت إمام المسلمين صبيًّا لم يعرف النية - أو لم تدخله النية - ذكره في كتاب النية له.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الرقة والبكاء عن مولى لعمر بن عبد العزيز أنه قال له: يا بُنَيّ، ليس الخير أن يسمع لك وتطاع، وإنما الخير أن تكون قد غفلت عن ربك عز وجل ثم أطعته، يا بُني، لا تأذن اليوم لأحد عليَّ حتى أصبح ويرتفع النهار، فإني أخاف أن لا أعقل عن الناس ولا يفهمون عني، فقال له مولاه: رأيتُك البارحة بكيت بكاء ما رأيتك بكيت مثله، قال: فبكى، ثم قال: يا بُني، إني والله ذكرت الوقوف بين يدي الله عز وجل. قال: ثم غشي عليه، فلم يفق حتى علا النهار، قال: فما رأيته بعد ذلك متبسمًا حتى مات.

وقرأ ذات يوم ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [يونس: ٦١] فبكى بكاءً شديدًا حتى سمعه أهل الدار، فجاءت فاطمة فجلست تبكي لبكائه، وبكى أهل الدار لبكائهما، فجاء ابنه عبد الملك فدخل عليهم وهم على تلك الحال فقال له: يا أبتِ ما يبكيك؟ فقال: يا بُني، خير ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه. والله يا بُني، لقد خشيت أن أهلك، وأن أكون من أهل النار.

وروى ابن أبي الدنيا، عن عبد الأعلى بن أبي عبد الله العنبري، قال: رأيت عمر بن عبد العزيز خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة، وراءه حبشي يمشي، فلما انتهى إلى الناس رجع الحبشي،

فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال: هكذا رحمكما الله، حتى صعد المنبر فخطب فقرأ ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾ [التكوير: ١]. فقال: وما شأن الشمس؟ ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣﴾ [التكوير: ١٢-١٣] فبكى وبكى أهل المسجد، وارتجَّ المسجد بالبكاء، حتى رأيت حيطان المسجد تبكي معه، ودخل عليه أعرابي فقال: يا أمير المؤمنين، جاءت بي إليك الحاجة، وانتهيت إلى الغاية، والله سائلك عني. فبكى عمر وقال له: كم أنتم؟ فقال: أنا وثلاث بنات. ففرض له على ثلاثمائة، وفرض لبناته مائة مائة، وأعطاه مائة درهم من ماله، وقال له اذهب فاستنفقها حتى تخرج أعطيات المسلمين فتأخذ معهم.

وجاءه رجل من أهل أذربيجان فقام بين يديه، وقال: يا أمير المؤمنين، اذكر بمقامي هذا بين يديك مقامك غدًا بين يدي الله؛ حيث لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق، من يوم يلقاه بلائقة من العمل، ولا براءة من الذنب، قال: فبكى عمر بكاءً شديدًا، ثم قال له: ما حاجتك؟ فقال: إن عاملك بأذربيجان عدا عليَّ فأخذ مني اثني عشر ألف درهم فجعلها في بيت المال. فقال عمر: اكتبوا له الساعة إلى عاملها فليردَّ عليه، ثم أرسله مع البريد.

وعن زياد مولى ابن عياش قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز في ليلة باردة شاتية، فجعلت أصطلي على كانون هناك، فجاء عمر وهو أمير المؤمنين فجعل يصطلي معي على ذلك الكانون، فقال لي: يا زياد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: قصَّ عليَّ، قلت: ما أنا بقاصٍّ، فقال: تكلم، فقلت: زياد، فقال: ماله؟ فقلت: لا ينفعه من دخل الجنة إذا دخل النار، ولا يضره من دخل النار إذا دخل الجنة، فقال: صدقت، ثم بكى حتى أطفأ الجمر الذي في الكانون.

وقال له زياد العبدي: يا أمير المؤمنين، لا تعمل نفسك في الوصف واعملها في المخرج مما وقعت فيه، فلو أن كل شعرة فيك نطقت بحمد الله وشكره والثناء عليه ما بلغت كنه ما أنت فيه، ثم قال له زياد: يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصم ألدّ، ما حاله؟ قال: سيئ الحال، قال: فإن كانا خصمين ألدّين؟ قال: فهو أسوأ حالًا، قال: فإن كانوا ثلاثة؟ قال: ذاك حيث لا يهنئه عيش. قال: فوالله يا أمير المؤمنين، ما أحد من أمة محمد ﷺ إلا وهو خصمك، قال: فبكى عمر حتى تمنيت أني لم أكن حدثته ذلك.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة وأهل البصرة: أما بعد، فإن من الناس من شاب في هذا الشراب، ويغشَون عنده أمورًا انتهكوها عند ذهاب عقولهم، وسفه أحلامهم، فسفكوا له الدم الحرام، وارتكبوا فيه الفروج الحرام، والمال الحرام، وقد جعل الله عن ذلك مندوحة من أشربة حلال، فمن انتبذ فلا ينتبذ إلا من أسقية الأدم، واستغنوا بما أحل الله عما حرم، فإنا من وجدناه شرب شيئًا مما حرم الله بعد ما تقدمنا إليه جعلنا له عقوبة شديدة، ومن استخفَّ بما حرم الله عليه فالله أشد عقوبة له وأشد تنكيلًا. ■

الحرب الأوكرانية الروسية: أمريكا هي اللاعب الأكبر فيها... وهي امتداد للحرب العالمية الثانية... وحضارتهم هي سبب مآسيهم ومآسي

قامت أمريكا باستدراج روسيا إلى المستنقع الأوكراني بالخديعة والاستفزاز والاستدراج لتشنَّ حربها على أوكرانيا، فاستُفِزَّ بوتين (الفتَّاك) وانخدع واستدرج وشن حربه عليها... **وفرضت أمريكا** على أوكرانيا الدخول في الحرب من حيث لا تريد، وفرضت عليها المقاومة ومنعتها من الاستسلام ... **وأعادت الخوف إلى دول أوروبا من جارتها روسيا** ذات الأطماع، **وأجبرت الاتحاد الأوروبي والناتو على السير معها** وتبني موقفها بعدم التدخل عسكريًّا بشكل مباشر، **وقاموا جميعًا بمد الأوكران بالسلاح الفتَّاك** (صواريخ متطورة جدًا مضادة للطيران وللدبابات والدروع، طائرات مسيرة...) **لتجعل من أوكرانيا شعبًا وجيشًا مقاومةً شعبيةً مفتوحةً ومقبرةً لروسيا ومن أجل استنزافها لسنوات طويلة** من غير أن تعمل أي حساب لقتل الشعب الأوكراني وتشريدهم وتدمير البلاد. **وقامت مع دول الاتحاد الأوروبي بفرض عقوبات اقتصادية** غير مسبوقة على روسيا من أجل إنهاكها اقتصاديًّا، وإرجاعها دولة وزنها كوزن أي دولة من دول أوروبا، ومحاصرتها ضمن حدودها، وبالتالي إبعادها عن التطلع عن منافستها في الموقف الدولي... وقد جعلت كل ذلك يجري بشكل فيه تحدٍّ، فرضت فيه على الجميع السير باتجاه واحد، وبشكل لا يسمح لأحد بالتفاوض ولا بالتراجع: لا لروسيا، ولا للاتحاد الأوروبي، ولا حتى لأوكرانيا... ووضعت السيناريوات المحتملة فيما إذا تم اعتقال أو اغتيال أو استسلام رئيس أوكرانيا ومن ذلك إيجاد حكومة منفى، أو إيجاد قيادة لمقاومة عسكرية أوكرانية من الخارج، وهي دعت زيلينسكي منذ بداية الغزو للخروج من البلد والمجيء إلى الولايات المتحدة لتسيطر على قراره، وأعلنت أنها تستعد لمرحلة ما بعد احتلال أوكرانيا، وما بعد زيلينسكي... هذا هو المسرح الذي تجري فيه لعبة الأمم الأمريكية... هذا الصراع السياسي ذو الوجه العسكري إنما هو إنها سياسية إجرامية مشهورة فيها أمريكا على مرِّ تاريخها. وإن هذه الحرب لتذكر بالحرب العالمية الثانية إن لم تكن امتدادًا لها من حيث إنها تقوم في قلب أوروبا بين دول شعوبها على الدين والمذهب نفسه.

الوعي: نعم، إن أمريكا هي اللاعب الأكبر في هذه الحرب، وإنها تعدُّ مثل ذلك للصين... وهذا هو طريقها لزعامة العالم... والأطراف الأخرى كروسيا والصين والاتحاد الأوروبي ليسوا مختلفين عنها في طريقة تفكيرها وإدارة سياساتها وسعيها لتحقيق مصالحها، وآخر همِّ الجميع النواحي الإنسانية ومعاناة الشعوب... هذه هي الحضارة الغربية ذات الوجه الكالح الذي لا يجر إلا المآسي والموت والدمار، والذي لا علاج له إلا بالتخلُّص منه، وإلا بأن يتقدم المسلمون هم إلى قيادة العالم بدينهم وبإقامة خلافتهم. ■

عقيدة بوتين هي خليط من التدين الأرثوذوكسي والفاشية الروسية، وهوس بتدمير استقلال أوكرانيا

في ٢٣/٠٣/٢-٢٠٢٢م، نشرت صحيفة «واشنطن بوست» مقالًا للمعلق ديفيد إغناطيوس تناول فيه شخصية بوتين، قال فيه: إن الحرب التي مضى عليها شهر تقريبًا في أوكرانيا تؤشر إلى حالة عقلية معقدة وخطيرة للرئيس الروسي... واعتبر الكاتب أن حرب الأسابيع الماضية كشفت عن رجل مهووس بأوكرانيا، ويشعر بالرُّهاب من أعدائه في الداخل والخارج، ويغلف أفعاله بلغة روحية، بل وصوفية في رؤيتها لماضي ومستقبل روسيا. **وعن شخصيته المشبعة بشعوره بالعظمة،** استعرض الكاتب بعضًا من ملامحها من تصرفاته في الأسبوع الماضي خلال حفلة موسيقية؛ حيث استحضر قديسًا من الكنيسة الأرثوذكسية الروسية الذي تحدث عن معاركه بأنها «عواصف رعدية» ستعيد «مجد روسيا». وقال بوتين عن فيدور أوشاكوف، أمير البحر في القرن ١٨ الذي عرف عنه أنه لم يخسر معركة أبدًا وطُوِّب بعد فترة قصيرة من تولي بوتين السلطة كقديس في عام ٢٠٠١م: «**هكذا كان الأمر في زمنه وهذا هو الحال اليوم وسيظل دائمًا**»، وبدا عليه أنه يريد إعادة مجد الاتحاد السوفياتي السابق، وقراراته باتت مدفوعة بحس مكانته العظيمة في التاريخ الروسي... **وعن تدينه،** ذكر الكاتب أن بوتين يؤمن بالكنيسة الأرثوذكسية وفي ذهنه أن مهمته سماوية، وهو يؤمن بعمق بالكنيسة الأرثوذكسية و«الوحدة» بين روسيا وأوكرانيا؛ حيث أعلن: «نحن شعب واحد» واتهم السوفيات بالتفريط بانفصالها عن روسيا الأم، وقال: «حقيقة واحدة واضحة وضوح الشمس: لقد سرقت روسيا». ووصف هجومه على أوكرانيا بأنه محاولة لإنقاذها وأنه واجب ديني، واستشهد بطريقة مدهشة بالإنجيل لكي يبرر حربه فقال: «**أستعيد كلام الكتاب المقدس: ليس لأحد حب أعظم من هذا، أن يضحي إنسان بحياته من أجل أصدقائه**»... **وعن فاشيته،** تكلم الكاتب أن بوتين اختار بدلًا من الشيوعية «الفاشية الروسية». وكان معلمها الأساسي إيفان إيليان الذي فر من روسيا عام ١٩٢٢م بعد الثورة البلشفية وأعجب بموسوليني ومدح الفاشية. ونظر إيليان لروسيا كضحية أبدية للغرب وقال إنها بحاجة إلى «رجل» سيتحول إلى «عضو حي في روسيا». وبدءًا من ٢٠٠٥م، قام بوتين بإعادة اعتبار إيليان كفيلسوف البلاط في الكرملين، وأعاد بقاياه إلى روسيا ووضع الزهور على قبره واستشهد بأفكاره في مقالاته، مثل مقال نشره عام ٢٠١٢م ووضح فيه رؤية إيليان لروسيا: «**روسيا هي عضو روحي واحد وليس لكل الشعوب الأرثوذكسية فقط، ولكن لشعوب العالم**». **وعن نظرته للغرب،** ذكر الكاتب أنه في مركز عالم بوتين، فكرة إهانة روسيا عبر التآمر الغربي. وأظهر غضبه على النخبة الغربية وأصدقائها في روسيا، ووصمهم بـ «الحثالة والخونة»... ويرى بوتين أن أعداء روسيا هم أبديون «ويعتقدون أن كل شيء هو للبيع، وكل شيء يمكن شراؤه، ويعتقدون والحالة هذه أننا سننهار ونتراجع. ولكنهم لا يعرفون بشكل كاف تاريخنا وشعبنا»... ويختم إغناطيوس مقالته بالقول إن على الغرب عدم السماح لبوتين بالنجاح.

الوعي: تأخذ دراسة شخصيات رؤساء الدول أهمية بالغة في تقييم سياسة هذه الدول أو تصرفاتهم، في الداخل أو الخارج، في زمن السلم أو الحرب، ومعرفة كيف يمكن مواجهتها. ■